

معرفة الإمام (1)

بحوثٌ تفسيريةٌ ، فلسفيةٌ ، روائيةٌ ، تاريخيةٌ ، اجتماعيةٌ

حول الإمامة و الولاية عموماً؛

و حول إمامة و ولاية أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب و الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين

خصوصاً

دروسٌ إستدلاليةٌ و علميةٌ مُتخذةٌ من القرآن الكريم و رواياتٌ مأثورةٌ عن الخاصة و العامة ؛ و

أبحاثٌ حلّيةٌ و نقديةٌ حول الولاية

لمؤلفه الحقيق:

السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني عفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً أزلياً و ثناءً لا ينفد و لا يتناهى مختصاً بالله عزّوجلّ ، الذي أوجد بحكمته البالغة عالم الخلقه من كُثمّ العدم ، و خلع عليه رداء الوجود ، و اختار بني ءادم من بين تلك العوالم بجامعيّة منطوق العقل و الإحساس ، فشرّفهم لذلك بشرف التكليف و المسؤوليّة و الإلتزام .
وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا .

و سلاماً لا حدّ له ، و تحيّةً و إكراماً لا حصر له ، لقادة تربية البشريّة الذين جعلوا . بنشرهم لواء الحمد الإلهي . النور الساطع للإيمان و الإيقان متجليّاً في قلوب أفراد البشر ، و الذين أشعلوا في كيان الأرواح مشعل التوحيد و الولاية ، ليمنّوا البشر صاحب النفس الهولانيّة و القوة و القابليّة غير المحدودة في طريق التمكين بالحقّ . و خاصّةً خاتم النبيين مُحَمَّد بن عبّالله و وصيه الكريم سيّد الوصيّين عَلِي بن أبي طالب صلوات الله عليهما ، حاملا لواء الحمد و حائزا مقام الشفاعة الكبرى ، والأئمّة المعصومين ، لا سيّما بقيّة الله في الأرضين الحُجّة بن الحسن العسكري عَجَل الله تعالى فرجه الشريف ، الذين كانوا المظهر التام للأسماء الإلهيّة : الجماليّة و الجلاليّة ، و الآيات الكاملة لأنوار الأحديّة و الواحديّة ، و المرايا الكبرى للحقّ ، و الخلفاء العينيّين للباري تعالى شأنه العزيز ، وواسطة فيض و إشراق النور الأزلي على هياكل الوجود و ماهيات الإمكانية .

اولئك الذين كانوا في الولاية التكوينيّة مرآة تامّة للجمال الالهي والجلال الأزلي ، و اللؤلؤ المنير المفيض لنور الأحديّة على عالم ما سواهم ؛ و في الولاية التشريعيّة باب الشريعة و منهلّ الإلهام ، و الأخذ للأحكام من مصدر التشريع و الحقائق .

و باعتبار أنّ مسألة الإمامة و الولاية من أهمّ المسائل الحياتيّة ؛ و باعتبار ان جميع جهات القابليّات الإنسانيّة ستقوى و تنمو . بمعرفة هذه الحقيقة . في مدارج الكمال و معارجه ، بينما سيسبّب الجهل بهذه الحقائق و عدم اتّباعها حرف القابليّات و الإمكانات و جعلها تنصبّ في مسير الإنحراف ، و في اضمحلالها في المستنقعات العفنة للماديات و الشهوات .

لذا فقد منّ الله تبارك و تعالى على هذا الحقيّر ، ليقوم في أيّام شهر رمضان المبارك لسنة ألف و ثلاثمائة و واحد و تسعين هجريّة قمرية ببحث و مناقشة مسألة الإمامة و الولاية مع جمع من الأخلاء الروحيّين و الإخوة الإيمانيّين .

و قد تقرّر ان يكون مبنى البحث قائماً على الآيات القرآنيّة . ولأهميّة الموضوع بالنسبة للاخوة من أهل السنّة ، فقد تقرّر الاستفادّة من فنّ الجدل ، و النقل من روايات و تواريخ العامّة ، مع الاستفادّة إجمالاً من روايات الخاصّة كذلك .

و كان متصوّراً أنّنا سنستطيع انهاء دورة كاملة من هذا البحث في شهر رمضان المبارك ، إلا ان

الشهر قد تصرّم ، و لم يجرِ بيان أكثر من سُدس ممّا كان في النية بيانه ، بالرغم من أنّه قد جرى كلّ يوم الكلام و البحث الوافي في الأمر .
و كان من الألفاظ السنيّة للخالق اللطيف أنّ التوفيق قد شملني في نفس شهر رمضان ، لأقوم في المنزل بكتابة و جمع مذكرات البحث .

ثم انقضت سنواتٌ أربع على هذا الأمر حُرمت خلالها من جمع مسائل الإمامة . بشكل منّظم و مرتّب طبعاً . حتّى شملتني من جديد الألفاظ الخفيّة لله عزّوجل في شهر رمضان المبارك لسنة ألف و ثلاثمائة و خمس و تسعين ، فاستأنفنا البحث السابق في أيام الشهر مع الأعضاء الإيمانيّين و الإخوة الروحانيّين ، فتمّ الى نهاية الشهر مناقشة و تدوين سُدسٍ آخر من البحوث ، فصار مجموع ما جرى بحثه و كتابته في شهري رمضان هذين ثلث ما في نظرنا .

و ها نحن نقدّم مجموع هذه الكتابات التي جُمعت في مجلّدات أربعة لمطالعة أصحاب النظر و البصيرة .

و الأمل أن يوفّقنا الله جلّت أسماؤه لبحث و تحرير باقي الأبحاث ، بمحمّدٍ و ءاله الطاهرين . و سيكون تمام هذه الأبحاث في حدود اثني عشر مجلّداً تشكّل قسم «معرفة الإمام» من دورة العلوم و المعارف الإسلاميّة ، حيث سيتمّ تدوينها و تحريرها في هيئة دروس سيكون مجموعها في حدود مائة و ثمانين درساً .

و باعتبار أنّ هذه الدروس ستكون في خصائص الإمام و شروط القيادة و الزعامة و الحكومة ، و في لزوم العصمة للأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ؛ فانه سيجزى البحث و المناقشة . ضمناً . في شرائط النبوة ولزوم العصمة و ءاثار و خواصّ الأنبياء أيضاً . و في الحقيقة فإنّ هذا البحث بحث كامل و شامل يشمل أيضاً البحث في النبوة العامّة و يُغنينا عن ايراد بحث مستقلّ لها .

نشكر الله سبحانه الذي منّ علينا بهذه الموهبة لنسعى في هذه البحوث قدر الوسع ، و في حدود ظرفيّة الحقير البسيطة ، و لنقدّم مجاناً ما جاء في الأبحاث و المطالعات و الدراسات و المذكرات في طبق اخلاص ، فنضعه في مرأى و منظر من اخوتي و نظرائي في الإنسانية .

فَلِلّهِ الْحَمْدُ وَ لَهُ الشُّكْرُ وَ ءاخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ءاله الطاهرين .

السيد محمّد الحسين الحسيني الطهراني

السيد محمّد الحسين الحسيني الطهراني

الدرس الأول : عصمة الأنبياء و الأئمة عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَ جِدَّةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . (1)

أساس الاختلاف بين الشيعة والسنة:

انّ أساس الاختلاف بين الشيعة و السنة ينحصر في مسألة الولاية ، فالشيعة يقولون انّ الامام يجب أن يكون معصوماً و مُنصباً من قبل الله سبحانه و تعالى ، بينما يقول السنة انّ العصمة ليست من شرائط الإمام ، وأنّ الناس بإمكانهم أن يختاروا إماماً لهم فينبعوه .
أمّا بقية المسائل المُختلف عليها بين هذين الفريقين فمتفرعة بأجمعها عن ذلك الأصل و تابعة له ؛ لأنّ أفضلية الاختلاف في الأساس والأصل لا بدّ و أن تؤدي الى اختلافات كثيرة في الفروع ، أمّا لو انتفى الاختلاف في الأساس ، فاتحد هذان الفريقان في المرام و المذهب ، فانّ الاختلافات في الفروع ستنتفي بدورها و تتبع الأصل في الوحدة .

و سنناقش هذه الأيام بعون الله و بالاستعانة بأرواح الطيبين و أولياء الله أساس هذه المسألة ، و سنبيّن شرائط الإمام من خلال كتاب الله والنصوص الصريحة التي و ردت عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله ، بحول الله و قوته و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم . و سنذكر شاهداً و مثلاً كمقدمة من أجل توضيح هذا المعنى قبل الاستدلال بالأية التي وردت في مطلع البحث .

الإمام بمنزلة القلب في جسم الإنسان:

هناك في جسم الإنسان أجهزة متنوّعة و مختلفة يؤدي كلّ منها وظيفة خاصّة ، فالعين وظيفتها النظر ، و الأذن وظيفتها السمع ، و الأنف للتنفّس و الشمّ ، و اللسان للتذوق و الكلام ، و اليد للأخذ و العطاء ، و الرجل للمشي ؛ و كلّ هذه الأعضاء تسعى دائبةً لتنفيذ وظيفتها ، إلا أنّها . من وجهة نظر الحياة الماديّة . تستمدّ قوتها من القلب .

ثمّ انّ القلب يضخّ الدم الى جميع أعضاء الجسم و جوارحه ، فيمدّها في كلّ لحظة بحياة جديدة ، و

يبقيها . بهذا العمل . في نشاط مستمرّ و حياة دائمة . و لو حدث أن توقّف القلب للحظة واحدة و تخلّى عن مسؤوليّته ، لأصيبت تلك الأعضاء و الجوارح الحيّة و النشيطة بالموت و الفناء و لتعطلّ دورها ، فتفقد العين رؤيتها ، و الأذن سمعها ، و اليد حركتها ، كما تُسَلّ الرّجلُ و تفقد الإحساس .

و بناءً على هذا فإنّ فائدة القلب هي الإشراف و الزعامة و إيصال الحياة الى كافة أعضاء الجسم التي تخضع لإشرافه ، و لا يمكن لأحد ان يُنكر حاجتنا للقلب بحجّة انّ القلب لا يعمل شيئاً لأنّه لا يرى و لا يسمع و لا يتكلّم و لا يكتب و لا ... و لا

و بحجّة انّ لنا عيناً نرى بها ، و أذناً نسمع بها ، و لساناً نتكلّم به ، و يداً نكتب بها . فهذا الكلام خاطئ و لا محلّ له ، لأن العين و الأذن و اللسان ميّنة بدون القلب لا دور لها و لا عمل ، و إنّما وجد ذلك الإبصار في العين ، والسمع في الأذن بسبب قوّة القلب .

انّ العين تتعرّض في كلّ لحظة لألاف الأفات و حالات الفساد الخارجيّة ، و الأمر كذلك بالنسبة للأذن و لسائر الأعضاء الأخرى ، لكنّ القلب لا يقتر لحظة عن المراقبة و الدفاع و إيصال الدم كطعام و دواء من أجل دفع الاعتداءات الخارجيّة و موجبات الفساد الأخرى و الميكروبات المهلكة . لذا فإنّ العين و الأذن تعيشان تحت ولاية و سلطان القلب الذي يمثّل الجهاز المنظمّ لعمل تلك القوى ، و الذي يمدّ سائر أعضاء الجسم بالحياة .

أمّا من الناحية المعنوية ، فإنّ المخّ هو الذي ينظمّ عمل هذه القوى والأعضاء ، فالعين ترى فقط ، اي أنّه اثر انعكاس النور فإنّ صورةً للشئ المرئيّ ستعكس في شبكيّتها ، أمّا ماهيّة هذا الصورة و ما الذي سنفعله بها ؟ فإنّ ذلك ليس من وظيفة العين ، بل من وظيفة المخّ الذي يأخذ هذه الصورة و يدقّق فيها و يهيّؤها لإستفادة الانسان .

لذا فإنّ الذين يتعاطون الخمر فيثملون ، او الذين يُصيبهم الإغماء او الجنون ، لم يحصل في أعينهم نقصٌ ما ، بل انّ عيونهم سليمة تعمل بوظيفتها جيّداً في عكس الأشعة و إظهار الصورة المرئية ، لكنّ جهاز المخّ و الفكر صارا لا يعملان بوظيفتهما المعتادة ، لأنّ مجموعة الأعصاب التي تنقل الصورة الى المخّ قد تعطلّت عن عملها بوظيفتها ، فصارت سلسلة الأعصاب توصل هذه الصورة الى المخّ فلا يستطيع تمييزها و الإفادة منها في محلّها .

لذا نشاهد انّ الشخص الثمل لا يُميّز بين أخته و أمّه و زوجته ، فيحاول الإعتداء عليهنّ ، أو أنّه يتحرّك في معبرٍ عامّ عارياً ، فلا يمكنه ان يشخص انّ صورة المعبر التي كانت محفوظةً في قواه الذهنيّة سابقاً مطابقةً لصورة هذا المعبر أم لا كي يحكم بعدم جواز الحركة في هذا المعبر عارياً .

و هذا الثمل السكران يهذي و يصيح بصوت عال ، و يعمل اعمالاً مُستهجنة أمام الآخرين ، و لا يأبى أكل الخبائث ، و لا يُبالي بارتكاب الجنایات ، بالرغم من أنّ قواه السميّة و الذوقيّة و الشميّة تعمل بوظيفتها . و ذلك لأنّ جهاز المخّ المنظمّ و المراقب لا يعمل بوظيفته في هذه الحالة لأنّه قد تعطلّ . لذا فإنّه لن يعجز فقط عن الرؤية و تمييز الأشياء ، أو أن يسمع بأذنه و يعمل بيده ، بل أنّه سيصرف هذه القوى في إهلاك نفسه وإفسادها ، و سيقطع بيده أغصان حياته و يستنصل جذورها .

و بناءً على هذا فإنّ وجود جهاز المخّ في الجسم أمر حيويّ من أجل استخدام هذه الأعضاء و

الجوارح و أعمال كلّ منها في مواقع الحاجة ، ولتطبيق الصور الحاصلة مع الصور المحفوظة سابقاً في الذاكرة و الأحكام الصحيحة المترتبة عليها ، و لذلك نرى أنّ المجنون الذي فقد قواه العقلية لا يترتب على رؤيته و قوله و فعله أيّ نتيجة صحيحة .

و لو تركنا الإنسان جانباً فاننا سنجد في الحيوان كذلك قلباً و مخاً لا يستطيع أيّ حيوان بدونهما الاستمرار في الحياة و في أداء وظائفه و لو كان ذا خلية واحدة .

و الأمر كذلك في الجمادات أيضاً ، فإنّ الشيء الذي يرسم لها وحدتها و يجعلها تحت خاصية و كيفية واحدة هو الروح و النفس الواحدة التي كانت جارية فيها قبلاً . و لذا فإنّها تمتلك خاصية واحدة و يُشاهد عنها آثار واحدة . و قد جرت الاستفادة من هذا الأمر في التقنية و صناعة السيارات ، فاستطاعوا . بإيجاد آلات منظمة و معدلة . لتنظيم حركة العجلات والمحركات .

اننا حين نريد ملء الساعة و نصبها ، فإنّ ضغط النابض سيكون قوياً في البدء ، و سيحاول تحريك العجلات المسننة بسرعة ، أمّا حين يرتخي النابض و يقلّ ضغطه ، فإنّه سيحاول تحريك تلك العجلات ببطء . و لهذا السبب فقد وضعوا في الساعة جهازاً بإسم (البندول أو الرقاص) ليقوم بتنظيم الحركة ، بحيث تتحرّك الساعة في كلّ الأحوال على منوال واحد ، سواءً كان ضغط النابض قوياً أو ضعيفاً ، فتنظّم الوقت بشكل صحيح .

كما أنّ الماكينات البخارية المستعملة في المعامل الكبيرة اذا خلت من المنظّم فإنّها ستتحطّم بأجمعها ، لأنّ قدر البخار سيولّد عند غليانه كميات ضخمة من البخار اذا ما اندفعت خلف المكابس فإنّ الألات ستدور ائذناك بسرعة هائلة فتؤدّي الى تحطّم الماكينة . أمّا حين تتخفّض الحرارة في قدر البخار فإنّ من الممكن ان تتخفّض السرعة تبعاً لذلك . و لذلك يوضع في هذه الألات منظّم للضغط»~ (pressure Regulator) لينظّم وصول كميات البخار الى المكابس ، و لا يسمح بوصول الفائض من البخار الى المحركات ، بل يقوم بخزنه في مخزن الذخيرة ليفيد منه عند انخفاض ضغط البخار ، فيرسله ائذناك مع البخار المولّد ، و بذلك تتحرّك المحركات بشكل منظّم و هادئ دائماً في السرعة الخاصة المطلوبة .

و يحتاج المجتمع البشري من أجل تغيير القوى و تنظيم الأمور ورفع الإختلافات بين الناس و منع التعديّات على حقوق الفرد و المجتمع ، ولهداية جميع الأفراد الى مقصد الكمال و الهدف من الخلقة و نيل المُنَى من جميع القوى و الكنوز الالهية ، الى منظّم صحيح ، و إلّا لهلك المجتمع ولما استطاع أن يستفيد من كنوز الحياة .

ضرورة وجود الإمام المعصوم في المجتمع :

إنّ الإمام هو المنظّم لعالم الإنسانيّة و المجتمع ، لذا يتحتّم أن يكون ذا قوى متينة و أفكار صائبة و آراء قادرة ، ليكون مشرفاً على أعمال الأمة وأفعالها ، و ليسوسها بالتنظيم و العدل . و تسأل هنا : أيستطيع الإمام . ترى . أن يصلح المجتمع اذا كان نفسه يُخطىء و يُبتلى بالمعصية والإثم شأنه شأن أفراد المجتمع الآخرين ، أو إذا كان مثلهم مُصاباً بالهوس و الشهوة ؟

أو يمكنه ءانذاك أن يرفع الإختلاف فيما بينهم ، فيُعطي كلّ ذي حقّ حقّه ، و يقف في وجه الإعتداءات ، و يمنح العيش لجميع أفراد المجتمع ، و يعلمهم المعارف و الحقائق حسب استعدادهم و حاجتهم ، و يُبين لهم موارد الخطأ و الزلل في سلوكهم الى الله و وصولهم الى مقصد الكمال ؟
كلاً و حاشا !

و على هذا فإنّ قائد المجتمع و زعيم الناس و إمامهم يجب أن يكون معصوماً عن الإثم و عارياً عن أي خطأ و زلل ، كما ينبغي أن يكون ناظراً الى الأحوال و الأفعال و الخواطر القلبية لكلّ واحد من أفراد الأمة بفكرٍ عميقٍ متنّسح ، و صدرٍ منشرح بنور الله ، و قلبٍ مُنّور بالتأبيدات الغيبية .
على أنّ بعض العامة يقول بعصمة الأنبياء ، و بعضهم يقول بمرتبة ضعيفة من عصمتهم ، بينما ينكر البعض الآخر العصمة فيهم ، فلا يعتبرهم مصونين بأيّ وجه عن الأخطاء و المعاصي . إلا أنّ الشيعة عموماً يشترطون العصمة للأنبياء بجميع معانيها ، كما يقولون بالعصمة للأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

عصمة الأنبياء على ثلاث مراحل :

و سنتحدّث في اثباتنا لهذا الموضوع عن عصمة الأنبياء ، فنثبتها من القرآن الكريم ، ثم نتحدث عن الأئمة عليهم السلام .

أما بشأن الأنبياء فنقول : أنّ العصمة مورد البحث في ثلاثة موضوعات :

1 . في موضوع تلقّي الوحي ، اي أنّ قلب النبيّ يجب ان يكون منزهاً عن الخطأ عند نزول الوحي ، فيتلقّى ذلك الوحي كما نزل ، لا يزيد في التلقّي عليه و لا يُنقص ، و لا يجليّ في نفسه ذلك الوحي إلا في حقيقته الواقعة .

2 . في موضوع تبليغ الوحي : اي أنّ على النبيّ أن يبلغ الوحي كما أخذه ، دون أن يُخطئ أو ينسى فيما أوحى اليه ، و دون أن يزيد أو ينقص في أدائه للوحي شيئاً على صورته الحقيقية .

3 . المعصية و الذنب : فالنبيّ لا يرتكب أيّ عمل يُخالف مقام العبودية لله أو يتنافى مع الاحترام أو يهتك حرمة مقام المولى ، سواءً في أقواله أو في أفعاله . و إجمالاً فإنّ هذه المراحل الثلاث يمكن تلخيصها في جملةٍ واحدة : أي وجود أمرٍ من جانب الله لدى الإنسان المعصوم يصونه عن الخطأ و المعصية .

أما الخطأ في غير هذه المواضع ، مثل الخطأ في الأمور الخارجية نظير الالتباسات التي تحصل في حواسّ الإنسان ، أو في إدراكات الأمور الإعتبارية ، و نظير الخطأ في الأمور التكوينية من النفع و الضرر و الصلاح و الفساد ، فهي خارجةٌ بأجمعها عن محل النزاع و الكلام بين الشيعة و السنة .

أما تلك المراحل الثلاث من العصمة فتدلّ عليها الآيات القرآنية ، كقوله تعالى :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَ جِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . (2)

و تبين هذه الآية أنّ الغرض من إرسال الأنبياء و إنزال الوحي والكتاب إنما هو دعوة الناس الى الحقّ ، و هديهم الى طريق الحقّ والصواب في جميع موارد الاختلاف قولاً و فعلاً و اعتقاداً .

و هذا هو هدف الخلقة من بعث الأنبياء ؛ لأنّ الله تعالى لا يضلّ في هذا القصد بمفاد الآية :

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسَى . (3)

و هو بالغ أمره و هدفه ، لا يصدّه عنه رادع و لا يمنعه مانع ، بمفاد الآية الشريفة :

إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا . (4)

و مفاد الآية الكريمة :

وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ . (5)

و ينبغي . بناءً على هذا . لحفظ الوحي عند إنزاله و إبلاغه و أدائه أن يُصان الأنبياء من أي خطأ و زلل ، لأنّ قلب النبيّ اذا أخطأ عند تلقّي الوحي أو تبليغه ، فإنّ الهدف من رسالته سيكون غير متحقّق ، لأنّ المفهوم من الرسالة هو الدعوة الى الحقّ :

وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ .

و سيتردّد الأمر في حالة الخطأ بين أن يكون الله تعالى قد أخطأ ونسي في انتخاب الرسول و طريقة إنزال الوحي على قلبه ، أو أن غرضه كان الدعوة الى الحقّ لكنّه أخطأ في طريقة انزال الوحي على قلب النبيّ على نحو لا يكون معه عُرضة للتغيير و التبديل ؛ و هذا ليس صحيحاً بمقتضى قوله تعالى :

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسَى .

أو أنّ غرضه كان الدعوة الى الحقّ ، و لم يحصل في إجراء هذه الدعوة أي خطأ و التباس ، ولكن ظهرت عوائق خارجيّة حالت دون تحقيق أمر الله ، و هذا أيضاً مستحيل بمفاد الآية الكريمة :

إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ . و الآية :

وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

و بناءً على هذه المقدمات ، فإنّ الله سبحانه و تعالى يحفظ الأنبياء حتماً من الخطأ و الالتباس في كيفية تلقّي الوحي و إبلاغه ، و يطهر قلوبهم و يُصفيها بحيث ينعدم فيها اثر إنزال الوحي أي موج أو ارتعاش أو تزلزل يكون باعثاً على قلب و تغيير كيفية و واقعية الوحي ، و بحيث لا يبقى فيها أي أثر للإضطراب أو الإبهام الباعث على تأويل و تفسير الإدراكات الواقعية على غير حقيقتها و واقعيتها . و هذا هو معنى حقيقة العصمة في مرحلتي تلقّي الوحي و إبلاغه . و أمّا في المرحلة الثالثة و هي صونهم وعصمتهم عن المعاصي ، فمن الممكن . ببيان مقدّمة أخرى . أن نعتبر دلالة الآية السابقة عليها دلالة تامّة . و هي انه لو عصى نبيّ او ارتكب إثماً فانه سيكون بفعله هذا قد أجاز هذا العمل و

أباحه لأمته ، لأنّ العاقل لا يفعل شيئاً إلا إذا كان حسناً ؛ فإذا ارتكب المعصية في حالٍ يأمرُ فيها قولاً بخلافها ، فإنّ ذلك سيبيح على التهافت و التناقض ، و سيكون قد دعا بفعله و قوله الى أمرين متناقضين ، فهو يمنع الناس بقوله و كلامه من ذلك العمل ، ثم يُثبت بفعله له إباحة ذلك العمل و يرخّص لأمته فيه .

و من المعلوم أنّ الدعوة الى المتناقضين ليست دعوةً للحقّ ، لأنّ ذنوب المتناقضين سيبيط أحدهما الآخر ؛ و الله سبحانه الذي يبعث الأنبياء للدعوة الى الحقّ لا يجعلهم دعاةً الى الأمور المتناقضة ، بل يصونهم عن فعل غير الحقّ و عن اي معصية ، لأنّ عصمة الأنبياء في إبلاغ الرسالات وأداء وحيهم كما ينبغي سوف لن تكون تامّة بدون العصمة عن مقام المعصية ؛ و قد اتّضح بهذا البيان أنّ الآية السابقة تدلّ على عصمة الأنبياء في ثلاث مراحل : التلقّي ، و إبلاغ الوحي ، و في مقام الخطأ و المعصية .

كما ان الإمام . و هو الحافظ للشريعة و المبيّن للأحكام و الحارس للقانون بالنسبة للأمة . حائز على مقام قلب النبيّ و إدراكه ، و لا فرق بينه وبين النبيّ من وجهة النظر هذه ، إلا أنّ النبيّ هو الذي يأتي بالشريعة والكتاب ، و الإمام هو الذي يقوم بإبلاغها و المحافظة عليها . و الأدلّة التي تفيد في اثبات عصمة الأنبياء واردة بعينها في اثبات عصمة الإمام .

روى الحجّة الكليني في كتاب (الكافي) (6) ، عن عليّ بن ابراهيم ، عن والده ، عن حسن بن ابراهيم ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حُمران بن أعين ومحمّد بن النّعمان و هشام بن سالم و الطّيار و جماعةٌ فيهم هشام بن الحَكَم (7) و هو شابّ ، فقال أبو عبدالله عليه السّلام : يا هشام ! ألا تخبرني كيف صنعتَ بعمر بن عبيد ؟ فقال هشام : يا ابن رسول الله إنّني أُجلك و أستحييك و لا يعمل لساني بين يديك . فقال أبو عبدالله : إذا أمرتكم بشيء فافعلوا .

قال هشام : بلّغني ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه في مسجد البصرة ، فعظّم ذلك عليّ ، فخرجتُ اليه و دخلتُ البصرة يوم الجمعة فأتيْتُ مسجدَ البصرة ، فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد و عليه شملة سوداء مُتّزراً بها من صوف ، و شملة مُرتدياً بها ، و الناس يسألونه ، فاستفرجتُ الناس فأفرجوا لي ، ثمّ قعدتُ في آخر القوم على ركبتيّ ثمّ قلتُ : أيّها العالم ! إنّني رجلٌ غريبٌ تأذنُ لي في مسألة ! فقال لي : نعم !

فقلتُ : ألكَ عينٌ ؟

فقال : يا بُنيّ أيّ شيء هذا من السؤال ، و شيء تراه كيف تسألُ عنه ؟

فقلتُ : هكذا مسألتي .

فقال : يا بُنيّ سلّ و إن كانتُ مسألتيك حمقاء .

قلتُ : أجبني فيها .

قال لي : سلّ !

قلتُ : أَلَكَ عَيْنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ فما تصنعُ بها ؟

قال : أرى بها الألوان و الأشخاص .

قلتُ : فَأَلَكَ أَنْفٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أشمُّ به الرَّائِحَةَ .

قلتُ : أَلَكَ فَمٌّ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أذوقُ به الطَّعْمَ .

قلتُ : فَأَلَكَ أُذُنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ بها ؟

قال : أسمعُ بها الصَّوْتِ .

قلتُ : أَلَكَ قَلْبٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أُمَيِّزُ به كُلِّمَا وَرَدَ على هذه الجوارح و الحواسِّ .

قلتُ : أَوَلَيْسَ في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

فقال : لا .

قلتُ : و كيف ذلك و هي صحيحةٌ سليمةٌ ؟

قال : يا بُنَيَّ ! إِنَّ الجوارح إذا شكَّت في شيءٍ شَمَّتُهُ أو رأته أو ذاقته أو سمعته رَدَّتُهُ الى القلب

فَيَسْتَتِقِنُ اليقينَ و يُبْطِلُ الشكَّ .

قال هشام : فقلتُ له : فإنما أقامَ اللهُ القلبَ لشكِّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلتُ : لأبْدُ من القلب و إلا لم تستيقن الجوارحُ ؟

قال : نعم .

فقلتُ له : يا أبا مروان (8) ، فاللهُ تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتَّى جعل لها إماماً يُصحِّح لها

الصحيحَ و يتيقنُ به ما شكَّ فيه و يتركُ هذا الخلقَ كلَّهم في حيرتهم و شكِّهم و إختلافهم ، لا يُقيم لهم

إماماً يردون إليه شكِّهم و حيرتهم و يُقيم لك إماماً لجوارحك تردُّ اليه حيرتك و شكِّك !؟

قال : فسكتَ و لم يقل لي شيئاً ، ثم التفت إليّ فقال لي : أنت هشامُ بن الحكم ؟ فقلتُ : لا .

قال : أَمِنْ جُلُسائِهِ ؟

قلتُ : لا .

قال : فمن أين أنتَ ؟

قال : قلتُ : من أهل الكوفة .

قال : فأنتَ إذاً هو . ثم ضمّني إليه و أقدمني في مجلسه و زال عن مجلسه و ما نطق حتى قمتُ

قال : فضحك أبو عبدالله عليه السلام و قال : يا هشام . من علمك هذا ؟

قال : شيءٌ أخذته منك و ألفتُهُ .

فقال : هذا والله مكتوبٌ في صُحُف إبراهيم و موسى . (9)

و باعتبار أنّ الإمام بمنزلة قلب العالم و محّه ، فإنّ سروره و حُزنه سيؤثر في جوارحه و أعضائه

أي في جميع مخلوقات الله واحداً فواحداً .

بكاء جميع المخلوقات في عزاء شهادة سيد الشهداء عليها السلام

يقول السيوطي في (الخاص الكبرى) : و أخرج الحاكم و البيهقي و أبو نعيم عن الزهري قال : لَمَّا

كَانَ صَبَاحُ قُتَيْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ إِلَّا وَجِدَ تَحْتَهُ دَمٌ .

و أخرج أبو نعيم من طريق الزهري عن سعيد بن المسيّب قال : صَبِيحَةُ يَوْمِ قُتَيْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي

طَالِبٍ ، لَمْ تُرْفَعْ حَصَاةٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَتَحْتَهَا دَمٌ عَبِيْطٌ . (10)

و يروي الشيخ الصدوق في كتابي (علل الشرايع) و (الأمالي) بسند واحد عن جبلة المكيّة قالت :

سمعتُ ميثم التمار (قدّس الله روحه) يقول : و الله لتقتل هذه الأمة ابن نبيّها في المحرم لعشرٍ يمضين

منه ، و ليتخذنّ أعداءُ الله ذلك اليومَ يومَ بركة ، و إنّ ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره ،

أعلمُ ذلك بعهدٍ عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، و لقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء ،

حتّى الوحوش في الفلوات و الحيتان في البحر و الطير في السماء ، و يبكي عليه الشمسُ و القمر و

النجومُ و السماء والأرض و مؤمنو الإنس و الجنّ و جميع ملائكة السماوات و الأرضين و رضوانُ و

مالكُ و حملةُ العرش ، و تمطرُ السماءُ دماً و رماداً .

ثمّ قال : وجبت لعنةُ الله على قتلة الحسين عليه السّلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع

الله إلهاء آخر ، و كما وجبت على اليهود والنصارى و المجوس .

قالت جبلة : فقلتُ له : يا ميثم ! فكيف يتخذ الناسُ ذلك اليومَ الذي قُتِلَ فيه الحسينُ عليه السلام

يومَ بركةٍ ؟ فبكى ميثم رضي الله عنه ثمّ قال : يزعمون لحديثٍ يضعونه أنّه اليومَ الذي تابَ الله فيه

على آدم ، و أنّما تاب الله على آدم في ذي الحجة ؛ و يزعمون أنّه اليومَ الذي قبل الله فيه توبةَ داود

، و إنما قبلَ اللهُ عزَّوجلَّ توبتهُ في ذي الحجة ، و يزعمون أنه اليوم الذي أخرج اللهُ فيه يُونسَ من بطن الحوت ، و إنما أخرج اللهُ عزَّوجلَّ يونسَ من بطن الحوت في ذي الحجة ؛ و يزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينةُ نوحٍ على الجودي ، و إنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة ؛ و يزعمون أنه اليوم الذي فلقَ اللهُ تعالى فيه البحرَ لِنبيِّ إسرائيل و إنما كان ذلك في ربيعِ الأوَّل .

ثمَّ قال ميثم : يا جبلةُ ! إعلمي أنّ الحسينَ بن عليٍّ عليه السلام سيّد الشهداء يوم القيامة ، و لأصحابه على سائر الشهداء درجة . يا جبلةُ اذا نظرتِ السماءَ حمراءَ كأنّها دمٌ عبيط فاعلمي أنّ سيّد الشهداء الحسينَ قد قُتِل .

قالت جبلةُ : فخرجتُ ذاتَ يومٍ فرأيتُ الشمسَ على الحيطان كأنّها الملاحفُ المعُصفرةُ ، فصحتُ حينئذٍ و بكيتُ و قلتُ : قد واللهِ قُتِلَ سيّدنا الحسينَ عليه السلام . (11)

تعليقات:

- (1) الآية 213 ، من السورة 2 : البقرة .
- (2) الآية 213 ، من السورة 2 : البقرة .
- (3) ذيل الآية 52 ، من السورة 20 : طه .
- (4) ذيل الآية 3 ، من السورة 65: الطلاق
- (5) ذيل الآية 21 ، من السورة 12 : يوسف
- (6) أصول الكافي) ، المجلد الأول ، ص 169 ، كتاب الحجّة ، باب الإضطرار الى الحجّة .
- (7) ولد هشام بن الحكم في الكوفة ، و نشأ و ترعرع في واسط ، ثم عمل بالتجارة في بغداد و سكن هناك الى آخر عمره ؛ و قد نُقلَ مدحُه و الثناء عليه عن الأئمة الصادق والكاظم و الرضا عليهم السلام . كان راوياً للحديث و له أصل في الأصول الأربعمئة الشيعيّة ، و كان من أجلة محدّثين و مهرة المتكلمين و المناظرين ، و كان له في فتوته مهارة كبيرة في فنّ المناظرة (رجال الميرزا محمد بن علي الأردبيلي المعروف ب (جامع الرواة) ج 2 ، ص 313 وهذه الرواية يرويها المجلسي أيضاً في (بحار الأنوار) ج 7 ، ص 3 ، نقلاً عن (إكمال الدين) و(علل الشرايع) و (الأمالي) للشيخ الصدوق .
- (8) أبو مروان) كُنية عمرو بن عبيد .

(9) يروي الصدوق هذه الرواية في (الأمالي) ، ص 351 ، عن سعد بن عبدالله ، عن ابراهيم بن هاشم ، عن اسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبدالرحمن ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حُمران بن أعين ومؤمن الطّاق و هشام بن سالم و الطيّار و جماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم و هو شابٌ ؛ ثمَّ ينقل عين الحديث الى آخره . و أورده المرحوم المجلسي في (بحار الانوار) الطبعة الكمباني ج 14 ، ص 549 (السماء و العالم) ، و في الطبعة الحروفية ج 61 ، ص 248 عن (أمالي الصدوق) .

(10) الخصائص الكبرى) ، ج 2 ، ص 124 ، حسب نقل (شيعه در اسلام) للسبط ، القسم الثاني

، ص . 124

(11) الأمالي) للصدوق ، ص 77 ، و (علل الشرايع) ج 1 ، ص 228 ، الباب 162 ؛ وينقل

المجلسي هذه الرواية عن الشيخ الصدوق في (بحار الأنوار) الطبع الكمباني ، ج 10 ، ص . 224
هذه الرواية عن الشيخ الصدوق في (بحار الأنوار) الطبع الكمباني ، ج 10 ، ص . 224

الدرس الثاني : بيان أصل الوراثة في العصمة

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ءَالِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (1) .

قانون الوراثة أصل مهم جرت مطالعته بدقة في جميع شؤون الموجودات ، من الإنسان و الحيوان و النبات ، حيث استحصلت منه آثار و نتائج هامة ؛ ويمكن القول أنه أحد السنن الالهية التي لا تتبدل و لا تتغير . إنَّ التمعن في أفراد البشر و ملاحظة إنتقال الخصوصيات و الكيفيات من نطفة الأب و الأم و لقاحها و ظهورها على هيئة جنين ثم ظهورها في الطفل ، سيثبت هذا الأساس بصورة كلية لدى الإنسان .

إنَّ نطفة الانسان هي ذرة من نظامه الوجودي تتراكم فيها و تندمج جميع الأثار و الخصائص الإنسانية و توجد في صورة القوة و الاستعداد . وعندما تستقر النطفة في رحم الأم في وعائها الخاص و شرائطها الخاصة ، فإنها تصل الى مرحلة الفعليّة و تظهر بصورة النسر مُشيرةً الى جميع الخصائص المادية و الأخلاقية و الروحية التي حصل عليها الجنين من والديه .

فالولد لا يرث من أبيه لون الجلد و شكل الأعضاء و الجوارح و تركيب العظام فقط ، بل أنه يرث كذلك التشابه في كلّ ذرة من الدّم و في كلّ خلية لا تُرى ؛ بحيث أنه لو حصل هناك شكّ في الطفل ، فإنه يمكن تعيين أبيه الحقيقي عن طريق فحص الدم .

و ليس ذلك الا لأنّ الطفل في الحقيقة فرع أو غصن تفرّع من شجرة وجود أبيه و أصله الماديّ و المعنويّ ، فصار يُحاكي ذلك الاصل في جميع خواصّه . و بغضّ النظر عن العين و الدماغ و الأذن و القلب و المعدة و الكلية و العظام و الهيكل ، فإنّ الطفل يكتسب من أبويه بعنوان الوراثة خواصّ الوجود و آثاره ، حتّى في الأجزاء البسيطة المجهريّة . حتّى أنّ بعض الأمراض تنتقل اليه من أجداده عن طريق الوراثة ، فإن لم تظهر هذه الأمراض في النسل الأول أو الثاني ، فإنّ تلك الامراض ستحفظ في مرحلة التطورّ و التغير في عدّة أجيال حتى تنتهي مرحلة كمونها فتظهر في أجيال أخرى حين تتحقّق شرائط وجودها .

و هذه الخصائص و الأثار لا تنتقل من الوالد الى نطفته فحسب ، بل إنّ آثارها الوجودية ستكون مشهودة واحدة في جميع خلايا الإنسان . ويمكن القول بأنّ هناك في كلّ ذرة من جسم الإنسان إنساناً كاملاً على نحو الاستعداد و القوة الوجودية ، بحيث اذا توقّرت له شرائط التربية و التكامل فإنه سيظهر

في هيئة إنسان كامل .

و بعبارة اخرى فليس هناك في النطفة وحدها إنسان كامل يظهر في الرحم و الظرف المستعدّ ، بل انّ هناك في كلّ خلية إنساناً كاملاً موجوداً على نحو الوراثة و انتقال مراتب الوجود . و على الرغم من أنّهم لم يتمكّنوا عملاً من تلقيح خلية رجل مع خلية امرأة في وعاء معدّ خاص لإيجاد طفل خارج و عاء الرحم ، لكنّ ذلك ليس دليلاً قاطعاً على إمتناع هذا الأمر ، بل انّ هناك أدلّة قد أقيمت على إمكانه . ولربّما سيرى البشر يوماً من خلال تقدّم مسيرة العلم ، نشوء طفل من تلقيح خلايا المرأة و الرجل في أوعية معدّة و مناسبة خارج بدن الأم ، فيظهر في زمن قصير مليارات الأطفال من امرأة و رجل واحد .

و هذا الموضوع على اثر ذلك الاصل في الوراثة الذي يجعل جميع خصائص الفرد مؤثّرة في كلّ ذرّة من ذرّات بدنه ، فتحكي تلك الذرّة جميع الآثار الوجوديّة لذلك الشخص . كما انه يُشاهد في النباتات انّ أصل الوراثة قد فعل فعله ليس فقط عن طريق زرع البذور في الأرض ، بل و عن طرق شتّى أخرى كالتكثير بالأقلام ، و عن طريق التطعيم ، حيث تنشأ بذلك شجرة تُناظر أصلها الذي أخذت منه ، و سيحمل ذلك الغُصن المقطع جميع خصائص الشجرة من الجذر و الساق و الأوراق و الثمار نظير جذر و ساق و أوراق و ثمار أصله الذي اقتُطع منه .

و كذلك الحال في عملية التكثير بالبراعم ، فإنّ البراعم المطعمّة ستجعل ساق الشجرة الأخرى رحماً لتربيتها ، فتتمو هناك و تنشأ و تظهر فيها جميع آثار أصلها بدون أيّ تحطّ أو أدنى تجاوز .

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (2) .

و اذا ما تجاوزنا الماديّات و مراتب الظهور الطبيعي في الإنسان إلى الأفكار و الأخلاق و الروحيّات ، فانتنا سنرى أنّ الطفل يتأثر و راثياً أيضاً بأصله ، فتظهر فيه عن طريق النطفة غرائز و أخلاق و الديه ، و من تركيب تلك النطفتين فإنّ مجموعاً مركباً منهما سيُظهر الطفل بأخلاق خاصة هي نتاج غرائزوالوالدين معاً .

فالولد الذي له والدان يتصّفان بالشجاعة سيكون شجاعاً بالتأكيد ، أمّا إذا كان والداه يتصّفان بالجبن و الخوف فانه سيصبح جباناً ، و اذا كانا سخيّين فانه سيكون سخيّاً ، أو كانا لئيمين أو مُضحيين فانه سيمثلهما في ذلك . كما انّ الوالدين العاقلين سينجبان ولداً عاقلاً ، فإن كانا أبلهين صار طفلهما أبلهاً . و على أيّ حال فإنّ جميع الأخلاقيّات و الغرائز الروحيّة للولد لن تخرج عن أصل الوالدين ، بل هي تابعة الى صفاتها ، و ناتجة عن اللقاح و الفعل و الانفعال لقواهما الروحيّة و الأخلاقيّة .

و قد يحصل أحياناً أنّ شخصاً عاقلاً يخرج من صلبه ولدٌ جاهل ، والعكس صحيح ، و بالطبع فإنّ ذلك سيكون ناجماً من شرائط و ظروف التربية في الرحم ، أو من انتقال نطفة أحد أجداده الذين كانوا كذلك ، فظهرت هذه الصفة في هذا النسل ، و هذا بالطبع ينطبق على أصل الوراثة .

و كما انطبق أصل الوراثة في الإنسان ، فانه ينطبق كذلك على النباتات و الحيوانات ، فولد الذئب سيكون ذئباً ، و ولد الخروف خروفاً وولد الأسد أسداً ، ثم انّ آثار اولئك و كفيّتهم تنتقل الى الأجيال والطبقات التالية نسلًا بعد نسل من وجهة نظر كفيّية تشكيل الجسم والخلايا الجسميّة و

الصفات الروحية . و الأمر في النباتات كذلك ، فورد الياسمين ينتج ياسميناً ، و الورد المحمدي ينتج ورداً محمدياً يتبع أصله في شكله ولونه و رائحته ، كما أنه لن يخرج من شجرة التفاح إجاص و لو مضى عليها ألف عام ، و لو تعاقبت الأجيال .
بلى ، لقد كان أصل الوراثة أساس عالم الوجود ، و هذه الظهورات ستستمرّ و تتقدّم طبقاً لهذه السنن

فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (3) .

و لقد حفظ أصل الوراثة ثباته و بقاءه في جميع الشؤون المذكورة ، والأهمّ و الأعلى من ذلك بقاءه و ثباته في المعنويات و الأسرار الالهية .

إنّ الله سبحانه و تعالى خلق آدم أبا البشر و جعله خليفته في الأرض ، و جعل قلبه مركز تجليات أنوار جماله ، و جعل عقله قوياً و صدره منشرحاً و قلبه متسعاً ، بحيث يمكنه الاطلاع على جميع أسرار عالم الكون ، و العلم بحقائق الموجودات ، و تمزيق حجب الأوهام ، و الاستقرار في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (4) . و الوصول الى مقام الاطمئنان ، والاطلاع على أسرار الغيب ، و محادثة الملائكة ، و السكنى في حرم الأمن و الأمان الالهيّ ، فيصبح قلبه مركز تجليات أسماء و صفات المعبود جلّ شأنه .

و هكذا فإنه سيُشاهد رأي العين إحاطة قدرة و علم و حياة الله في جميع مراحل الوجود ، و سُيناجي ربه و يتكلّم معه من السرّ و الباطن ، وسيُفوز بمقام:
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَ هُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (5) .

و البقاء ببقاء الله بعد فناء النفس ، و طيّ أسفاره الأربعة ليكون مرءاة تامّة و مظهراً تاماً كاملاً للحضرة الأحديّة .

و قد أودع هذا النور في آدم عليه السلام منذ بدء الخلق ؛ وبمقتضى : وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (6) .

و كذلك بمفاد قوله :

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (7) .

فإنّ آدم وحده جوهر عالم الوجود ، و هو وحده اللؤلؤة الثمينة في صدف عالم الكون ، و خزينة أسرار الحضرة الربوبية التي طلعت و ظهرت فيه الى حدّ ما . و بموجب أصل الوراثة فقد انتقل ذلك السرّ الى أبناء آدم ، فظهر و برز في الأنبياء واحداً بعد الآخر كلاً بدوره ، و بمراتب الاختلاف التي تُشاهد فيهم ، فأصبح كلّ واحد منهم مركزاً لتجلّي ذلك النور بقدر استعداده و ظرفيته .

تِلْكَ الرَّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ ءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (8) .

الى أن وصل الدور الى خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه و ءاله ، فأشرق ذلك النور فيه على أتمّ نحوٍ و أكمله ، و بمقتضى أصل الوراثة فقد مرّ في دور الكمون في أصلاب الأباء ، و ها قد وصل الى مرحلة الظهور و البروز ، و أشرق كما ينبغي له بلا زيادة و لا نقصان لذا فإنّ شريعته صلوات الله و سلامه عليه ناسخة لجميع الأديان ، ودينه متمّم و مكمل لجميع الأديان ، و باقٍ و خالد الى يوم القيامة .

و قد حصلت هذه الآثار بواسطة سعة روح النبيّ و سعة قلبه المبارك ، و ليست أمراً اعتبارياً تشريفاً ، ثمّ أنّها انتقلت في ذريّته ، اي أنّ ذلك النور انقسم الى قسمين ، أحدهما في نفسه المباركة و الآخر في نفس أميرالمؤمنين عليه السلام ، و انتقل من لقاح نور أميرالمؤمنين عليه السلام والصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها الى ذريّتهما ، حيث قال صلوات الله و سلامه عليه :

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ وَ جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . (9)

و روى أحمد بن حنبل ، و هو أحد كبار أئمة أهل السنّة ، عن سلمان الفارسي ، تبعاً لرواية كتاب (الرياض النضرة) أنّه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ يَقُولُ : كُنْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ءَادَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ ءَادَمَ قَسَمَ ذَلِكَ النُّورَ جُزْئَيْنِ جُزْءٌ أَنَا وَ جُزْءٌ عَلِيٌّ . خرّجه أحمد في المناقب (10) .

و يحدث أيضاً في (ينابيع المودّة) نقلاً عن كتاب (مودّة القريب) ، عن عثمان أنّه روى عن رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم :

خُلِفْتُ أَنَا وَ عَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ ءَادَمَ بِأَرْبَعَةِ ءَالَافِ عَامٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ ءَادَمَ رَكِبَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ فَلَمْ يَزَلْ شَيْئاً وَاحِداً حَتَّى افْتَرَقْنَا فِي صُلْبِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَفِي النَّبُوَّةِ وَ فِي عَلِيِّ الْوَصِيَّةِ (11) .

و ينقل المؤرّخ الأمين الحسين بن علي المسعودي في (مروج الذهب) روايةً جامعة عن أميرالمؤمنين عليه السلام حول ابتداء الخلقة و كيفية خلق نور محمّد و ءال محمد عليهم السلام ، و عن كيفية انتقال ذلك النور في النشآت المختلفة الى أن يصل الى خلقة الملائكة و خلقة ءادم ، ثم يقول :

ثُمَّ نَبَّهَ ءَادَمَ عَلَى مُسْتَوْدِعِهِ ، وَ كَشَفَ لَهُ [عَنْ] خَطَرِ مَا ائْتَمَّنَهُ عَلَيْهِ ، بَعْدَ مَا سَمَّاهُ إِمَاماً عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ .

فَكَانَ حَظُّ ءَادَمَ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَوَاهُ مِنْ مُسْتَوْدِعِ نُورِنَا ، وَ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَعَالَى يَخْبَأُ النُّورَ تَحْتَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ فَضَّلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ فِي ظَاهِرِ الْفَتَرَاتِ .

فَدَعَى النَّاسَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَ نَدَبَهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً ، وَاسْتَدْعَى عَلَيْهِ السَّلَامَ التَّنْبِيَةَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَى الذَّرِّ قَبْلَ النَّسْلِ .

فَمَنْ وَافَقَهُ وَ قَبَسَ مِنْ مِصْبَاحِ النُّورِ الْمُقَدِّمِ ، اهْتَدَى إِلَى سِرِّهِ وَ اسْتَبَانَ وَاصِحَّ أَمْرِهِ ؛ وَ مَنْ أَبْلَسْتَهُ الْغَفْلَةَ ، اسْتَحَقَّ السَّخَطَ .

ثُمَّ انْتَقَلَ النُّورُ إِلَى غَرَائِزِنَا ، وَ لَمَعَ فِي أُمَّتِنَا ، فَحَنُّ أَنْوَارِ السَّمَاءِ وَ أَنْوَارِ الْأَرْضِ قَبِينَا النَّجَاةُ ، وَ مِنَّا مَكْنُونُ الْعِلْمِ ، وَ إِلَيْنَا مَصِيرُ الْأُمُورِ ، وَ بِمَهْدِينَا تَنْقَطِعُ الْحُجُبُ ، خَاتِمَةُ الْأُئِمَّةِ وَ مُنْقِذُ الْأُمَّةِ ، وَ غَايَةُ النُّورِ ، وَ مَصْدَرُ الْأُمُورِ .

فَنَحْنُ أَفْضَلُ الْمَخْلُوقِينَ ، وَ أَشْرَفُ الْمُوَحَّدِينَ ، وَ حُجَجُ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

فَلْيُيَهْنَا بِالنِّعْمَةِ مَنْ تَمَسَّكَ بِوَلَايَتِنَا ، وَ قَبِضَ عَلَى عُرْوَتِنَا .

ثم يقول المسعودي : فهذا ما نروي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (12) .

و يقول المسعودي أيضاً : و قد رأيت في كثير من كتب التواريخ والسيرة و الأنساب أنّ آدم أبا البشر حين سمع هاتفاً يُخبره عن مقتل ولده هابيل زاد حزنه و غمّه لما جرى و ما سيأتي .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنِّي مُخْرِجٌ نُورِي الَّذِي بِهِ السَّلُوكُ فِي الْقَنَوَاتِ الطَّاهِرَةِ ، وَ الْأُرُومَاتِ الشَّرِيفَةِ ، وَ أَبَاهِي بِهِ الْأَنْوَارِ ، وَ أَجْعَلُهُ خَاتِمَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَ أَجْعَلُ عَالَهُ خِيَارَ الْأُئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ .
وَ أَحْتَمُّ الزَّمَانَ بِمُدَّتِهِمْ ، وَ أَعْصِ الْأَرْضَ بِدَعْوَتِهِمْ ، وَ أَنْشُرْهَا بِشِيَعَتِهِمْ .
فَسَمِّرْ وَ تَطَهَّرْ ، وَ قَدِّسْ ، وَ سَبِّحْ ، وَ اغْشَ رُؤُوسَكَ عَلَى طَهَارَةٍ مِنْهَا ، فَإِنَّ وَدِيْعَتِي تَنْقَلُ مِنْكُمْ إِلَى الْوَالِدِ الْكَائِنِ مِنْكُمْ (13) .

أمّا الآن و قد اتّضح الموضوع ، فإننا نرجع إلى تفسير الآية التي ذكرناها في مطلع كلامنا : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .

و علينا أن نرى ما هو هذا الميراث ؟ و هذا البحث يتناول موضوعين :

1 . الموضوع الأول : ما هو المقصود من الكتاب ؟

2 . الموضوع الثاني : من هم العباد المصطفون الذين أورشهم الله الكتاب ؟

أمّا الموضوع الأول ، فليس هناك من شكّ في أنّ المقصود بالكتاب هو القرآن الكريم ، لأنّه يقول في الآية التي سبقتها :

وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (14) .

و هذا الخطاب موجّه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله ؛ كما أنّ الكتاب الذي أوحى إليه هو القرآن الكريم .

و باعتبار أنّه يقول بعد هذه الآية مباشرة :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .

فقد اتضح بأن المراد بهذا القرآن المورث ليس القرآن المكتوب ، بل إن المراد بذلك هو حقيقة القرآن الذي نزل على قلوبهم . فقد تلقى رسول الله . وفق نهجٍ معيّن . تلك الحقائق من جبرئيل الأمين ، و بنفس ذلك النهج تلقى هؤلاء العباد المصطفون القرآن من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتلك الحقائق و الأسرار و اللطائف التي : لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (15) . و إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينًا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ (16) ؛ حيث وردت على قلوبهم بمستوى رفيع مختص بهم .

أما فيما يخصّ الموضوع الثاني ، فحسب الروايات المستفيضة والمتظافرة التي وردت عن الامام محمد الباقر و الإمام جعفر الصادق عليهما السلام ، فإنّ المراد بهؤلاء العباد المصطفين ، ذرية الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَلَامَ اللهُ عَلَيْهَا ؛ الذين يقعون في ذرية : (وآل إبراهيم) بمقتضى الآية المباركة : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (17) .

و علاوةً على ذلك ، فلم يدع أحد منذ صدر الإسلام حتّى الآن أنّ هناك شخصاً أعلم بكتاب الله من أميرالمؤمنين و الأئمة الطاهرين عليهم السلام ؛ بل إن أميرالمؤمنين . حسب الروايات المتواترة الواردة عن كبار أهل السنّة . أعرف الأئمة و أعلمها بكتاب الله . و بناءً على هذا فإنّ من المسلم أنّ المراد بالعباد المصطفين الذين أورثهم الله القرآن هؤلاء الأئمة الطاهرين .

و بغضّ النظر عن ذلك فانه وفقاً للحديث المتواتر بين السنّة و الشيعة الذي جعل فيه النبيّ عترته ملازمةً للقرآن و قرينةً له ، فانه يتّضح أنّ المراد من العباد المصطفين عتره رسول الله :

إِنِّي تَارَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَ عِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ (18) .

علاوة على الروايات الكثيرة الواردة في علم أميرالمؤمنين عليه السلام ، كالحديث الوارد عن أمّ سلمة حيث قالت : قال النبيّ :

عَلَيَّ مَعَ الْقُرْآنِ وَ الْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ (19) .

و حديث : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا (20) .

و نظائرها من الروايات الواردة في علم أميرالمؤمنين ، و التي تفيد أنّه كان من وارثي كتاب الله من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أما بشأن قوله تعالى :

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ .

فمن الجليّ أنّ المقصود بهم أصحاب الشمال و أصحاب اليمين والمقربون ، و مسلماً فإنّ المراد بالعباد المصطفين هم الفئة الثالثة الذين سبقوا الى الخيرات .

و بناءً على هذا فإنّ الضمير في (منهم) أمّا ان يكون عائداً الى (عبادنا) بدون قيد الاصطفاء ، أي أنّ مطلق عبادنا ينقسمون الى ثلاث مجاميع ، لكنّ من بينهم السابقون الى الخيرات الذين كانوا هم

المصطفين وورثة الكتاب .

و اما أن يعود الضمير في (منهم) الى (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) ، اي ان الطوائف الثلاث شركاء في وراثة الكتاب ، على الرغم من ان الفئة الثالثة ستكون العالمة بالكتاب و المحافظة عليه و الوارث الحقيقي له .

و لا مانع هناك أن يكون القائمون بكتاب الله و المحافظون عليه فئة خاصة بينما تُنسب الوراثة الى الجميع ، كما في الآية الكريمة الشريفة :

وَ أَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكُتُبَ (21) ، التي تنسب الوراثة الى بني إسرائيل مع ان نزول التوراة كان على موسى (عليه السلام) لا عليهم جميعاً ، ولكن باعتبار ان موسى كان يعيش في بني اسرائيل ، فان نسبة إعطاء التوراة لبني اسرائيل صحيحة تجوّزاً . و بناءً على هذا الاحتمال ، فسيكون المراد بعبارة (ظالمٌ لنفسه) أفراد المسلمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب السيئات والمعاصي ، و ذلك لأنه تبعاً لهذا الاحتمال فان فئة (ظالمٌ لنفسه) سيكونون من المصطفين ، لذا لا يمكن جعلهم من أصحاب الشمال ، بل هم من أصحاب اليمين ، غاية الأمر ان فيهم بعض النقائص .

و على كلّ حال فلنعد الى أصل البحث ، و هو ان اميرالمؤمنين والأئمة الأطهار باعتبارهم عبادالله المصطفين . طبقاً للنصوص الصريحة التي نقلها أهل السنّة بأنفسهم عن كبار المحدثين . فانهم حارسو و حافظو كتاب الله . فالحافظ للقرآن و الوارث له هو الذي يمتلك مقام و منزلة رسول الله ، و يمتلك قلباً كقلب رسول الله في تحمّل تلك الحقائق واستيعابها .

و سنذكر هنا بعض الروايات التي أوردها علماء العامّة المعروفون في كتبهم ليتضح مقام اميرالمؤمنين عليه السلام و منزلته في نظرهم .

فقد روى في (ينابيع المودّة) عن جابر بن عبدالله الأنصاري ان الرسول الأكرم صلى الله عليه و ءاله قال : كَفَّ عَلَيَّ كَفِّي (22) .

و من البين ان المراد باليد الأثار المترتبة على اليد من الأخذ و العطاء و الكتابة و الحرب و غير ذلك ، و اجمالاً فان المراد به كلّ ما تفعله اليد . ولأنّ هذه الأفعال مترتبة على إرادة النفس و اختيارها ، فان تساوي الكفّين سيلزم المساواة في جميع المبادئ و المراحل الفعلية من الحالات النفسية و مكارم الأخلاق و الصفات الحسنة . و ورد أيضاً عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه و ءاله قال :

يَا أَبَا بَكْرٍ كَفِّي وَ كَفَّ عَلَيَّ فِي الْعَدْلِ سَوَاءٌ (23) . و في رواية أخرى : يَا أَبَا بَكْرٍ كَفِّي وَ كَفَّ عَلَيَّ فِي الْعَدْلِ سَوَاءٌ (24) .

و بالطبع فانّ التساوي في العدل كما بيّنا يتلزم مع تساوي الصفات النفسية و مكارم الأخلاق و الإطلاع على السرائر ، الذي سينجم عنه في مرحلة الفعل أن تكون أفعاله و سيرته كأفعال و سيرة النبي الأكرم .

و اما التساوي في العدد فهو كناية عن التساوي في جميع مراتب القدرة و مراحلها ، فكلّ شي يستطيع الرسول صلى الله عليه و ءاله فعله فانّ اميرالمؤمنين هو الآخر يستطيع فعله ، لأنّ اليد في هذا التعبير الذي افتترض لها عدد فيه معلولٌ للقدرة و ءالة لإجراء النوايا النفسانية و الإيرادات الروحية .

و بناءً على هذا فإنّ هذا التعبير يبيّن تساوي قدرة رسول الله مع قدرة عليّ عليه السلام ، و هكذا فإنّ المعجزات العجيبة التي ظهرت على يد الرسول الأكرم موجودة كلّها في مركز إرادة و قدرة عليّ عليه السلام .

يروى محبّ الدين الطبري في (الرياض النّضرة) ، عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَ لَهُ نَظِيرٌ فِي أُمَّتِهِ ، وَ عَلِيٌّ نَظِيرِي (25) .

و هذه الرواية تبيّن بأنّه لا يوجد أحدٌ في جميع أمّة رسول الله يُماثله في الصفات الروحيّة و الكمالات النفسيّة كعليّ بن أبي طالب ، فقد كان مولى الموحدين وحده نظيراً لرسول الله صلى الله عليه و ءاله .

و جاء نظير هذه الرواية في (ينابيع المودّة) عن أنس بن مالك برواية صاحب (الفردوس) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّمَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَ لَهُ نَظِيرٌ مِنْ أُمَّتِي ... إِلَى أَنْ قَالَ وَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نَظِيرِي (26) . و يقول في (صحيح البخاري) في باب مناقب عليّ :
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ مِنِّي وَ أَنَا مِنْكَ (27) .

و هذا التعبير يبيّن غاية الإتحاد و التلاحم مع عليّ عليه السلام ، كأنّ وجودهما كان وجوداً واحداً تجلّى في جسمين .

كما نقل ابن حجر الهيتمي المكيّ في (الصواعق المحرقة) (28) ، عن البراء بن عازب ؛ و نقل محبّ الدين الطبري في (الرياض النضرة) أنّ رسول الله صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم قال : عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ رَأْسِي مِنْ بَدَنِي (29) .

و هذا التعبير يدلّل على غاية الاتّحاد و التكاتف و التلاحم ، فرسول الله صلى الله عليه و ءاله يقول : كما أنّ الجسم لا حياة له بدون الرأس ، فإنّ حياتي مرتبطة و منوطة بحياة عليّ . و يروي في (ينابيع المودّة) عن عبدالله بن مسعود أنّ رسول الله قال :
عَلِيٌّ مِنِّي مِثْلَ رَأْسِي مِنْ بَدَنِي (30) .

و يروي في (ينابيع المودّة) عن أبي هريرة أنّه قال :
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثَيْنِ ، وَ بَعَثَ عَلِيَّ عَلَيْهِمَا عَلِيًّا وَ عَلِيَّ الْآخَرَ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ ،

و قَالَ : إِذَا التَّقِيْتُمْ فَعَلِيٌّ عَلَيَّ النَّاسُ ، وَ إِذَا افْتَرَقْتُمْ فَكُلٌّ عَلَيَّ جُنْدِهِ ، فَلَقِينَا بَنِي زُبَيْدَةَ ، فَأَقْتَنَلْنَا وَ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ ، وَ سَبَيْنَاهُمْ ، فَاصْطَفَى عَلِيٌّ مِنَ السَّبْيِ وَاحِدًا لِنَفْسِهِ .

فَبَعَثَنِي خَالِدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّمَ حَتَّى أُخْبِرَهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أُتَيْتُ وَ أُخْبِرْتُهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَّغْتُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ؟

فَقَالَ : لَا تَقْعُوا فِي عَلِيٍّ ، فَإِنَّهُ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ ، وَ هُوَ وَلِيِّي وَ وَصِيِّي مِنْ بَعْدِي (31) . رواه الإمام أحمد في مسنده .

و روى ابن الأثير في (أسد الغابة) (32) ، بسنده المتصل عن عمران بن الحصين ؛ و القندوزي في (بنابيع المودّة) (33) عن (سنن الترمذي) عن عمران بن الحصين ؛ كما روى محبّ الدين الطبري عن عمران بن الحصين (34) قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم جيشاً ، و استعمل عليهم عليّ بن أبي طالب ، فمضى في السريّة فأصاب جارية ، فأنكروا عليه ، و تعاهد أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم فقالوا : اذا لقينا رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم أخبرناه بما صنع عليّ . و كان المسلمون اذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، فلما قدمت السريّة فسلموا على رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم فقام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ألم ترّ الى عليّ بن أبي طالب صنع كذا و كذا ؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، ثمّ قام الثاني فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثمّ قام الثالث فقال مثل مقالته ، فأعرض عنه ، ثمّ قام الرابع فقال مثل ما قالوا : فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سلّم و الْغَضَبُ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَ أَنَا مِنْ عَلِيٍّ ، وَ هُوَ وَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي (35) .

بلى ، أنّى لأولئك الذين لم يتحمّلوا رؤية عليّ و هو يأخذ تلك الأمة بينما كان قوام الإسلام مرهوناً بتضحياته الفريدة ، أن يتحمّلوا رؤيته عليه السلام و هو يتزعم جميع المسلمين في العالم و يمسك بيده زمام أمور المسلمين !؟

لذا فقد فعلوا معه ما فعلوا ، ففضى ثلاثين عاماً مُمتحناً يتجرّع الغصص ، الى أن انهالوا بالسيف على مفرقه الشريف و هو في محرابه ، ودفنوا تلك الروح الكليّة و الحياة السرمديّة تحت الأرض ، فبكى في عزائه قلوب الجنّ و الإنس و وحوش الفلوات و طيور السماء .

يكتب ابن الأثير : وَ أَنْبَأَنَا جَدِّي ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجَ عَلِيٌّ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَاسْتَقْبَلَهُ الْأَوْرُ يُصِحُّ فِي وَجْهِهِ ؛ قَالَ : فَجَعَلْنَا نَطْرُدُهُنَّ عَنْهُ .

فَقَالَ : دَعَوْهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَائِحٌ ؛ وَ خَرَجَ فَأُصِيبَ (36) .

بلى لقد بكت طيور السماء و وحوش الفلوات في عزاء ابنه أيضاً ؛ يقول ابن شهر آشوب : و دفن جثتهم بالطفّ أهل الغاضريّة من بني أسد بعد ما قتلوه بيوم ، و كانوا يجدون لأكثرهم قبوراً ، و يرون طيوراً بيضاً (37) .

يروى المجلسي رضوان الله عليه عن بعض مؤلّفات الأصحاب أنّه روي عن طريق أهل البيت :

أَنَّهُ لَمَّا اسْتَشْهَدَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَقِيَ فِي كَرْبَلَا صَرِيحًا ، وَ دَمُهُ عَلَى الْأَرْضِ مَسْفُوحًا ، وَ إِذَا بِطَائِرٍ أَبْيَضٍ قَدْ أَتَى وَ تَمَسَّحَ بِدَمِهِ ؛ وَ جَاءَ وَ الدَّمُ يَقْطُرُ مِنْهُ فَرَأَى طُيُورًا تَحْتَ الظَّلَالِ عَلَى الغُصُونِ وَالْأَشْجَارِ ، وَ كُلٌّ مِنْهُم يَذْكُرُ الْحَبَّ وَالْعَلْفَ وَ الْمَاءَ .

فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ الطَّيْرُ الْمُطِخُ بِالْدَمِ : يَا وَيْلَكُمْ ! أَتَسْتَعْلُونَ بِالْمَلَاهِي ، وَ ذَكَرِ الدُّنْيَا وَالْمَنَاهِي ، وَالْحُسَيْنُ فِي أَرْضِ كَرْبَلَا فِي هَذَا الْحَرِّ مُلْقَى عَلَى الرَّمْضَاءِ ظَمِيمٌ مَذْبُوحٌ وَ دَمُهُ مَسْفُوحٌ .

فَعَادَتِ الطُّيُورُ ، كُلٌّ مِنْهُم قَاصِدًا كَرْبَلَا ؛ فَرَأَوْا سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْقَى فِي الْأَرْضِ جُثَّةً بِلَا رَأْسٍ وَ لَا غُسْلٍ وَ لَا كَفَنِ ، قَدْ سَفَّتْ عَلَيْهِ السَّوْفِي ، وَ بَدَنُهُ مَرْضُوضٌ ، قَدْ هَسَمَتْهُ الْخَيْلُ بِحَوَافِرِهَا ؛ زُورَاهُ وَ حُوشُ الْقِفَارِ ، وَ نَدْبَتُهُ جِنَّ السَّهُولِ وَ الْأَوْعَارِ ، قَدْ أَضَاءَ التَّرَابُ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَ أَزْهَرَ الْجَوَّ مِنْ أَزْهَارِهِ .

فَلَمَّا رَأَتْهُ الطُّيُورُ تَصَايَحْنَ ، وَ أَعْلَنَ بِالْبُكَاءِ وَ الثُّبُورِ وَ تَوَاقَعْنَ عَلَى دَمِهِ يَتَمَرَّغْنَ فِيهِ ، وَ طَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم إِلَى نَاحِيَةٍ يُعَلِّمُ أَهْلَهَا عَنْ قَتْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (38) .

وَ نَقَرًا فِي زيارته عليه السلام في أول رجب :

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَشْهَدُ لَقَدْ افْتَشَعَرْتَ لِذِمَائِكُمْ أَظْلَةَ الْعَرْشِ مَعَ أَظْلَةَ الْخَلَائِقِ ، وَ بَكَتْكُمْ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ سُكَّانُ الْجِنِّانِ وَ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ ، لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ لَمْ يُجِبْكَ بَدَنِي عِنْدَ اسْتِغَاثَتِكَ ، وَ لِسَانِي عِنْدَ اسْتِئْصَارِكَ ، فَقَدْ أَجَابَكَ قَلْبِي وَ سَمْعِي وَ بَصِيرِي ، سُبْحَانَ رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا (39) .

(بدين وعده گر جان فشانم رواست.) (40)

فَبَشِيرِي لَوْ جَاءَ مِنْكَ بِعَطْفٍ

وَ وُجُودِي فِي قَبْضَتِي قُلْتُ هَاكَ

بشكر ءانكه شكفتى بكام بخت اى گل

نسيم وصل ز مرغ سحر دريغ مدار (41)

تعليقات:

(1) الآية 32 ، من السورة 35 : فاطر .

وَ قَدْ أورد ابن بابويه في تفسير هذه الآية الشريفة حديثاً عن الإمام الرضا عليه السلام بيّنه في مجلس المأمون في مرو ، وَ كان حاضراً آنذاك مع علماء العراق وَ خراسان فسأله المأمون عن تفسير هذه الآية . وَ هذا الحديث شيق للغاية وَ حاوٍ لمطالب قيّمة . وَ قد ورد كذلك في كتاب (غاية المرام) ، ص 219 تحت عنوان : التاسع .

(2) ذيل الآية 56 ، من السورة 11 : هود .

(3) ذيل الآية 43 ، من السورة 35 : فاطر .

(4) الآية 55 ، من السورة 54 : القمر .

(5) الآيات 5 . 11 ، من السورة 53 : النجم .

- (6) صدر الآية 31 ، من السورة 2 : البقرة .
- (7) صدر الآية 30 من السورة 2 : البقرة .
- (8) صدر الآية 253 ، من السورة 2 : البقرة .
- (9) ينابيع المودة ، ص . 252
- (10) الرياض النضرة) ، ج 1 ، ص . 154
- (11) ينابيع المودة) ، ص . 256
- (12) مروج الذهب) المجلد الأول ، في طبعة مطبعة السعادة مصر ، 1367 هجرية ، ص 32 و 33 ؛ و في طبعة مطبعة دار الأندلس بيروت 1393 هجرية ، ص 42 و . 43 و ورد فيه لفظ (أراه) بدلاً من (أواه) .
- (13) مروج الذهب) المجلد الأول ، في طبع مطبعة السعادة . مصر ، 1367 هجرية ، ص 37 ؛ و في طبع مطبعة دار الأندلس بيروت 1393 هجرية ، ص . 47
- (14) الآية 31 ، من السورة 35 : فاطر .
- (15) الآية 79 ، من السورة 56 : الواقعة .
- (16) الآية 3 و 4 ، من السورة 43 : الزخرف .
- (17) الآية 33 ، من السورة 3 : آل عمران .
- (18) يروي أحمد بن حنبل هذا الحديث عن حديث زيد بن ثابت بطريقتين صحيحين ، أولهما بداية ص 182 من الجزء الخامس من مسنده ، لكن العبارة هكذا : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم : أتى تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين السماء و الأرض او ما بين السماء الى الأرض و عترتي أهل بيتي و أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . و ثانيهما في نهاية ص 189 من الجزء الخامس من مسنده ، لكنّ عبارته بهذه الكيفية : قال النبيّ : إنّى تارك فيكم نليفتين كتاب الله و أهل بيتي و أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض جميعاً . و يقول في تفسير (الدر المنثور) ، ج 6 ، ص 7 : و أخرج الترمذي وحسن ابن الاتباري في المصاحف عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلمّ : إنّى تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء الى الأرض و عترتي أهل بيتي ، و لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما .
- (19) كنز العمال) ، ج 12 ، ص 203 ، الحديث 1152 ، طبعة الهند . 1384
- (20) كنز العمال) ، ج 12 ، ص 201 ، الحديث 1130 ، طبعة الهند . 1384
- (21) الآية 53 ، من السورة 40 : المؤمن .
- (22) ينابيع المودة) ، ص . 252
- (23) ينابيع المودة) ، ص . 252
- (24) و لا يُستبعد أنّ الحديثين كانا كلاهما (في العدل) فصُحّف أحدهما الى (في العدد) .
- (25) الرياض النضرة) ، ج 3 ، ص 153

- (26) ينابيع المودّة) ، ص . 235
- (27) صحيح البخاري) ، ج 2 ، ص 299
- (28) الصواعق المحرقة) ، ص . 123
- (29) الرياض النضرة) ، ج 3 ، ص . 149
- (30) ينابيع المودّة) ، ص . 236
- (31) ينابيع المودّة) ، ص . 233
- (32) أسد الغابة) ، ج 4 ، ص . 27
- (33) ينابيع المودّة) ، ص 53 و . 54
- (34) الرياض النضرة) ، ج 3 ، ص . 164
- (35) يبيّن في كتاب (عليّ و الوصيّة) من ص 352 الى 354 موارد عديدة شكى فيها البعض أميرالمؤمنين الى رسول الله فتغيّر صلوات الله عليه وءاله وردّهم وهدّدهم وسمّى عليّاً أخاً و وصيّاً و وليّ كلّ مؤمن .

(36) أسد الغابة) ، ج 4 ، ص . 36

(37) المناقب) ، ج 2 ، ص 224

(38) بحار الأنوار) ، الطبعة الكمباني ، ج 10 ، ص . 241

(39) ذكر ابن طاووس هذه الزيارة في ليلة النصف من شعبان في (الإقبال) ، ص 712 ، و قال أنّها زيارة يُزار بها أوّل رجب ، ولكن لأن النصف من شعبان أعظم لذا فقد ذكرها فيه . كما ذكرها المحدث القمّي في (هدية الزائرين) ، ص . 113

(40) يقول : لو نثرْتُ رُوحِي لهذا الوعد كان منّي حريّاً .

(41) يقول : لكي تشكري أنّك أزهرتِ . ياوردةً . كما يتمنّى لك الحظّ ، فلا تبخلي عن طائر السحر

بنسيم الوصال !

السحر بنسيم الوصال !

الدرس الثالث : في امتيازات العباد المصطفين

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ

رَصَدًا لِيُعَلِّمَ أَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (1) .

يمتلك الإنسان أعضاء و جوارح مختلفة ، كما يمتلك غرائز و صفات متفاوتة ، كالغضب و كالرغبة

في الطعام ، و الدفاع عن النفس ، و حبّ الجاه و سائر اللذائذ ، و غريزة الإنتقام و العبودية و الإيثار

و غير ذلك .

و من البين انه يجب ان يستخدم كلّ واحد منها في محلّه المناسب ، و يصرفه بقدرٍ معيّن ، و الاّ

أصبح ذلك باعثاً على ضرره و هلاكه ، و السبب في ذلك عدم استخدامه لقوى العقل و الإدراك .

فلو أحبّ شخصٌ ما . مثلاً . عند تناول طعامه أن يتمتّع بشكل كامل و بلا حدّ معيّن بلذائذ الأطفعة

، فانه سيموت نتيجة الإفراط في الأكل والشرب ؛ و لو أنّ شخصاً لم يتبع عقله في أعمال غريزته

الجنسية ، فانه سيتهوى في أحضان الموت بسبب الإفراط فيهلك .

انّ احدى الغرائز في الانسان هي حبّ الله و الوصول الى كمال الاطمئنان ، و الفوز بلقاء الله و

الوصول الى مقام عزّه ؛ و ما لم يصل الانسان الى هذه الغاية فانه لن يهدأ و لن يستقرّ .

و يحتاج الانسان من أجل الوصول الى هذا المقام الى مجاهدة النفس الأمّارة ، أي الى أن يكون

مراقباً لنفسه كلّ لحظة لئلا يرتكب أيّ عمل مخالف لرضا الله تعالى ، و لكي يكون عمله صالحاً حسناً

؛ فالإخلاص في العمل الصالح هو الوسيلة الوحيدة لإدراك المقصود ؛

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (2) .

فيعرض في كلّ خطوة يخطوها عن نزوات النفس و تزيين إبليس ، و يتوكّل على الله و يوكل قلبه

اليه ، و يبعد الخواطر الشيطانية عن ضميره ، و يسكن نفسه المضطربة الجياشة بذكر الله تعالى .

و يحتاج هذا العمل الى مجاهدة النفس ، و الوصول الى منزل الإخلاص ليصبح من المخلصين ،

فلا يحسب له هدفاً في جميع الامور من العبادات و غيرها الاّ الله تعالى ، و يكون عمله خالصاً لوجهه

الكريم .

و ذلك لأنّ قلب الإنسان لا يخلو من هجوم الأفكار و الخيالات الواردة على القلب ، حتّى حال

السكون و الإستراحة ، إذ يهجم سيل الخواطر على قلب الإنسان بدون اختياره ، و لا تكفّ هذه

الخواطر عنه حتّى حال نومه .

و لذلك ينبغي على الانسان من أجل تسكين القلب و تهدئته ، أن يقاوم هجوم الخواطر بذكر الله و المجاهدة القويّة للنفس ، و أن يحفظ قلبه عن أن تتصرّف فيه ، و أن يكفّ نفسه عن نواياه الشخصية كلّ لحظة ، فيرجح اختيار البارئ و رضاه على اختياره و رضاه .

و اذا ما تمكّن الانسان . بعون الله و توفيقه . من الصمود في هذه المرحلة ، و في الاستمرار في مجاهدته ، فإنّ جميع مراتب عبادة الشخصية و الإستكبار و النزعة الإستقلالية فيه ستودّع و تتصرف ، فيحلّ محلّها ذلّ العبوديّة نسبةً لساحة المعبود ، و روح طلب الله و الفاقة اليه سبحانه ، وسيخرج من عبادة نفسه الى عبادة الله و يشاهد في نفسه حقيقة العبوديّة ، فيسكن قلبه و يكفّ عن التقلّب و الجیشان ، و يُهدى من الإضطراب و الحيرة الى الاطمئنان و السكينة ، و يصبح وجوده و سرّه منزهاً و طاهراً ، لا تعرف الخواطر الشيطانية طريقها اليه ، و لا ترده سائر الخواطر الاّ بإذنه ، و لا تتفدّ فيه الاّ بإجازته .

و ذلك لأنّ القلب سيصبح ائذاً منزهاً مصقولاً بصقل المحبّة و العبوديّة ، لذا فإنّ الجمال و النور الالهي سيكونان مشهودين فيه ، و سيصبح مرآةً يعكس ذات و أسماء و صفات المعبود ، و هذا هو مقام المخلصين الذي هو أعلى و أسمى المقامات .

و تبعاً للآيات القرآنية فإنّ هذه الفئة تمتلك خصائص معيّنة هي :

أولاً : انّ الشيطان و النفس الأمّارة لا سلطان لهما عليهم ، فقد يأسا منهم يأساً تاماً ، فلا يستطيعان النفوذ أو التأثير في نفوسهم و لو بأدنى قدر .

وَ لِأَعْوِيَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ (3) .

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لِأَعْوِيَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ (4) .

انّ الشيطان يعترف هنا بعجزه عن حرفهم عن طريقهم ، لأنّ قلوبهم صارت محلاً لله ، و جليّ أنّ مثل هذا المكان لا قدرة للشيطان على الاستيلاء عليه أو التصرف فيه . و سيكون هؤلاء الافراد مصونين محفوظين دائماً في حرم الله من كلّ ذنب فعلياً كان أو قولياً أو فكرياً أو قلبياً أو سرّياً . كما أنّهم سيخلون من كلّ خطأ و ذنب ، و سيكون فعلهم فعل الحقّ ، و لسانهم لسان الحقّ ، و أعينهم أعين الحقّ ، و آذانهم آذان الحقّ ؛ و في النهاية فإنّ مركز وجودهم متعلّق بحضرة الحقّ ، و ستكون بيوت قلوبهم و أسرارهم كلّها مسلّمة خالصة لله المنان .

و جليّ أنّ وارداتهم القلبية بإذن الحقّ و أمره ، و كلّ ما يتلقاه ضميرهم من العوالم العلوية ، سواء في هيئة الوحي و تشريع الشريعة ، أو بعنوان إدراك المطالب الكلية و العلوم الحقيقية و الاطلاع على الأسرار و المغيبات ، و ذلك من شأن الإمام و أولياء الله ؛ و على كلّ حال فإنّ قلوبهم ستكون معصومة و عارية عن كلّ خطأ أو ذنب .

و ثانياً : باعتبار أنّ أفكارهم و أسرارهم قد اتّسعت ، و أنّهم قد اجتازوا جميع مراحل الوجود و تحقّقوا بذات الحقّ ، فإنّهم . لذلك . يستطيعون أن يحمّدوا الله و يُثبّثوا عليه كما يليق بذاته المقدّسة .

سُبْحَنَ اللّٰهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلِصِينَ (5) .

ذلك لأنّ كلّ موجود يريد حمد الله فأنّه يحمده حسب استعداده وظرفيته ، و بقدر فكره و علمه ، و حضرة الحقّ أعلى من مقدار و مدى علمه و ظرفيّة وجوده ، لذلك فإنّ أيّ موجود لن يستطيع أن يحمده كما يليق به و كما هو شأنه ؛ و عليه فإنّ التسبيح ينبغي ان يقترن دوماً بالحمد ، أي اننا في نفس اللحظة التي نحمدك فيها و نُثني عليك بجميع مراتب الجمال و الكمال ، فأننا نُنزهك و نقدّسك عن أن يكون حمدنا لائقاً بمقام عزّك و جلالك و عظمتك :

سُبْحَنَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ وَ بِحَمْدِهِ . سُبْحَنَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَ بِحَمْدِهِ . وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ (6) .

فردد السّماء و الملائكة يُسبّحون الله مع حمدهم له على الدوام ، وذلك خوفاً منه و إحساساً بحقارتهم أمام عظمته :

وَ إِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (7) .

إنّ جميع الموجودات بلا استثناء تعترف بتحميدها و تمجيدها بعدم وصول الحمد و الشكر الى ساحة قدسه ، و لذا فأنّها تقوم . مع حمدها . بالتنزيه و التقديس و تعتبر ذات الباري المقدّسة أعلى و أنزه من أمثال هذا الحمد . أمّا عبادالله المخلصين الذين لا يُشاهد فيهم أيّ جانب مستقلّ للوجود ، فقد صار وجودهم وجوداً للحقّ ، و قلوبهم عرشاً لذاته ؛ فأنهم يستطيعون أن يحمدوا الله كما يليق به . و في الحقيقة فإنّ الله يحمد نفسه بنفسه .

و هذا التقريب لا يُنافي جملة (مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ) ، لأنّ مفاد هذه الجملة عرض الذلّ و الفقر في عالم الإمكان و الكثرة ، كما أنّ مفاد :

سُبْحَنَ اللّٰهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلِصِينَ (8) .

هو تحقّق الفناء الحقيقي في جميع مراتب الأسماء و الصّفات و ذات الحضرة الأحديّة ، و في ذلك المقام للفناء المطلق ، فإنّ أدنى شائبة للوجود و لإظهار الأنانيّة هي الكفر و الشرك ، و ما أبعد ذلك عن ساحة إخلاص المخلصين !

و ثالثاً : فليس هناك مؤاخذه أو محاسبة و لا استجواب لهؤلاء ، وليس هناك سؤال في القبر و لا منكر و نكير ، و لا حشر و لا عرض ، و لا كتاب ولا ميزان و لا صراط :

فَأَنتَهُمْ لَمَحْضُرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلِصِينَ (9) .

فكلّ بني الإنسان يحضرون امام عدل الله و يُسئلون و يُعرضون الّا عباد الله المخلصين الذين لا سؤال لهم و لا عرض ، لأنّهم تخطّوا محلّ المؤاخذه و السؤال بمجاهداتهم النفسانية و إخلاصهم في العمل و القول والفكر و السرّ ، و وردوا في حرم الله في المحلّ الرفيع المعدّ للمخلصين ، واستقرّوا هناك .

و في الحقيقة فإنّ الإنسان الذي سلّم وجوده لله ، فلم يبقَ له شيء ليُسئل عنه ، بل إنّ السؤال و الكتاب للذين فيهم شوائب من الربوبيّة ، والذين بدرت منهم أعمال تبعاً لتلك الشوائب ؛ أمّا الذي لم يبق

فيه غير حقيقة العبودية المحضة ، و الذي تضحّ جميع مراتب وجوده بالنداء بفقره وحاجته و فاقتة و ذلّ عبوديته ، فكيف يُتصوّر له الحضور و السؤال؟! هؤلاء العباد لا يموتون ، بل هم أحياء دوماً بحياة الحقّ ، لأنّهم أصبحوا وجه الله و صاروا خلفاءه و مُظهري ذاته . و من الجليّ أنّ الهلاك والبوار في المراحل التي يكون فيها الوجود غير وجود الحقّ و غير وجهه .

وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ (10) .

وَ نُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ (11) .

و يُلاحظ في هاتين الآيتين أنّ الله سبحانه و تعالى قد استثنى فئةً ، وهم الذين تعلّقت بهم مشيئة الله فلا يريد لهم الهلاك ، فلا خوف و لا هلاك لهم . و نشاهد من جانب آخر أنّ الله سبحانه و تعالى يقول أنّ جميع الموجودات ستهلك بلا استثناء إلاّ وجه الله .

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (12) .

كُلٌّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ وَ بِيَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ (13) .

و نستنتج من هاتين الآيتين و اللتين قبلهما بأنّ نفس الأفراد الذين أخلصهم الله و الذين لا يموتون بواسطة النفخ في الصور ، هم الذين أصبحوا . بكلّ معنى الكلمة . وجه الله و مُظهري أمره ، أي أولياء الله والمقربين اليه .

و بضمّ هذه النتيجة الى الآية السابقة القائلة :

فَاتَّبَعَهُمْ لِمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ .

فاننا نستفيد بأنّ عبادالله المخلصين ليس عليهم سؤال و لا استجواب و لا موت و لا إنعدام ، بل هم أحياء دوماً بحياة الحق ، حياةً سرمدية دائمة .

رابعاً : إنّ الله العليّ الأعلى لم يجعل لعباده المخلصين جزاءً محدوداً أو معيّناً ، لأنّ كلّ ما سيُعطيهم من الجنّة و نعيمها أقلّ من مقامهم و منزلتهم ، بل إنّ جزاءهم نفس الذات الأحدثية و مشاهدة أنوار جمالها فقط .

وَ مَا تُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (14) .

جزاؤهم لا يعدّ و لا يُحصى ، لأنّهم اجتازوا النفس و عالم المقدار ووصلوا الى بحر العظمة و الجلال ، لذا فإنّ نفس التحقق في ذلك المقام هو جزاؤهم اللامتناهي الذي لا حدّ له .

و الخلاصة فإنّه يُستفاد من هذه الآيات التي وردت في شأن المخلصين و مقامهم و منزلتهم ، أنّ المخلصين من عبادالله هم غير سائر العباد من جميع الوجوه ، لأنّهم مصونون بصيانة الربّ ذي الجلال ، فليس فيهم أيّ عاقبة من الذنب و المعصية التي تنجم عن سيطرة الشيطان و النفس الأمّارة . و هذا هو معنى العصمة من الذنوب التي يبيّنها الله تعالى في القرآن الكريم .

كَذَلِكَ لِنَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (15) .

اي انا حفظنا يوسف عليه السلام من الابتلاء بالذنوب مع زليخا ، لأنه كان من عبادنا المخلصين ؛ فكلّ من ينال مرتبة و مقام المخلصين إذن سيكون محفوظاً و مصوناً من قبل الله تعالى من كلّ مُنكر و قبيح . يُضاف الى ذلك أنّ حياتهم باعتبارها قد أصبحت حياة الحقّ ، و أنّهم قد اجتازوا عالم المقدار ، فليس فيهم بُعدٌ وجودٌ للخواطر المغيرة و المبدلة للنفس ، فإنّهم سيمتلكون مقام العصمة في تلقّي المعارف الالهية و العلوم الكلية وحفظها و إبلاغها ، و سيكونون مصونين بصيانة الحضرة الأحديّة . و يمكن الاستفادة من الآية الشريفة التي ذكرناها في مطلع الدرس في اثبات جميع المراتب الثلاثية للعصمة في الذين بُعثوا لهداية الناس وإرشادهم .

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .

اي اولئك الذين يصبحون من جميع الجهات ، و من زاوية العقائد ، و من زاوية الصفات النفسية و الروحية مورد رضا الله سبحانه ، و اولئك الذين نالوا مرحلة العبودية المحضة ، و خرجوا عن الغرور و العُجب و الأنانية في جميع المراحل ، فأصبحوا مرضيين من قبل الله .

و معلومٌ أنّ الإنسان ما لم يصل الى هذه المنزلة ، فإنّه لن يصبح مورداً للإرتضاء المطلق من ربه (16) ، و هذه هي مرتبة المخلصين . و في هذه الحالة فإنّ الله سيكشف له الستار و الحُجب القلبية و يُطلعه على علم غيبه و على كلّ ما هو خارج عن متناول يد جميع أفراد الجنّ و الإنس و الملائكة .

و بالطبع فلأنّ الله يفهم الإنسان علمه الغيبيّ دون أيّ تغيير أو تبديل ، و دون أيّ نقص أو خلل ، فإنّ قلبه ينبغي أن يقع في مقام عصمة الله و صيانتها ، و الّا لتصرّف بنفسه في تلقّي ذلك العلم و لأتحرف و بدّل في أخذه ، و هذه هي مرحلة العصمة في تلقّي المعارف الحقّة :

فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَ مِن خَلْفِهِ رَصَدًا لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أبلغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (17) .

و لأنّ قلبه صافٍ و بعيد عن متناول يد الشيطان ، فإنّه . بعد التلقّي الصحيح . سيحفظ كلّ تلك المعارف و العلوم الكلية و يحولها و ينقلها كما أخذها ، و هذه هي مرحلة في تبليغ و إيصال الأحكام و المعارف .

فالله سبحانه و تعالى يجعل رصداً و حراساً في أطراف قلبه و جوانبه و بين يديه و من خلفه لكي لا تؤثر فيه إلقاءات الجنّ و الإنس ، و لا تجد وساوس النفس و ابليس سبيلاً إلى قلبه ، و هذه هي المصونية الالهية ، لأنّ الله اذا وكلّ الإنسان الى نفسه و رفع يده عن حمايته و حفظه ، فإنّه سيواجه الآلاف الأفات ، فذلك القلب محفوظ عن جميع الشرور ،

مِنْ شَرِّ الْخُنَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ

، و من شرّ جميع ما خلق ،

و من شرّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ و من شرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ؛

لا يؤثر عليه سحرٌ و لا طلسمة ، و لا قدرة النفس الأمارة بالسوء أبداً .

و لو اجتمعت المخلوقات و اتحدت لحرفه عن مقصده و مسيره ، او لتتصرّف فيه خلافاً للعلوم

الكلية و المعارف الحقّة ، او لتغيّر معلوماته وإدراكاته ، فأنّها لن تفلح و لن تستطيع ، و ذلك لأنّ قلب المؤمن تحت مصونيّة الله و رصده ، فقد عين الله موكّلين لحراسته و لحفظه من بين يديه و من خلفه ، و ذلك من أجل ان يقوم بتبليغ رسالات الله و أحكامه بصورة صحيحة و كاملة ، لكي لا يتخطّى هؤلاء المؤمنون وظيفتهم ؛ والله سبحانه محيطٌ بجميع أمورهم و مطلع على جزئيات و كليّات إنجازاتهم و أمورهم ؛ و هذه هي مرحلة العصمة في التبليغ و التحويل .

و أمّا مرحلة العصمة من المعصية ، فهي أيضاً غير خارجة عن مدلول الآية بالتقريب السابق ، و ذلك لأنّه اذا ما ارتكب رسولٌ ذنباً فأنّه سيكون بفعله قد أعلن ترخيصه له ؛ و لأنّه قد أعلن حرمة ذلك الذنب قبلاً بقوله وكلامه ، فأنّه سيكون قد دعا الى متناقضين ؛ و المتناقضان ليسا حقّاً ، بل انّ من المسلم انّ أحدهما باطل ، في حين انّ قلب رسول الله مُصان عن تلاعب الشيطان ، فقد كان و سيبقى متحقّقاً بالحق .

و تبيّن ملائكة الوحي هذه الحقيقة للرسول في سورة مريم :

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (18) .

و هكذا فإنّ المطالب التي ذكرت تثبت عصمة الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام في جميع المراحل ، بل و تثبتها كذلك للخاصين و المقربين من أولياء الله تعالى .

مقام أميرالمؤمنين عليه السلام :

أمّا بالنسبة الى أميرالمؤمنين عليه السلام ، فهو قائد للمعارف الحقّة وصاحب لواء الحمد ، و السابق في مراحل التوحيد ؛ فقد جاء به الله سبحانه في بيته و حرمة (الكعبة) بعد أن حفظ نوره المقدّس في الأصلاب نسلًا بعد نسل ، من ءادم الى أبي طالب .

اسمه المبارك : عليّ ؛ و كُنيتُه : أبوالحسن ؛ و والده : أبوطالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ و أبوطالب أخو عبدالله والد الرسول ، و على هذا فأنّه ابن عمّ رسول الله ، تجتمع نسبتها في جدّهما عبدالمطلب .

و كان أبوطالب من أكابر أهل مكّة و ممّن خدموا رسول الله ، فقد كان يحامي عنه بحيث أنّ أحداً من مشركي قريش لم يستطع أن ينال الرسول بأذى في حياة أبي طالب و كان أبوطالب يحفظ النبيّ و يحرسه و سائر بني هاشم لمدة ثلاث سنوات في الشعب المعروف بشعب أبيطالب ، و كان يفدي رسول الله بنفسه و يحميه حتّى رحل عن هذه الدنيا ، و عندها تطاولت الأيادي المتجاوزة و المتجاسرة على رسول الله من قبل المشركين ، فأجبر النبيّ الأكرم على الهجرة الى المدينة .

و كان أبوطالب من المؤمنين الواقعيين و المسلمين الحقيقيين برسول الله (19) ، و أشعاره التي نظمها في مدح رسول الله كثيرة و مثبتة في كتب الأحاديث و التاريخ ، لكنّه كان يكتّم إيمانه عن قريش لأسباب ، من أهمها المحافظة على رسول الله و حراسته ، و كان الرسول كثير المحبّة له وكان يخاطبه ب (أبي) .

اسم والدته : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ؛ و لأنَّ أسد كان أخاً لعبد المطلب ، لذا فإنَّ أباطالِب و فاطمة كانا ابني عمِّ بعضهما . وكانت فاطمة بنت أسد والدة أميرالمومنين من أعلام النساء المسلمات ، وهي أوَّل امرأة ءامنَت برسول الله بعد خديجة ؛ و كانت تحبُّ رسول الله كثيراً ، و كان الرسول يخاطبها ب (أمِّي) .

فاطمة بنت أسد أوَّل امرأة هاجرت من مكّة الى المدينة :

يقول ابن الجوزي : وَ هِيَ أَوَّلَ امْرَأَةٍ هَاجَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَاشِيَةً حَافِيَةً ، وَ هِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّم بِمَكَّةَ بَعْدَ خَدِيجَةَ (20) .

و يقول ابن الصبَّاح المالكي : فاطمة بنت أسد ، أسلمت و هاجرت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّم ، و كانت من السابقات الى الإيمان بمنزلة الأم من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّم ... فلما ماتت كفنها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّم بقميصه ، و أمر أسامة بن زيد و أبا أيوب الأنصاري فحفروا قبرها ، فلما بلغا لحدها حفره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّم بيديه و أخرج ترابه ، فلما فرغ اضطجع فيه و قال :

اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أُسَدٍ وَ لَقَنَّا حُجَّتَهَا وَ وَسَّعَ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (21) .

فقيل (22) : يا رسول الله ! رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعت به بأحد قبلها؟! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَسَلَّم : ألبسْتُها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، و اضطجعتُ في قبرها ليخفَّ عنها من ضغطة القبر ، انّها كانت من أحسن خلق الله صنْعاً اليّ بعد أبي طالب رضي الله عنهما و رحمهما (23) .

يقول سبط ابن الجوزي : و كانت وفاة فاطمة بنت أسد في السنة الرابعة للهجرة (24) . و قد أنجب أبوطالب و فاطمة بنت أسد أربعة أولاد هم بالترتيب : طالب ، و عقيل ، و جعفر ، و عليّ ، و كان كلّ واحد منهم أسنّ من الآخر الذي يسبقه بعشر سنين ، كما انجبا بنتاً واحدة تسمّى فاخنة و تكتّى ب (أمّ هاني) (25) .

و ليس هناك من شكّ في أنّ عليّاً عليه السلام ولد في جوف الكعبة بيت الله ، و في ذلك يقول السيّد الحميري :

وَأَلَدْتُهُ فِي حَرَمِ الْإِلَهِ وَ أَمْنِهِ
وَالْبَيْتِ حَيْثُ فَنَاءُهُ وَ الْمَسْجِدُ
بِبَيْضَاءِ طَاهِرَةِ الثِّيَابِ كَرِيمَةٍ
طَابَتْ وَ طَابَ وَ لَيْدُهَا وَ الْمَوْلُدُ

فِي لَيْلَةٍ غَابَتْ نُحُوسُ نُجُومِهَا
وَ بَدَّتْ مَعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ الْأَسْعَدُ
مَأْلَفٌ فِي خِرْقِ الْقَوَائِلِ مِثْلُهُ
إِلَّا ابْنُ ءَامِنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ (26) .

يقول المستشار عبدالحليم الجُندي ، أحد أركان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في مصر في كتابه القيم (الإمام جعفر الصادق) ص 31 :

و عليّ في كثير من الأمور هو الأوحد ، فالنبيّ هو الذي ربّاه ، و ءاخاه ، و أعدّه للعظائم فصنعها ، و عهد اليه في تبليغ ءاي القرآن ... و هي جميعها خصوصيات لا يرقى رقيّه فيها أحد ؛ أما ما لم يشركه فيه بشر فهو ما أجمعت عليه كتب الشيعة و شاركها فيه كثيرون من علماء اهل السنّة منذ القرون الاولى . كالمسعودي و الحاكم و الكنجي . حتى القرون الحديثة . كالألوسي . و هو أنّ عليّاً وُلِدَ بِالْكَعْبَةِ .

كما يقول عبدالباقي عمر في هذا الشأن:

أَنْتَ الْعَلِيِّ الَّذِي فَوْقَ الْعُلَى رُفِعَا
بِبَطْنِ مَكَّةَ وَسَطِ الْبَيْتِ إِذْ وُضِعَا (27)

و يقول الحاكم النيسابوري : لَمْ يُوَلَدْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ قَبْلَ عَلِيٍّ وَ لَا بَعْدَهُ مَوْلُودٌ إِكْرَامًا لَهُ وَ إِجْلَالًا لِمَحَلِّهِ .

كما يقول ابن الصبّاح المالكي : وُلِدَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ بِدَاخِلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْأَصَمِّ ، رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ ، قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ وَ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَ قِيلَ بِخَمْسِ وَ عَشْرِينَ ، وَ قَبْلَ الْبُعْثِ بِاَثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَ قِيلَ بِعَشْرِ سِنِينَ ، وَ لَمْ يُوَلَدْ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَبْلَهُ أَحَدٌ سِوَاهُ ، وَ هِيَ فَضِيلَةٌ خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا إِجْلَالًا لَهُ وَ إِعْلَانًا لِمَرْتَبَتِهِ وَ إِظْهَارًا لِتَكْرَمَتِهِ ، وَ كَانَ عَلِيٌّ هَاشِمِيًّا مِنْ هَاشِمِيِّينَ وَ أَوَّلَ مِنْ وَلَدِهِ هَاشِمٌ مَرْتَيْنِ (28) و (29) و (30)

كيفية ولادة أميرالمؤمنين في الكعبة :

أمّا في كيفية ولادته فقد ورد أنّه :

أنت فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ أميرالمؤمنين عليه السلام ، و كانت حاملة بأميرالمؤمنين عليه السلام لتسعة أشهر ، و كان يوم التمام ، قال : فوقفت بإزاء البيت الحرام و قد أخذها الطلق ، فرمت بطرفها الى السماء وقالت : أي ربّ ، إنّي مؤمنة بك و بما جاء من عندك الرسول ، و بكلّ نبيّ من أنبيائك ، و بكلّ كتابٍ أنزلته ، و انّي مصدّقة بكلام جدّي ابراهيم الخليل و أنّه بنى بيتك العتيق . فأسألك بحقّ هذا البيت و من بناه ، و بهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني و يؤنسنني بحديثه ، و أنا موقنة أنّه إحدى ءاياتك و دلائلك لما يسرت عليّ و ولادتي .

قال العباس بن عبدالمطلب و يزيد بن قعنب (و كانا يشهدان ذلك) : لما تكلمت فاطمة بنت أسد

ودعت بهذا الدعاء ، رأينا البيت قد انفتح من ظهره (في موضع المُستجار) و دخلت فاطمة فيه و غابت عن أبصارنا ، ثم عادت الفتحة و التزقت بإذن الله (تعالى) ، فرُمنا أن نفتح الباب ليصل إليها بعضُ نساءنا فلم يفتح الباب ، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله (تعالى) .
و بقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام . قال : و أهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك و تتحدث المخدرات في خدورهن .

قال : فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح الباب من الموضع الذي كانت دخلت فيه ، فخرجت فاطمة و عليّ على يديها [و هي تقول : من مثلي يلد ولداً كهذا في جوف الكعبة؟!] (31) .

و أما ما نقله ابن الصبّاح المالكي عن كتاب المناقب لأبي المعالي الفقيه المكي فهو :
روى خبراً يرفعه الى عليّ بن الحسين [عليهما السلام] أنّه قال : كنّا عند الحسين (رض) في بعض الأيام و اذا بنسوة مجتمعين فأقبلت امرأة منهنّ علينا ، فقلتُ لها : مَنْ أنتِ يرحمك الله ؟ قالت : أنا زيدة ابنة العجلان من بني ساعدة .

فقلتُ لها : هل عندك من شيء تحدّثينا به ؟! قالت : أي والله ، حدّثتني أم عمارة بنت عبادة بن فضلة بن هالك بن عجلان الساعدي أنّها كانت ذات يوم في نساء من العرب ، إذ أقبل أبوطالب كئيباً حزيناً ، فقلتُ له : ما شأنك ؟ قال : إنّ فاطمة بنت أسد في شدّة من الطلق . ثمّ أنّه أخذ بيدها وجاء بها الى الكعبة فدخل بها و قال : اجلسي على اسم الله ، فطلقت طلقاً واحدة فولدت غلاماً نظيفاً منظفاً لم أر أحسن وجهاً منه ، فسماه أبوطالب عليّاً ، وقال شعراً :

سُمِّيَتْهُ بِعَلِيِّ كَيْ يَدُومَ لَهُ
عِزُّ الْعُلُوِّ وَ فَخْرُ الْعِزِّ أَدُومُهُ

و جاء النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم فحمله معه الى منزل أمّه . قال عليّ بن الحسين :
فوالله ما سمعتُ بشيء حسن قطّ إلّا و هذا من أحسنه (32) .

و يروي الشيخ سليمان القندوزي عن كتاب (موادّة القريبى) عن العباس بن عبدالمطلب قال : لما ولدت فاطمة بنت أسد عليّاً سمّته بإسم أبيه أسد و لم يرضَ أبوطالب بهذا الإسم فقال : هلمّ حتّى نعلو أبا قبيس ليلاً وندعوا خالق الخضراء ، فلعلّه أن ينبئنا في إسمه ، فلما أمسيا خرجا و صعدا أبا قبيس و دعيا الله تعالى ، فأنشأ أبوطالب شعراً :

يَا رَبِّ يَا دَا الْعَسَقِ الدَّجِي
وَالْفَلَقِ الْمُبْتَلَجِ الْمُضِي
بَيْنَ لَنَا عَن أَمْرِكَ الْمُقْضِي
بِمَا نُسَمِّي ذَلِكَ الصَّبِي

فإذا خشخشة من السماء ، فرفع أبوطالب طرفه فإذا لوح مثل زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر ، فأخذه بكلتا يديه و ضمّه الى صدره ضمّاً شديداً ، فاذا مكتوب :

خُصِصْتُمَا بِالْوَلَدِ الزَّكِيِّ

وَالطَّاهِرِ الْمُنْتَجَبِ الرَّضِيِّ

وَإِسْمُهُ مِنْ قَاهِرِ الْعَلِيِّ

عَلِيٍّ اشْتُقَّ مِنْ الْعَلِيِّ

فسرَّ أبو طالب سروراً عظيماً و حرَّ ساجداً لله تبارك و تعالى ، و عقَّ بعشرة من الإبل ، و كان اللوح معلقاً في بيت الحرام يفتخر به بنوهاشم على قريش حتى غاب زمان قتال الحجاج ابن الزبير (33)

تعليقات:

- (1) الآية 26 الى 28 ، من السورة 72 : الجن .
- (2) ذيل الآية 110 ، من السورة 18 : الكهف .
- (3) الآية 39 و 40 ، من السورة 15 : الحجر .
- (4) الآية 82 و 83 ، من السورة 38 : ص .
- (5) الآية 159 و 160 ، من السورة 37 : الصافات .
- (6) صدر الآية 13 ، من السورة 13 : الرعد .
- (7) ذيل الآية 44 ، من السورة 17 : الإسراء .
- (8) الآية 159 و 160 ، من السورة 37 : الصافات .
- (9) الآية 127 و 128 ، من السورة 37 : الصافات .
- (10) صدر الآية 87 ، من السورة 27 : النمل .
- (11) صدر الآية 68 ، من السورة 39 : الزمر .
- (12) مقطع من الآية 88 ، من السورة 28 : القصص .
- (13) الآية 26 و 27 ، من السورة 55 : الرحمن .
- (14) الآية 39 و 40 ، من السورة 37 : الصافات .
- (15) ذيل الآية 24 ، من السورة 12 : يوسف .
- (16) . و يرد هنا هذا السؤال : كيف يكون المراد بالإرتضاء هو الإرتضاء المطلق ، بينما المراد بالإرتضاء في الآية 28 من سورة الأنبياء : (وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) ارتضاءً في الدين و العقيدة ؟

و الجواب : لأنَّ الشفاعة عائدة لأهل المعصية ، و هي الكبائر ، بدليل الآية 32 من سورة النجم : لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسُؤا بِمَا عَمِلُوا وَ يُجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ؛ التي تعدّ من المحسنين الذين يجتنبون الكبائر فقط . و قد قال الرسول صلى الله عليه و ءاله : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي ، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل) . و جاء في سورة النساء ، الآية 30 :

إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُثْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ؛ و على ذلك فإنّ نفس الاجتتاب عن الكبائر مكفّر للسيئات و المعاصي الصغيرة .

و على هذا الأساس فإنّ المراد بالإرتضاء في آية الشفاعة لا بدّ ان يكون . بمناسبة الحكم و الموضوع . الإرتضاء في الدين و العقيدة لا الإرتضاء في السرّ و الذات و العمل ، لأنّ الذي تصبح ذاته و سرّه مورداً للإرتضاء فليس هناك من معنى للشفاعة له . و يؤيّد هذا المعنى الروايات الواردة عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، التي يفسّر فيها الإمام الإرتضاء في آية الشفاعة بالإرتضاء في الدين (في تفسير الميزان ، المجلّد الاول ، ص 171 فما بعد ، و المجلّد الرابع عشر ، سورة الأنبياء الآية 28 ، روايات تدلّ على هذا المقصود) . وتبقى آية الإرتضاء تلك حول علم الغيب باقيةً على إطلاقها بمناسبة الحكم و الموضوع ؛ أمّا بشأن الشفاعة فإنّها سيكون لها كذلك إطلاق في الدين و العقيدة .

(17) الآية 27 و 28 ، من السورة 72 : الجنّ .

(18) الآية 64 ، من السورة 19 : مريم .

(19) يُرجع الى كتاب (أبوطالب مؤمن قريش) تأليف عبدالله الخنيزي ، و كتاب (الحجّة على الزاهب الى تكفير أبي طالب) تأليف فخار بن سعد بن فخار الموسويين معد الموسوي الحائري الذي يروي عن ابن ادريس الحلّي ، و يروي عنه المحقّق الحلّي ، و يرجع كذلك الى كتاب (أبوطالب حامي الرسول و ناصره) تأليف العلامة نجم الدين الشريف العسكري .

(20) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ، هامش الصفحة 13 ؛ و (تذكرة السبط) ابن الجوزي ، ص .

6

(21) الفصول المهمّة ، ص . 13

(22) و ينقل ابن الأثير ذيل كلام ابن الصبّاغ في (أسد الغابة) ، ج 5 ، ص . 517

(23) الى هنا كلام ابن الصبّاغ .

(24) تذكرة الخواص ، ص . 6

(25) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ ص 12 نقلاً عن ضياء الدين أبي المؤيد الموفق بن أحمد

الخورزمي في كتابه (المناقب) .

(26) ديوان الحميري ، ص 155 ، و يقول جامع الديوان ان تخريج هذه الأبيات من (أعيان

الشيعة) ، ج 12 ، ص 240 ؛ و (المناقب) ، ج 2 ، ص 175 ؛ و (دلائل الصدق) ، ج 2 ، ص .

328

(27) تعليقة أشعار الحميري في ديوان الحميري ، ص . 155

(28) الفصول المهمّة ، ص 12 ؛ و كذلك قال ابن الأثير في (أسد الغابة) ج 4 ، ص 14 : و

هو أول هاشمي ولد بين هاشميين . ل

(29) ل . عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام ليس أول هاشمي ولد من هاشميين ، اذ انّ أخاه الأكبر له

هذه الصفة .

30) ل . ذكر في كتاب الغدير ، ج 6 ، من ص 21 الى 38 الروايات الواردة في ولادته عليه السلام في جوف الكعبة مع أسنادها و أسماء علماء أهل السنّة الذين أوردوها في كتبهم والشعراء الذين أنشدوا فيها قصائدأ .

31) غاية المرام) ، ص 13 ، عن كتاب (الأمالي) للشيخ الطوسي . و العبارة بين القوسين المعقوفين ترجمة النصّ كما ورد بالفارسيّة .

32) الفصول المهمّة) ، ص 12 ؛ و (غاية المرام) ، ص 13 نقله عن طريق العامّة عن كتاب (المناقب) لابن المغازلي الشافعي .

33) ينابيع المودّة) ، ص . 255

33) ينابيع المودّة) ، ص . 255

الدرس الرابع : لزوم عصمة الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

و صَلَّى اللهُ على مُحَمَّد و ءاله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ

مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا (1) .

الصفات المعتدلة في الإنسان :

يوجد في الإنسان صفات حسنة مثل الشجاعة و السخاء و العفة وغيرها ، إذا ما أعمل كلاً منها في موقعه المناسب و بالمقدار المعين الضروري ، فإنّ هذه الصفات ستكون صحيحة و مفيدة ، أما إذا تجاوزت حدودها و عمِل بخلافها فإنّها ستكون خطأ و باعثاً على الضرر .

و يُقال لعكس هذه الصفات صفات الرذيلة ، و هي الإفراط والتفريط في حدود هذه الصفات ؛ فالشجاعة مثلاً ، و هي ملكة حسنة ، تمثل الحدّ المتوسطّ و المعتدل و الممدوح بين الطرفين المذمومين ، ففي ناحية التفريط و النقص في تلك الملكة عنوان الجبن و الخوف و هو من الصفات الرذيلة ، بينما هناك في ناحية الإفراط و التطرّف عنوان التهورّ و اللامبالاة وهو أيضاً أمر خاطيء و غير حسن . و على الإنسان أن يحافظ في نفسه دائماً على هذه الصفة في حدّ الاعتدال ، و لا يسمح لها أن تنزل عن حدّها فتسقط الى مرحلة الجبن ، و لا أن تصعد حتّى تبلغ مرحلة التهورّ واللامبالاة .

و الأمر كذلك في العفة و هي من الصفات الحسنة جداً ، لكنّها اذا تنزّلت عن حدّها فإنّها ستتجرّ الى مرحلة الخمود ، أي عدم الإحساس والكسل ، و حينذاك تصبح قبيحة غير مقبولة ، و اذا صارت أقوى من حدّها فإنّها ستتجرّ الى مرحلة الهتك و الشره ، و هي أيضاً من القبائح و الذمائم .

و ينبغي على الإنسان أن يكون دوماً مواظباً و مراقباً لتحياي فيه الملكة المعتدلة بإسم العفة ، فلا تسقط . لا سامح الله . الى مرحلة الخمود أو تصل الى مرحلة الهتك و الشره ، حيث ان تلك الملكة الحسنة ستموت في تلك الحالتين ، فتحيا في الإنسان بدلها إحدى هاتين الحالتين غير الممدوحتين ، فتصبح حياته حياة النفس الأمّارة .

و السخاء أيضاً هو الحدّ الأوسط و الدرجة الحسنة ، و ما لم يُصرف في موقعه أو مكانه لترتّب عليه عنوان البخل ، أما اذا جاوز حدّه لترتّب عليه عنوان التبذير و الإسراف ، و من المعلوم انّ كلاً من هاتين الحالتين فاسد و غير حسن . و يجب على الإنسان ان يسعى لتوجد عنده حالة التعادل بإسم ملكة السخاء ، و أن يمتنع عن الإفراط و التفريط اللذين هما مرتبة التبذير والبخل . و سيكون الإنسان

في هذه الحال إنساناً صحيحاً و متعادلاً .

إن تلك القوة الموجودة في الإنسان ، و التي يحافظ بواسطتها على هذه الصفات متعادلة هي العقل ؛ و بسبب دراية العقل بالمصالح و المفسد و تمييزه منافع الأشياء و مضارها ، فإنه سيكون مقيداً لتلك الصفات المذمومة كالسلسلة و مانعاً من حركتها و بروزها ؛ و ما دامت القوة العقلية تعمل بوظيفتها في انتظام هذه القوى ، فإن أياً منها لن يستطيع التجاوز عن حدّه و الظهور ، ولكن لأن أصل هذه الصفات و جذورها موجود في جميع أفراد الإنسان بلا استثناء ، حتى في الأخيار و الرجال المتقين و أصحاب الفضيلة و العلم ، و لأن بذورها موجودة في القلب في انتظار الفرصة ، فإنها لن تتوانى . عندما تنهياً لها هذه الأرضية المناسبة و عندما تسمح لها الفرصة . عن الهجوم لتسحق ملكة التقوى و العلم و الفضيلة و البصيرة ، لتطلع في الإنسان و تبرز من جديد .

و يحصل كثيراً أن المريض الذي يمنعه الطبيب من أكل الطعام سيمتنع عن تناول ذلك الطعام ، بسبب عقله و إدراكه لمنافع الإحتراز عن الأكل ؛ و لكن اذا ما توقرت الأرضية المناسبة أحياناً كالجوع و اشتهاه الطعام ، و كان هناك طعامٌ لذيذ يجري طبخه في البيت تحرك راحته المتصاعدة من بعيد قوة الاشتهاء لدى المريض ، و اذا اتفق عدم وجود أحد في البيت ليستحيي المريض منه و يتمالك نفسه ، فإنه كثيراً ما يحصل ان تتصاعد رغبة اشتهاه الطعام في وجوده الى حدّها الأقصى فينهض فجأةً ويأكل من ذلك الطعام حتى يشبع .

و عندما يشبع و يسقط في سريره فإنه سيعضّ على اصبعه ندماً أن : أي عمل ارتكبت مع وجود عملية جراحية في المعدة او الأمعاء؟! من المسلم أنّ عليّ الإستعداد لاستقبال المقبرة بعد ساعات . و كذلك الأمر اذا عملت التقوى بوظيفتها و أمسكت زمام الشهوة بيدها و أسرتها تحت سيطرتها ، فإن من المستحيل على الشخص أن يرتكب الزنا أو أن يعمل عملاً منافياً للعفة ؛ ولكن و بسبب وجود الشهوة الجنسية في كيان الإنسان ، فإنها كثيراً ما تكسر هذا الطوق عند وجود الأرضية المناسبة ، فحين تشتدّ هذه القوة في محلّ الخلوة و عند انعدام أيّ رادعٍ و مانع خارجي ، و عند عدم وجود المؤاخذه ، و خاصّة اذا اقترن ذلك برغبة الطرف الأخر أو دعوته و طلبه لذلك ؛ فإنّ هذه القوة ستطلع فجأةً وسيرتكب هذا الشخص مثل هذا العمل القبيح .

و من المؤكّد أنّه في حال طلوع الشهوة و بروزها ، فإنها ستسبّب النكبة للعقل و المعرفة و التقوى و العلم بمفسد هذا العمل و أضراره ، بحيث أنّها ستعجز عن الوقوف بوجهها . و من المسلم ان لا وجود للتقوى والعقل في تلك الحال ، و لا للعلم و المعرفة ؛ و الا فكيف سيمكن لهذه الغريزة . مع وجود هذه الأمور . أن تتخطى حدودها؟! .

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله : لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَ هُوَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يَشْرَبُ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ (2) .

كما أنّه كثيراً ما تبدر من العلماء و أهل البصيرة كلمة قبيحة في مواقع معينة أثناء مباحثاتهم و حينما يُغلبون ، أو من أجل التنكيل بخصمهم والغلبة عليه في مقام المناظرة و المجادلة ؛ إذ يتفوهون بعبارة غير لائقة يندمون بعدها و يقولون مع أنفسهم : لقد كنّا أصحاب ملكة العفة ، و لقد قررنا مع

أنفسنا ألا نكذب و لا نغتاب و لا نُسب و لا نشتم و لا تصدر منا كلمة تدلّ على عيب خصمنا أو نقصه ، فما بالنا نتقوّه بمثل هذه الكلمة بلا تأمل أو تفكير بعاقبة الأمر ؟ ما بالنا هتكنا ستار عفة لساننا ؟

إنّ هذه و أشباهها جميعاً مسببة عن وجود صفة الرذيلة في القلب وتقييدها بقيد العقل و حفظ المصالح الخارجيّة ، فتبقى دائماً بالمرصاد لتقتنص صيدها في الوقت المناسب و تحقّق رغبتها . و كما قد ذُكر ، فإننا نشاهد أحياناً مثل هذه البروزات و الظهورات في جميع أفراد البشر بلا استثناء . يقول العالم الشهير فيلسوف الشرق أبوعلي بن سينا : أَلْخَصُّ لَكَ الطَّبُّ فِي جَمَلَتَيْنِ :

اسْمَعْ جَمِيعَ وَصِيَّتِي فَأَعْمَلْ بِهَا
فَالطَّبُّ مَجْمُوعٌ بِنَظْمِ كَلَامِي
أَقْلِلْ جِمَاعَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
مَاءُ الْحَيَاةِ تَصُبُّ فِي الْأَرْحَامِ
إِجْعَلْ غِدَائَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً

وَاحْذَرْ طَعَاماً قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ (3)

قيل أنّه سُئل : ما دمت تعرف مضارّ الإفراط في الجماع ، فلماذا صرت تفرط فيه ؟ فأجاب : أحبّ أن استفيد من كفيّة عمري لا من كميّته .

كما إنّ أكثر الأطباء يعلمون جيّداً أضرار المشروبات الكحوليّة ، وكانت لهم مؤتمراتهم و خطاباتهم في هذا المجال ، أو مقالاتهم التي كتبوها و ألفوها ، لكنّهم ابتلوا في نفس الوقت بهذا العمل الشيطاني .

بلى ، لو اقتنع الإنسان بهذا الحدّ من العلم و التقوى بحيث صار يمتنع عن الجناية و الجريمة بسبب ملاحظة المصالح الخارجيّة فقط ، و ما لم يستطع القضاء على أصل مادّة الفساد في نفسه ، أو قطع جذور و ميكروبات الصفات الرذيلة كالشره والخمود و الجبن و التهورّ و البخل و التبذير ونظائرها عن سويداء ضميره ، فإنّه لن يكون قد أدرك مقام الإنسان الواقعي ، وسيكون مثل الحيوان المقيد بسلسلة مستسلماً مطيعاً ، ولكن حالما يكسر هذه السلسلة فإنّه سيجترح الأفاعيل .

و اذا ما اجتنب من الكذب و البّخس في البيع و الظلم و الزنا و أشباه ذلك حال اليقظة ، فإنّ هذه الصفات ستظهر حال النوم الذي ليس فيه وجود للمصالح الخارجيّة ، فتوجد المشاهد المفجعة .

سيرى في النوم أنّه يزني ، و يريح ، و يعرّز شخصيّته ، و يظلم ويجني ؛ و حين يستفيق هذا المسكين سيعجب من هذه الأحلام و يستبعد أن يناسبه مثل هذه الأمور ، غافلاً عن أنّ أصل و جذور هذه المفاسد لا يزال في قلبه لم يغادره بعدُ ، بل موجود فيه كامناً في زواياه و خرائبه ينتظر الجوّ المساعد ليبرز و يحقّق هدفه .

الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام و الأولياء المقربون عند الله هم الذين أخرجوا هذه الصفات الرذيلة و جرائم الفساد من قلوبهم ، و الذين قضوا على بذور هذه الصفات في مزرعة قلوبهم ، فقد أعطاهم الله سبحانه وتعالى بعنايته نوعاً من العلم و المعرفة بحيث لا مجال معه لمثل هذه الرذائل .

ذلك العلم و المعرفة الذي يُحرق ببريقه جميع الصفات الرذيلة ويمحيها و يهدمها ، و يقطع أصول و جذور البخل و الشره و التهور كي لا تدبر منهم أبداً أمثال هذه الرذائل في أي لحظة من العمر ، و مع أكثر الظروف ملائمةً ، و لو لمرة واحدة . فيوسف الصديق مع توفّر جميع الشرائط و الإمكانيات ، و مع وجود جميع المقترضات و مع مواجهته للمخاطر العظيمة بسبب هجره للذنوب ، فإن قلبه . مع ذلك كلّه . لم يسمح له بارتكاب الذنب ؛ و هذه خاصّة و جوهرة القلب في مثل هؤلاء الأشخاص التي لا تسمح لهم حتّى بأن يحلموا في النوم بارتكاب الذنب ، و لا أن يتخيّلوا ارتكابه في اليقظة . فليس هناك للمقرّبين و أولياء الله طوال عمرهم لحظة واحدة يفكّرون فيها بالذنوب ، حتى لو عاشوا سنوات كثيرة دون زوجة ، و مهما توفّرت لهم جميع الإمكانيات بأعلى درجاتها ، حتّى لو تهَيّئت وسائل الذنب بعيداً عن انظار الناس و اطلاعهم ، فاتّهم لن تخطر على قلوبهم فكرة الذنب أبداً .

و هؤلاء الأفراد قد استثنوا لوحدهم من كليّة بروز غرائزهم ، كما أنّ ذلك العلم الذي أعطاهم الله تعالى اثر مجاهداتهم النفسية و استقامتهم في طريق عبوديته الحقّة ، فوصلوا بنور القلب الى هذا المقام ؛ ليس من العلوم البسيطة ، بل هو علم خاصّ و كيفية مخصوصة يعبر عنها لسان القرآن الكريم ب (روح الله) أو (روح القدس) :

و كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا (4) .

لقد جعلنا هذا الروح نوراً لكي نهدي به من نشاء من عبادنا ؛ و هذا النور هو روح الله أو روح القدس الذي دخل في قلب الإنسان و حوّل حالة القلب و صرّفه عن غير الله تماماً ، و جعله يرتبط كلياً بالله تعالى ، و هذا هو مقام عصمة الأنبياء و الأئمة الأطهار .

و يجب أن نعلم في هذا المقام أنّ النفس لن تضمحلّ كلياً ، بل أنّها ستكون مُنفادة و مُطيعه بصورة محضة ، فلا مجال لها للتخطّي و التجاوز قيد شعرة .

و قد قال رسول الله صلّى الله عليه و ءاله يوماً : ما منكم من أحد إلّا وقد وكلّ به قرينه من الشياطين . قالوا : و أنت يا رسول الله؟! قال : نَعَمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ (5) .

و في هذه الحالة فإنّ هذه النفس هي أحسن نعمة و أعلى موهبة الهية لأولياء الله ، لأنّها استحالّت نفساً مطمئنّة و وجدت لياقة خطاب الرجوع الى حرم الله تعالى .

انّ الله تعالى يذكر في سورة الأنعام سبعة عشر نبياً من الأنبياء في عدّة آيات متعاقبة ، من نوح و ابراهيم و لوط و اسحق و يعقوب و اسماعيل و اليسع و موسى و هارون و عيسى و يحيى و داود و سليمان و زكريّا و أيّوب و يونس و الياس ؛ فيمجّدهم ، حتّى أنّه أتى على بعض ءابائهم وإخوانهم ذريّاتهم فدعاهم بالعباد الصالحين و المهتدين ، ثم يقول :

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (6) .

استفادة عصمة المقرّبين من الله من مجموع ثلاث آيات قرآنية :

انّ هداية الله التي وصلت اليهم ، نوع من الهداية التي يهدي بها الله من يشاء من عباده الخاصين ؛

ثم يقول بعد الآية التي ذكرناها سابقاً :

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْبِهِمْ افْتَدِهْ (7) .

و نستفيد من هاتين الآيتين أنّ هداية الله قد وصلت الى الأنبياء . ثم أنّه من جانب آخر يقول :
وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ (8) .
و يقول أيضاً :

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ (9) .

و نستفيد من هاتين الآيتين أيضاً أنّ الذين يهديهم الله هم الذين اهتدوا الى الطريق ، فلن تؤثر أيّ وسوسة شيطانية من تسويلات الجنّ والانس ، و لو اجتمع الناس على أن يضلّوهم فإنهم لن يستطيعوا التصرف في إرادتهم و علومهم و اختيارهم و لا على زعزعتهم أو زلزلتهم .

و من جانب آخر يقول تعالى :

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ .

و في هذه الآية يعتبر الله سبحانه أنّ اتباع الشيطان هو الضلالة بعينها ؛ و بمقتضى الآيات التي مرّ ذكرها فإنّ الله هو الذي يهدي الأنبياء ، وأنّ من يهدي الله فما له من مُضِلٍّ .

و الضلالة حسب مفاد هذه الآية هي اتباع الشيطان و المعصية والذنب و الإثم و الالتفات الى غير الحقّ ، و هي التآثر بإلقاءات النفس الأمّارة .

و لأنّ الأنبياء ليس لهم مُضِلٌّ . كما مرّ . فليس إذن من إلقاءات شيطانية و لا تسويلات نفسية و لا إثم لهم ، و هذا هو معنى العصمة .

و بجمع هذه المجاميع الثلاث من الآيات القرآنية ، فقد أثبتت العصمة للمهتدين و برهن عليه بشكل جليّ و الحمد لله .

عصمة أميرالمؤمنين عليه السلام :

و هذا الإستدلال راجع لعموم المقرّبين من الله سبحانه ، لكنّه بالنسبة لأميرالمؤمنين عليه السلام و هو يعسوب الدين و وليّ المؤمنين و قائد الغرّ المحجلّين . له دلالة أوفى و أنّم على عصمته عليه السلام .

فلقد تربّى ذلك الإمام في احضان رسول الله منذ الطفولة ، و كان تحت تربيته و تعليمه ؛ يقول محمّد بن طلحة و هو شافعيّ المذهب توفّي سنة 654 هـ (10) ، و ابن الصبّاغ المالكي المذهب المتوفّي سنة 855 هـ : (11) و (12) لما نشأ عليّ بن أبي طالب [عليه السلام] و بلغ سنّ التمييز ، أصاب أهل مكة جذبٌ شديد و قحطٌ أجحف بذوي المروة و أضرّ بذوي العيال الى الغاية ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه [و آله] و سلّم لعمة العباس . و كان من أيسر بني هاشم . يا عمّ إنّ أخاك أباطالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى ، فانطلق بنا الى بيته لنخفف من عياله فتأخذ أنت رجلاً واحداً و اأخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه .

قال العباس : أفعل . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهما أبوطالب : اذا تركتما لي عقيلاً و طالباً فاصنعا ما شئتما . فأخذ رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم علياً و ضمّه اليه ، و أخذ العباس جعفرأ فضمه اليه ؛ فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم حتى بعث الله عزوجل محمداً نبياً فاتبعه علي عليه السلام و ءامن به و صدقه و كان إذ ذاك في السنة الثالثة عشر (13) من عمره لم يبلغ اللحم و قيل غير ذلك . و أكثر الأقوال و أشهرها انه لم يبلغ اللحم ، و أنه أول من أسلم و ءامن برسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم من الذكور (14) ، ...

قاله الثعالبي (15) في تفسير قوله تعالى : السَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَ الْأَنْصَارِ (16) ، و هو قول ابن عباس و جابر بن عبدالله الأنصاري و زيد بن أرقم و محمد بن المنكدر و ربيعة المرائي ؛ و قد أشار علي بن أبي طالب [عليه السلام] الى شيء من ذلك في أبيات قالها رواها عنه الثقة الأثبات ، وهي هذه الأبيات :

مُحَمَّدُ النَّبِيُّ أَخِي وَ صِنُوي
وَ حَمْرَةُ سَيِّدُ الشَّهْدَاءِ عَمِّي
وَ جَعْفَرُ الَّذِي يُضْحِي وَ يُمَسِي
يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي
وَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكْنِي وَ عِرْسِي
مَنُوطٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَ لَحْمِي
وَ سَبْطًا أَحْمَدٌ وَ لَدَائِي مِنْهَا
فَأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي
سَبَقْتُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ طُرّاً
عُلَاماً مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلْمِي
وَ أَوْجَبَ لِي وَ لَائِيْتُهُ عَلَيْكُمْ
رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ حَمِّ
فَوَيْلٌ لِّمَنْ وَ يَلٌ لِّمَنْ وَ يَلٌ

لِمَنْ يَلْقَى الْإِلَهَ غَدَاً بِظُلْمِي (17)

(والعجب من هذين العالمين السنيين كيف يعدان هذه الأشعار لأميرالمؤمنين عليه السلام يقيناً و كيف سيترفان و يقرآن بدخول ظالميه الى جهنم تبعاً لقوله عليه السلام!!) و قد نُقل عن جابر بن عبدالله الأنصاري انه قال : سمعتُ علي بن أبي طالب عليه السلام يُنشد و رسول الله يسمع :

أَنَا أَخُو الْمُصْطَفَى لَا شَكَّ فِي نَسَبِي

بِهِ رُبَيْتُ وَ سَبَطَاهُ هُمَا وُلْدِي
جَدِّي وَ جَدَّ رَسُولِ اللَّهِ مُنْفَرِدًا
وَ فَاطِمَةُ زَوْجَتِي لَا قَوْلَ ذِي فَئِدَةٍ
صَدَّقْتُهُ وَ جَمِيعُ النَّاسِ فِي بُهْمِ

مِنَ الضَّلَالَةِ وَ الإِشْرَاقِ وَ النَّكَدِ (18)

قال (19) : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ قَالَ : صَدَّقْتَ يَا عَلِيّ !

و يشرح أميرالمؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) ضمن خطبته (القاصعة) فترة صباه في
صُحْبَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ :

وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ بِالقَرَابَةِ القَرِيبَةِ وَ المُنزِلَةِ الخَصِيسَةِ ،
وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَ أَنَا وُلْدٌ وَ يَضُمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ وَ يَمَسِّنِي جَسَدَهُ ، وَ يَشْمُنِي
عُرْفَهُ ، وَ كَانَ يَمَضَعُ الطَّعَامَ ثُمَّ يُلَقِّمُنِيهِ ، وَ مَا وَجَدَ لِي كِذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَ لَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ .
وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، يَسْأَلُكَ بِهِ
طَرِيقَ المَكَارِمِ وَ مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ العَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ ، وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الفَصِيلِ أَثَرِ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا وَ بَأْمُرُنِي بِالإِفْتِدَاءِ بِهِ .

وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ ، فَأَرَاهُ وَ لَا يَرَاهُ غَيْرِي ، وَ لَمْ يَجْتَمِعْ بَيْنَتْ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي
الإِسْلَامِ ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ خَدِيجَةَ ، وَ أَنَا تَالِئُهُمَا ، أَرَى نُورَ الوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ ،
وَ أَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ ، وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ ، فَقُلْتُ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ ! مَا هَذِهِ الرَّنَةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّيْطَانُ أُيسٍ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى ،
إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَ لَكَتَكَ وَ زِيرٌ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ (20) .

والعجب أنه مع هذا المقام و المنزلة و الوصايا التي أكد عليها الرسول و جعله علياً وصياً و وزيراً
و ولياً للمؤمنين و خليفته من بعده ، فأنهم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة قبل أن يُدفن جسد الرسول
المطهر ، ففعلوا ما فعلوا ، و لم يكتفوا بسلب الخلافة ، بل عمدوا الى مصادرة بُستان الصديفة الطاهرة
فاطمة بنت رسول الله ، فسلبوا نحلة رسول الله و كسروا فؤاد بنت رسول الله .

ثم ان فاطمة ذهبت بعد ذلك الى المسجد لإثبات حقها ، فتحاججت مع أبي بكر ؛ يقول ابن شهر
ءاشوب : و لما انصرفت من عند أبي بكر أقبلت على أميرالمؤمنين عليه السلام فقالت له :

يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ ! إِشْتَمَلْتَ شَمْلَةَ الجَنِينِ ، وَ قَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ ، نَقَضْتَ قَادِمَةَ الأَجْدَلِ فَخَانَكَ رِيَشُ
الأَعْزَلِ .

هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، قَدْ ابْتَرَنِي نُحَيْلَةَ أَبِي ، وَ بُلَيْغَةَ ابْنِي .

وَاللَّهِ لَقَدْ أَجَدَّ فِي ظُلَامَتِي ، وَ أَلَدَّ فِي خِصَامِي ، حَتَّى مَنَعْتَنِي الْقَيْلَةَ نَصْرَهَا ، وَ الْمُهَاجِرَةَ وَصَلَهَا ،
وَ غَضَّتِ الْجَمَاعَةُ دُونِي طَرْفَهَا ؛ فَلَا مَانِعَ وَلَا دَافِعَ .
خَرَجْتُ وَاللَّهِ كَاطِمَةً ، وَعُدْتُ رَاغِمَةً .

أَضْرَعْتُ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتُ خَدَّكَ ، افْتَرَسْتَ الذَّبَابَ وَافْتَرَسَكَ الذَّبَابُ ، مَا كَفَفْتَ قَائِلًا ، وَ لَا أَغْنَيْتَ
بَاطِلًا ، وَ لَا خِيَارَ لِي لَيْتَنِي مِتَّ قَبْلَ ذُلَّتِي ، وَ تُوفِّيتُ دُونَ مُنْيَتِي (21) .

عَذِيرِي وَاللَّهِ فِيكَ حَامِيًا ، وَ مِنْكَ دَاعِيًا ، وَيَلَايِفِي كُلَّ شَارِقٍ ، مَاتَ الْعَمْدُ وَ وَهَنَ الْعَضُدُ .
شَكَّوَايَ إِلَى رَبِّي وَ عُدَّوَايَ إِلَى أَبِي .
اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَ أَحَدٌ بِأَسَاءَ وَ تَتَكَبَّلُ .
فَأَجَابَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

لَا وَيْلَ لَكَ ! بَلِ الْوَيْلُ لِشَانِنِكَ ، تَهْنِئِي عَن عَرِيكِ يَا بِنْتَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةِ النَّبَوَّةِ .
فَوَاللَّهِ مَا وَنَيْتُ فِي دِينِي ، وَ لَا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِي ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدِينَ الْبُلْعَةَ فَرَزُقُكَ مِضْمُونٌ وَ كَفِيلُكَ
مَأْمُونٌ ، وَ مَا أَعِدُّ لَكَ خَيْرٌ مِمَّا قُطِعَ عَنكَ ، فَاحْتَسِبِي !

فَقَالَتْ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ ! (22)

يقول ابن أبي الحديد : وَ قَدْ رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ فَاطِمَةَ عَلِيَّهَا السَّلَامُ حَرَضَتْهُ يَوْمًا عَلَى
النَّهْوِضِ وَ الْوُثُوبِ ، فَسَمِعَ صَوْتَ الْمُؤَدِّنِ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَقَالَ لَهَا : أَيَسْرُكَ زَوَالَ هَذَا النَّدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ ؟
قَالَتْ : لَا .

قَالَ : فَإِنَّهُ مَا أَقُولُ لَكَ ! (23) .

تعليقات:

(1) صدر الآية 52 ، من السورة 42 : الشورى .

(2) وسائل الشيعة) ، ج 14 ، ص 233 .

(3) الكنى و الألقاب) ، ج 1 ، ص 322 ، طبع مكتبة الصدر . وقد أورد في (ريحانة الأدب) ،
طبع مكتبة (خيّام) ، ج 7 ، ص 280 أحد عشر بيتاً هي مجموع هذه الأبيات الثلاثة مع ثمانية أبيات
أخرى عن أبي المؤيد محمد بن محمد العنترى صاحب (قربادين) ، و هو من فلاسفة و حكماء و
مشاهير أطباء و أدباء أوائل القرن السادس :

احْفَظْ بَنَى وَصِيَّتِي وَاعْمَلْ بِهَا

فَالطَّبَّ مَجْمُوعٌ بِنَصِّ كَلَامِي

قَدَّمَ عَلَى طِبِّ الْمَرِيضِ عِنَايَةً

فِي حِفْظِ قُوَّتِهِ مَعَ الْأَيَّامِ

بِالشَّبهِ يُحْفَظُ صِحَّةً مَوْجُودَةً

وَالضَّدَّ فِيهِ شِفَاءً كُلِّ سِقَامِ

قَلَّ نِكَاحَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ
 مَاءُ الْحَيَاةِ يُرَاقُ فِي الْأَرْحَامِ
 وَاجْعَلْ طَعَامَكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً
 وَاحْذَرْ طَعَامَكَ قَبْلَ هَضْمِ طَعَامِ
 لَا تُحَقِّرِ الْمَرَضَ الْيَسِيرَ فَإِنَّهُ
 كَالنَّارِ تُصْبِحُ وَ هِيَ ذَاتِ ضَرَامِ
 لَا تَهْجُرَنَّ الْقِيَاءَ شَهْرَكَ إِنَّمَا
 كَيْمُوسُهُ سَبَبٌ إِلَى الْأَسْقَامِ
 إِنْ الْحِمَى عَوْنُ الطَّبِيعَةِ مُسْعِدًا
 شَافٍ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْأَلَامِ
 لَا تَشْرَبَنَّ بَعْقِيبَ أَكْلِ عَاجِلًا
 لَا تَأْكُلَنَّ بَعْقِيبَ شُرْبِ مُدَامِ
 وَ خُذِ الدَّوَاءَ إِذَا الطَّبِيعَةُ كَدَّرَتْ
 بِالْإِحْتِلَامِ وَ كَثْرَةِ الْأَحْلَامِ
 وَالطَّبَّ جُمْلَتُهُ إِذَا حَقَّقْتَهُ
 حَلٌّ وَ عَقْدُ طَبِيعَةِ الْأَجْسَامِ

وقد نسب بعض أصحاب التراجم هذه القصيدة ذات السبعة عشر بيتاً الى (ابن بطلان) ، الا انه نقل في (نامه دانشوران) عن المؤرخ الخزرجي ان هذه القصيدة لأبي المؤيد ، أوردها في كتاب (نور المجتبي) .

(4) صدر الآية 52 ، من السورة 42 : الشورى .

(5) مجمع الزوائد) ، ج 8 ، ص 225 ، طبع بيروت . و قد أورد في هذا الباب خمسة أحاديث ، و

العبارة الواردة في المتن مضمون هذه الأحاديث الخمسة .

(6) صدر الآية 88 ، من السورة 6 : الأنعام .

(7) صدر الآية 90 ، من السورة 6 : الأنعام .

(8) ذيل الآية 36 و صدر الآية 37 ، من السورة 39 : الزمر .

(9) مقطع من الآية 17 ، من السورة 18 : الكهف .

(10) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) ، ص 11 .

(11) الفصول المهمة) ، ص 14 .

(12) و قد أورد الطبري هذه القصة في تاريخه (تاريخ الامم و الملوك) ، ص 58 .

(13) أكثر علماء الشيعة يقولون بأن السنّ المبارك لأميرالمؤمنين زمن بعثة رسول الله كان عشرة

سنوات .

(14) روى الطبري في ج 2 ، ص 57 عن ابن اسحق قال : كان أول ذكر ءامن برسول الله صلى

الله عليه [وآله] و سلم و صدق بما جاء به من عند الله علي بن أبي طالب ، و هو يؤمئذ ابن عشر سنين . و كان ممّا أنعم الله به على علي بن أبي طالب أنّه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم قبل الإسلام . كما يقول ابن الأثير في (أسد الغابة) ، ج 4 ، ص 16 : و هو أوّل الناس إسلاماً في قول كثير من العلماء على ما ذكره . و ينقل في (غاية المرام) ، ص 499 في أنّ أميرالمؤمنين كان أوّل من أسلم 47 حديثاً من طريق العامة ، و في ص 504 الباب 22 يورد 18 حديثاً من طريق الخاصة .

- 15) النقل عن الثعالبي في (الفصول المهمّة) فقط ، و ليس موجوداً في (مطالب السؤل) .
- 16) صدر الآية 100 ، من السورة 9 : التوبة .
- 17) يذكر في (الفصول المهمّة) أربعة أبيات فقط من الأشعار أعلاه (1 و 3 و 5 و 7) .
- 18) مطالب السؤل) ، ص 11 ؛ و ينقل كذلك في (ينابيع المودّة) ، ص 57 هذه ل
- 19) ل الأشعار عن الموفق بن احمد بسنده عن جابر بن عبدالله قال : سمعتُ علياً يقول ... الخ
- 20) نهج البلاغة) عبدة ، ج 1 ، ص 392 ، الخطبة 190 القاصعة .
- 21) دُون مُنِيَّتِي ، و في بعض النسخ (دُون هَيْئَتِي) اي قبل ذلّي و هواني ، و (مُنِيَّتِي) بمعنى موتي ، أي ليئتي متّ قبل أوان موتي (اي الاجل المسمى) .
- 22) مناقب ابن شهر آشوب) ، ج 1 ، ص 382 ، الطبعة الحجرية ، و الطبعة الحروفية ج 2 ، ص 208 ؛ و (الاحتجاج) للطبرسي ج 1 ، ص 145 .
- 23) شرح نهج البلاغة) (الطبعة ذات 20 مجلّداً) ، ج 11 ، ص 113 .
- 23) شرح نهج البلاغة) (الطبعة ذات 20 مجلّداً) ، ج 11 ، ص 113 .

الدرس الخامس : العصمة أمرٌ موهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ءَالِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (1) .

عصمة الأنبياء حتمية :

انّ قوة العصمة في الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام موهبة إلهية ، و هي نوعٌ من المعرفة و الحالة القلبية لديهم لا تماثل سائر العلوم البشريّة ، كما أنّها لا تغلبها و لا تقهرها الواردات الطبيعيّة و لا الخيالات الخسيسة الماديّة في النوم أو اليقظة ، في اليأس أو العسر ، في الرخاء أو الشدّة ، بل تشرق في القلب دائماً كالشمس المنيرة فتخرج النقاط السوداء المظلمة من زواياه . وهذا النوع من العلم ليس فقط قوياً بحيث لا تغلبه القوى الشعوريّة و لا ينكبه طغيانُ الإحساسات ، بل أنّه يُصيرها جميعاً تحت سيطرته ، ويستخدمها في مصالحه ، و يأمرها بأمره و نهيه ، فلا قدرة لها على التخطّي و التجاوز . و بناءً على هذا فإنّ قوة العلم و النور المضيء تصون صاحبها عن الضلالة و المعصية و الخطأ دائماً .

و قد ورد في الروايات أنّ هناك روحاً لدى الأنبياء و الأئمة تسمّى ب (روح القدس) تحفظهم في مقام الإنسانيّة الرفيع ، و تصونهم عن الإنزلاق و الإثم و الخطأ .

و قد وردت في الآية المباركة التي ذُكرت سابقاً في مطلع الحديث كلمة الكتاب ، و المقصود بها الوحي الذي نزل على قلب النبيّ بواسطة جبرئيل ، و المتعلّق بقوانين الشريعة ؛ كما ان المراد بالحكمة العلم بالمعارف الكليّة و الأسرار الالهية ، و المراد من العلوم التي تعلّمها سائر العلوم من الإدراكات الجزئية و تشخيص المطالب الحقّة .

و لأنّ جملة (وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) اما ان تكون حاليّة ، و اما بمنزلة تعليل للجملة السابقة ؛ لذا نستفيد انّ العلة لعدم تأثير كلام المنافقين في الرسول يعود الى تلك الملكة القلبية التي يكون قادراً بها على تلقّي الوحي بواسطة الأمين جبرئيل بالنسبة الى أحكام الشريعة و قوانينها ، وبالنسبة الى المعارف الالهية ، و يكون قادراً أيضاً على تلقّي الإلهامات نسبةً الى الاطلاع على الأسرار و المغيّبات ، و تبيّن واقعيّة الأمور و التفريق بين الحقّ و الباطل .

و بناء على هذا فاننا نستفيد من الآية بأن العلة لعدم انحراف النبي أو ضلاله حتى في بعض الامور الجزئية تستند الى ذلك العلم الخاص الذي وهبه الله سبحانه له بعنايته ، فهو يتلقى الوحي بواسطته ، و هو ذلك العلم الخاص الذي يُعبّر عنه في الروايات ب (روح القدس) الذي يحفظ الأنبياء ويصونهم عن الإثم و الخطأ في كلّ مرحلة من مراحل التشخيص .

استدلال اخر من القران على عصمة الأنبياء :

و من الاستدلالات (2) الأخرى على عصمة الأنبياء ضمّ آيتين من آيات القران الكريم ، الاولى قوله تعالى :

وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشّٰهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسَنٌ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا (3) .

و الثانية قوله تعالى :

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ (4) .

و نستفيد من الآية الاولى ان الله قد أنعم على الأنبياء و الشّهداء و الصّديقين و الصّالحين ، و من الآية الثانية ان الذين أنعم الله عليهم لن يضلّوا و لن ينحرفوا . و بناءً على هذا فانّ الأنبياء و الشّهداء و الصّديقين و الصّالحين لن يضلّوا . و لأنّ كلّ معصية و ذنب ضلالة ، لذا فانّ المعصية و الذنب لا يصدران منهم ، أي انّ شأنهم و مقامهم في أنهم يمتلكون ملكةً حافظةً عن المعصية و الإثم ، و هذا هو معنى العصمة من الذنب .

و كذلك لأنّ الخطأ في تلقّي الأحكام و الوحي الالهي ، و في المعارف الالهية الكلية ، و في تشخيص الأمور الجزئية ، و الخطأ في التبليغ هو ضلالٌ أيضاً ، فانّهم لا يُخطئون و لا يزلّون في أيّ مرحلة من هذه المراحل ، و بهذا البيان فانّ عصمتهم ستكون أيضاً في مرحلتين : مرحلة تلقّي الوحي و المعارف الالهية ، و مرحلة التبليغ و الترويج .

حياة أميرالمؤمنين لمقام العصمة :

لقد حاز أميرالمؤمنين عليه السلام من الله سبحانه مقامَ العصمة وكونه وصيّ رسول الله و وارثه و خليفته ، و أوّل من ءامن برسول الله و صلّى معه .

يروى الطبري بسنده عن ابن عباس قال : أوّل من صلّى عليّ (5) .

و يحدث أيضاً عن زيد بن أرقم قال : أوّل من أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم

عليّ [عليه السلام] (6) .

و يروي عنه أيضاً قال : أَوَّلُ رَجُلٍ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ عَلَيَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ (7) .

و يروي أيضاً بسنده عن عباد بن عبدالله قال : سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو رَسُولِهِ وَ أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَاذِبٌ مُفْتَرٍ ، صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ (8) .
و يقول ابن الصبّاح المالكي و محمد بن طلحة الشافعي :

وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ قَبْلَ بَدْوِ أَمْرِهِ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ مُسْتَخْفِيًّا وَ أَخْرَجَ عَلِيًّا مَعَهُ ، فَيُصَلِّيَانِ مَا شَاءَ اللَّهُ فَإِذَا قَضَيَا رَجَعَا إِلَى مَكَانِهِمَا (9) .

و يروي الطبري بسنده عن يحيى بن عفيف الكندي (عفيف الكندي هو أخ الأشعث بن قيس ، و كان رفيقاً للعباس بن عبدالمطلب ، وكان يأتي الى مكة للتجارة فيسكن في بيت العباس) ؛ يقول : حدّثني أبي قال : كنتُ جالساً مع العباس بن عبدالمطلب بمكة بالمسجد قبل أن يظهر أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ ، فجاء شابّ فنظر الى السماء حين حطقت الشمس ثم استقبل الكعبة فقام يصلي ، فجاء غلامٌ فقام عن يمينه ، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام و المرأة ، ثم رفع فرغها ، ثم سجد فسجدا ؛ فقلتُ : يا عباس أمرٌ عظيم ! فقال العباس : أتعرف هذا الشابّ ؟

فقلتُ : لا . فقال : هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن أخي ؛ أتدري من هذا الغلام ؟ هو عليّ أبي طالب بن عبدالمطلب ابن أخي ؛ أتدري من هذه المرأة ؟ هذه خديجة بنت خويلد . انّ ابن أخي هذا حدّثه أنّ ربّه ربّ السموات و الأرض أمره بهذا الدين و هو عليه ، و لا والله [ما أعرف] على ظهر الأرض اليوم على هذا الدين غير هؤلاء (10) .

بلى ، لقد انشغل النبيّ و أميرالمؤمنين و خديجة بالصلاة و عبادة الله سنوات عديدة ، بينما لم يكن أحد من أهل مكة مؤمناً آنذاك أو عالماً برسالته صلى الله عليه و ءاله ، حتّى نزلت عليه آية الإنذار من قبل الله تعالى .

آية الإنذار و حديث العشيرة :

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (11) .

فدعى رسول الله أقرباءه و عشيرته و أعلن لهم نبوته كما هو معروف في حديث العشيرة الذي ورد عن طائفة كبيرة من أعلام المحدثين والمؤرخين المسلمين .

يقول العلامة الأميني : أخرجه (أي حديث العشيرة) غير واحد من الأئمة و حفاظ الحديث من الفريقين في الصحاح و المسانيد ، و مرّ عليه آخرون ممّن يُعتدّ بقوله و تفكيره محبتين به من دون أيّ غمز في الإسناد أو توقّف في متنته . و تلقّاه المؤرّخون من الأمة الإسلامية و غيرها بالقبول ، و

أُرسل في صحيفة التأريخ إرسال المسلم ، و جاء منظوماً في أسلاك الشعر و القريض ، و سيوافيك في شعر الناشيء الصغير المتوفى 365 هـ و غيره (12) .

و سننقل أولاً نصّ الحديث عن تاريخ الطبري ثم نناقش جوانبه المختلفة ؛ فقد أخرج الطبري عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن محمّد بن اسحق ، عن عبد الغفّار بن قاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، عن عبدالله بن العباس ، عن عليّ بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ؛ دعاني رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم فقال : يا عليّ ! إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقتُ بذلك ذرعاً و عرفتُ أنّي متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ عليه ، حتّى جاء جبريل فقال : يا محمّد ! إنّك إنّما تفعل ما تؤمر به يُعذبك ربّك . فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة و املاً لنا عسّاً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتّى أكلمهم و أبلغهم ما أمرتُ به . ففعلتُ ما أمرني به ، ثمّ دعوتهم له و هم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه : أبوطالب و حمزة و العباس و أبولهب ، فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعتُ لهم فجئتُ به ، فلما وضعته تناول رسولُ الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم حذية من اللحم فشقّها بأسنانه ثمّ ألقاها في نواحي الصحيفة ثمّ قال : خذوا بسم الله . فأكل القوم حتّى ما لهم بشيءٍ حاجة و ما أرى الآ موضع أيديهم ، و أيم الله الذي نفس عليّ بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم . ثمّ قال : إسقِ القوم . فجئتُهم بذلك العسّ فشربوا حتّى رروا منه جميعاً ، و أيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم أن يكلمهم بَدَره أبولهب الى الكلام فقال : لقدماً سحركم صاحبكم . فتفرّق القوم و لم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، فقال الغد : يا عليّ ! إنّ هذا الرجل سبقني الى ما قد سمعتُ من القول فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم ، فعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعتُ ثمّ اجمعهم اليّ . قال : ففعلتُ ثمّ جمعتهم ، ثمّ دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى ما لهم بشيءٍ حاجة ، ثمّ قال : إسقمهم ، فجئتُهم بذلك العسّ ، فشربوا حتّى رروا منه جميعاً ، ثمّ تكلم رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم فقال : يا بني عبدالمطلب ! إنّني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومَه بأفضل ممّا جئتكم به ، إنّني قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة ، و قد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه ، فأبيكم يوازنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصييّ وخليفتي فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً و قلتُ و إنّني لأحدثهم سنّاً ، و أرمصهم عيناً ، و أعظمهم بطناً ، و أحمشهم ساقاً ؛ أنا يا نبيّ الله ! أكون وزيرك عليه (13) .

فأخذ برقبتي ثمّ قال : إنّ هذا أخي و وصييّ وخليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع (14) .

صحّة اسناد حديث العشيّة :

يقول العلامة الأميني : و بهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الإسكافي المنكلم المعتزلي البغدادي المتوفى 240 هـ في كتابه (نقض العثمانية) (15) ، وقال : إنه روي في الخبر الصحيح . و رواه الفقيه برهان الدين في (أنباء نجباء الأبناء) ، ص 46 . 48 ؛ و ابن الأثير في (الكامل) ج 2 ، ص 24 ؛ وأبو الفداء عماد الدين الدمشقي في تاريخه ، ج 1 ، ص 116 ؛ وشهاب الدين الخفاجي في (شرح الشفا) للقاضي عياض ، ج 3 ، ص 37 (و بترء اخره) وقال : ذكر في دلائل البيهقي و غيره بسند صحيح ؛ والخازن علاء الدين البغدادي في تفسيره ، ص 390 ؛ والحافظ السيوطي في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه ، ج 6 ، ص 392 نقلاً عن الطبري ، و في ص 397 عن الحَفاظ السنَّة : ابن اسحق ، و ابن جرير ، و ابن أبي حاتم ، و ابن مردويه ، وأبي نعيم ، والبيهقي ؛ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج 3 ، ص 254 وذكره المؤرخ جرجي زيدان في (تاريخ التمدن الحديث) ج 1 ، ص 31 ؛ والاستاذ محمد حسين هيكل في (حياة محمد) ص 104 من الطبعة الاولى .

و رجال السند كلهم ثقاة الا أبو مريم عبدالغفار بن القاسم ، فقد ضعفه القوم و ليس ذلك الا لتشيعه ، فقد أثنى عليه ابن عقدة و أطراه و بالغ في مدحه كما في (لسان الميزان) ج 4 ، ص 43 ، و أسند اليه و روى عنه الحفاظ المذكورون و هم أساتذة الحديث ، و أئمة الأثر ، و المراجع في الجرح و التعديل ، و الرفض و الإحتجاج ، و لم يقذف أحد منهم الحديث بضعف أو غمز لمكان أبي مريم في إسناده ، و احتجوا به في دلائل النبوة والخصائص النبوية . و صححه أبو جعفر الإسكافي و شهاب الدين الخفاجي كما سمعت ، و حكى السيوطي في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه (ج 2 ، ص 396) تصحيح ابن جرير الطبري له . على ان الحديث ورد بسند اخر رجاله كلهم ثقاة كما يأتي ، أخرجه أحمد في مسنده (ج 1 ، ص 111) بسند ، رجاله كلهم من رجال الصحاح بلا كلام ، و هم : شريك ، الأعمش ، المنهال ، عبّاد (16) .

بلى ، نقل حديث العشيرة الكثير من الأعلام أمثال ابن مردويه والسيوطي و ابن أبي حاتم و البغوي و الحلبي في (السيرة النبوية) ، و نقله غيرهم بألفاظ أخرى ، مثل : أَيْكُمُ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي وَوَارِثِي ؟ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَ كُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ ... الى أن قال : فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِهِ عَلَى يَدِهِ . و مثل : مَنْ بَايَعَنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ صَاحِبِي وَ وَلِيِّكُمْ مِنْ بَعْدِي ؟ فَمَدَدْتُ يَدِي وَ قُلْتُ : أَنَا أَبَايَعُكَ ! و مثل : أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كَلِمَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي الْمِيزَانِ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَنْ يُجِيبُنِي إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَيُؤَاذِرُنِي يُكُنْ أَخِي وَ وَرِثِي وَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَامَ عَلَيَّ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : اجْلِس ! ثُمَّ أَعَادَ الْقَوْلَ عَلَى الْقَوْمِ ثَانِيًا فَصَمَتُوا ، فَقَامَ عَلَيَّ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : اجْلِس ! ثُمَّ أَعَادَ الْقَوْلَ عَلَى الْقَوْمِ ثَالِثًا ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَامَ عَلَيَّ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ : اجْلِسْ فَأَنْتَ أَخِي وَ وَرِثِي وَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي .

و مثل : أَيُّكُمْ يَنْتَدِبُ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيِّ وَ خَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي وَ وَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، حَتَّى أَعَادَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ !

فَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ وَ تَقَلَّ فِي فِيهِ ، وَ قَالَ : اللَّهُمَّ ائِمْلًا جَوْفَهُ عِلْمًا وَفَهْمًا وَ حُكْمًا ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ : يَا أَبَا طَالِبٍ اسْمِعِ الْأُنْ لَابْنِكَ وَ أَطْعِ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ بِمَنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَى .

و مثل : مَنْ يُؤَاخِنِي وَ يُوَارِئُنِي وَ يَكُونُ وَلِيًّا وَ وَصِيًّا بَعْدِي وَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي يَفْضِي دِينِي ؟ الَى أَنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِعَلِيِّ : أَنْتَ ، فَقَامَ الْقَوْمُ وَ هُمْ يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ : أَطْعِ ابْنَكَ فَقَدْ أَمَرَ عَلَيْكَ .

و مثل : فَأَيُّكُمْ يَفُومُ فَيُبَايِعُنِي عَلَى أَنَّهُ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيًّا وَيَكُونُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَرُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، إِلَى أَنْ قَالَ : فَقَامَ عَلِيٌّ فَبَايَعَهُ وَ أَجَابَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَدُنْ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ ، فَفَتَحَ فَاهُ وَ مَجَّ فِي فِيهِ مِنْ رِيْقِهِ وَ تَقَلَّ بَيْنَ كَتْفَيْهِ وَ نَدَّيْنِهِ ، فَقَالَ أَبُوهُبٍ : بئسَ مَا حَبَّوتَ بِهِ ابْنَ عَمِّكَ أَنْ أَجَابَكَ فَمَلَّتْ فَاهُ وَ وَجْهَهُ بُرَاقًا .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ : مَلَأْتُهُ حِكْمَةً وَ عِلْمًا .

و قد نقل مؤخرًا الاستاذ حسن أحمد لطفي في كتابه (الشهيد الخالد الحسين بن علي) ذيل الحديث وفق رواية الطبري ، كما أورده أيضاً توفيق الحكيم ذيل كتاب (محمد) وفقاً للطبري ، و أورده المحرر القدير [شاعر الغدير] عبدالمسيح الأنطاكي المصري و أنشد فيه قصيدة غراء (17) .

يقول أبو جعفر الإسكافي (بعد ذكر الحديث مفصلاً) : فهل يُكَلِّفُ عمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميز؟! و غرّ غير عاقل؟! و هل يؤتمن على سرّ النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟! و هل يُدعى في جملة الشيوخ و الكهول الآ عاقلٌ لبيبٌ؟! و هل يضع رسولُ الله صَلَّى عليه و ءاله يده في يده و يُعطيه صفقةً يمينه بالأخوة و الوصية والخلافة الآ و هو أهلٌ لذلك؟! بالغ حدّ التكليف ، محتملٌ لولاية الله و عداوة أعدائه ، و ما بالُ هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟! و لم يلصق بأشكاله؟! و لم يرَ مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟! و هو كأحدهم في طبقتة ، كبعضهم في معرفته ، و كيف لم ينزع إليهم في ساعةٍ من ساعاته؟! فيقال : وعاه بعضُ الصبا ، و خاطرٌ من خواطر الدنيا ، و عملته الغرة والحدثة على حضور لهوهم ، و الدخول في حالهم ، بل ما رأيناها إلا ماضياً على إسلامه ، مصمماً على أمره ، محققاً لقوله بفعله ، قد صدق إسلامه بعفاه وزهده ، ولصق برسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله من بين جميع مَنْ بحضرته ، فهو أمينه وأليفه في دنياه و ءآخرته ، و قد قهر شهوته ، و جاذب خواطره ، صابراً على ذلك نفسه ، لما يرجو من فوز العاقبة و ثواب الآخرة . (18)

بلى ، لقد كان حديث العشيرة و تنصيب أميرالمؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم في منصب الخلافة واضحاً و مسلماً بحيث نقله بعض المستشرقين ، و منهم : جورج سيل «~ JEORGE SALE ~» في كتابه (قرءان محمد) «~ ALCORAN OF MOHAMMAD ~» يقول فيه : لقد أظهر محمد ءانذاك محبةً و مودةً كبيرة لعلّي ، فقد ضمّه الى صدره و أمر الحاضرين في المجلس أن يسمعوا له و يعتبروه خليفته و أن يطيعوا أمره ، فتفرق اولئك القوم عن المجلس و هم يقولون لأبي طالب : صار عليك الآن أن تُطيع ابنك !

و يقول جوف دون بُرت «~ JOHN DAVEN PORT ~» في كتاب (محمد و القرآن)~
MOHAMMAD AND CORAN ~» ص 21 ضمن هذه القصة : فهض النبي و أظهر أخلاقه الحميدة و شمائله الكريمة ، ووهب لمن يتبعه كنزاً أبدياً (كناية عن السعادة الأبدية) ، و أورد في الختام خطبةً اشتهرت ببلاغتها و فصاحتها ضمّنها الأسئلة التالية : أيكم يوازرنني على هذا الأمر ؟ أيكم يكون وصيي و وزيرني كما كان هرون وصي موسى ووزيره ؟ فكان السكوت مخيماً على جماعة الحاضرين ، فلم يجرؤ أحد منهم على قبول تلك المهمة الخطرة التي عرضها عليهم ، الى أن قام ابن عم الرسول عليّ ، ذلك الشاب الشجاع فصاح : أنا أوأزرك يا أيها النبي ! . الى أن يقول . فطوّق محمّد بيديه ذلك الفتى الكريم و ضمّه اليه و صاح : هاكم فانظروا الى أخي و وزيرني !

و قد كتب و اشجنتن اروننيك الامريكي هذه القصة في («الكتاب المقدس» ترجمة الميرزا ابراهيم خان الشيرازي من الانجليزية الى الفارسية ، ص 60) ضمن شرحه أحوال النبي الى أن يقول :
قال النبي : من يتقدّم منكم فيؤاخيني ؟ من منكم يكون وزيرني و وصيي و خليفتي ؟ فصمت اهل المجلس مدّة و لم يجبه أحد ، و ظلّوا ينظرون الى بعضهم و يتبسّمون في وجوه بعضهم تعجباً او سخريّة ، الى أن قام عليّ أبي طالب بجرأة الشباب و قوّته غير مُبالٍ بأحد ، فتقدّم بقدم صادقة و قال : أنا غلامك و خادمك يا رسول الله ، و لو انني لا زلت طفلاً لا أصلح للخدمة .

فألقي النبي يده الى عنق ذلك الشاب الصادق و جذبّه اليه فاحتضنه وهو يقول بصوت عال : هاكم فانظروا الى أخي و وزيرني و وصيي وخليفتي !
و لقد أضحكت جرأة و جسارة و تفاخر طفل كمثل علي في محفل كهذا قريشاً و أثارت استهزاءهم ، فالتفتوا الى أبي طالب و هم يقولون في سخريّة : و أنت بالطبع تنتظرُ منا ان نركع في حضور ولدك و نقوم بتعظيمه (19) .

و اجمالاً فإنّ علينا ان نتحدّث عن هذا الحديث من جهتين : الاولى في السند ، و الثانية في الدلالة

فأمّا من جهة السند ، فانه . و كما ذكر . لا توجد أي شبهة أو شك تعتريه ، لأن سنده في نظر أهل السنة في غاية القوّة و الإتقان ، لم يضعّفه منهم أحد الا ابن تيمية حيث قال بأن هذه الحديث موضوع و مفتعل . وليس لكلام ابن تيمية اي اعتبار ، لأن الكلّ يعلم انه كان رجلاً متعصباً معانداً و معادياً لأهل البيت ، و كان يُنكر الأحاديث المسلّمة لمجرّد تضمّنها لفضيلة من فضائل أهل بيت رسول الله . بل أنّ من المسلّم عند أهل الفنّ ان ميزان ابن تيمية في ردّ و قبول الروايات هو تضمّنها لفضائل أهل البيت أم عدم ذلك .

يقول الياضي في (مرآة الجنان) : و لابن تيمية فتاوى عجيبة و غريبة عدّ بسببها مُبعداً عند أهل السنة ، حيث قاموا بسجنه لهذه العلة ، و من أقبح نظريّاته الحكم بحرمة زيارة قبر الرسول محمّد صلى الله عليه [و ءاله] وسلّم . و العجب من الحلبي الذي نقل رواية العشيرة عن ابن تيمية ، الى قوله : فقال

رسول الله : فَمَنْ يُجِيبُنِي إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَ يُؤَاوِرُنِي ، أَي يُعَاوِنُنِي عَلَى الْقِيَامِ بِهِ .
قَالَ عَلِيٌّ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَنَا أَحَدُهُمْ سِنًا ، وَ سَكَتَ الْقَوْمُ .

ثم يختم الحديث الى هذا الحدّ و لا يتطرق الى شيء من مقامات أميرالمؤمنين في سؤال النبي و جوابه عليه السلام ، فيسقط كلمة (عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي) و جواب النبي : (فَأَنْتَ أَخِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي) . و الأعجب من ذلك قوله : و أضاف البعض كلمة (أَخِي وَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي وَ وَزِيرِي وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي) (20) .

جنايات الطبري في حديث العشيرة :

يقول العلامة الأميني تحت عنوان (جنايات على الحديث) : منها ما ارتكبه الطبري في تفسيره (ج 19 ، ص 74) ، فإنه بعد روايته له في تاريخه كما سمعت ، قلب عليه ظهر المجنّ في تفسيره فأثبتته برمته حرفياً متناً وسنداً ، غير أنّه أجمل القول فيما لهج به رسول الله صلّى الله عليه و ءاله في فضل من يُبادر الى تلقّي الدعوة بالقبول ، قال : فَقَالَ : فَأَيُّكُمْ يُؤَاوِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ كَذَا وَ كَذَا ؟

و قال في كلمته صلّى الله عليه و ءاله الأخيرة : ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا أَخِي وَ كَذَا وَ كَذَا . (و يلاحظ مدى الجناية الفاضحة التي ارتكبتها حين عمد ، من أجل اخفاء الحق و طمسه و من أجل اخفاء مقامات و فضائل أميرالمؤمنين ، الى إجمال لفظ (وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ) و إيرادها على نحو الإبهام!) جناية ابن كثير في نقل حديث العشيرة : و تبعه على هذا التقلّب ابن كثير الشامي في البداية و النهاية (ج 3 ، ص 40) و في تفسيره (ج 3 ، ص 351) . فعل ابن كثير هذا و ثقل عليه ذكر الكلمتين (وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ) و بين يديه تاريخ الطبري و هو مصدره الوحيد في تأريخه و قد فصل فيه الحديث تفصيلاً ، لأنّه لا يروق اثبات النصّ لأمرالمؤمنين بالوصيّة و الخلافة الدينية ، والدلالة عليه و الإشارة اليه . و هل هذه الغاية مقصد الطبري حينما حرّف الكلم عن مواضعه في التفسير بعد ما جاء به صحيحاً في التأريخ على حين غفلة عنها؟! أنا لا ادري ، لكنّ الطبري يدري ، و أحسبك أيّها القارئ جدّ عليم بذلك .

جناية هيكل في نقل حديث العشيرة :

و منها خزاية فاضحة تحمّلها محمد حسنين هيكل (21) ، حيث أثبت الحديث كما أوعزنا اليه في الطبعة الاولى من كتاب (حياة محمد) ص 104 بهذا اللفظ (يذكر الحديث كما ورد ثم يختمه بهذه الكيفيّة) :

فَأَيُّكُمْ يُؤَارِزُنِي هَذَا الْأَمْرَ وَ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ ؟ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَ هَمَّوْا بِتَرْكِهِ ، لَكِنَّ عَلِيًّا نَهَضَ وَ مَا يَزَالُ صَيِّبًا دُونَ الْحُلْمِ وَ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْنُكَ ، أَنَا حَرْبٌ عَلَى مَنْ حَارَبْتَ . فَأَبْتَسَمَ بَنُو هَاشِمٍ وَ قَهَقَهُ بَعْضُهُمْ وَ جَعَلَ نَظَرُهُمْ يَنْتَقِلُ مِنْ أَبِي طَالِبٍ إِلَى ابْنِهِ ثُمَّ انْصَرَفُوا مُسْتَهْزِئِينَ . (22)

فإنه أسقط من الحديث أولاً ما فرغ به رسول الله صلى الله عليه و ءاله كلامه من قوله لعلي : فَأَنْتَ أَخِي وَ وَصِيِّي وَ وَارِثِي .

ثم نسب الى أميرالمؤمنين ثانياً انه قال : (أنا يا رسول الله عَوْنُكَ ، أَنَا حَرْبٌ عَلَى مَنْ حَارَبْتَ) لئنه دلنا على مصدر هذه النسبة في لفظ أي محدث أو مؤرخ من السلف ؟ وراقه أن يحكم في الحضور في تلك الحفلة بتبسم بني هاشم و قهقهة بعضهم ، و لم نجد لهذا التفصيل مصدراً يُعَوَّلُ عليه . ومهما لم يجد (هيكل) وراءه ممن يأخذه بمقاله ، و لم يرَ هناك من يُناقشه الحساب في تقولاته و تصرفاته ، أسقط منه ما يرجع الى أميرالمؤمنين عليه السلام في الطبعة الثانية (23) سنة 1354 ، ص . 139 و لعلَّ السرَّ فيه لفتة منه الى غاية ابن كثير و أمثاله بعد النشر ، أو أنّ اللغظ و الصخب حول القول قد كثرا عليه هناك من مناوئي العترة الطاهرة ، فأخذته أمواج اللوم و العتب حتى اضطرتته الى الحذف و التحريف ، أو أنّ العادة المطردة في جملة من المطابع عاثت في الكتاب فغضَّ عنها الطرف صاحبه لاشتراكه معها في المبدء أو عجزه عن دفعها . و على أيّ فحى الله الشعور الحى ، و الأمانة الموصوفة ، و الحق المضاع المأسوف عليه (24) .

و أمّا الجهة الثانية من البحث التي تتناول مفهوم و دلالة الحديث ، فقد جاء في هذا الحديث باختلاف المضامين التي نُقل بها جملة (أَنْتَ أَخِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ ، وَ اسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا) وهو نصّ من رسول الله ، بل هو نصّ جليّ و مُبين على خلافته بلا فصل و على وصايته عليه السلام ، مثل حديث غدیر خم ، غاية الأمر أنّ هذا التصييص كان في بدء النبوة والدعوة ، و حديث الغدير في نهايتها ، حيث وقع عند نزول جبرئيل و أخبره النبيّ بقرب حلول أجله ، هذا اذا ما أعرضنا عن بعض الروايات المذكورة ءانفاً ، و التي ورد فيها أيضاً عنوان : وَارِثِي وَ وَزِيرِي ، وَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ، وَ هُوَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وَ يَقْضِي دِينِي ، و لفظ (اسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا) ، التي يدلّ كلّ منها على ولايته و خلافته صراحةً .

و لو فرضنا انه لا يوجد في مجموع هذه الأحاديث غير جملة (أَخِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ) ، فإنّ هذه الجملة . مع ذلك . ستدلّ بوضوح وصرحة على تنصيبه عليه السلام في مقام الخلافة و الوصاية . ولاية أميرالمؤمنين كانت توأماً مع توحيد الله و نبوة رسول الله منذ اليوم الأوّل .

يمكن القول يقيناً بأنّ ولاية أميرالمؤمنين قد بدأت منذ اليوم الأوّل مع شهادة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) ، و بأنّ جملة (عَلِيٌّ وَ لِيَّ اللَّهُ) هي جملة متّصلة و غير قابلة للإنفكاك عن الشهادتين ؛ لأنه و منذ اليوم الأوّل الذي دعا فيه رسول الله قومه الى الاسلام و أمرهم بإقرار الشهادتين ، فإنّه أمرهم في نفس اليوم و في نفس المجلس بإطاعة مولى الموالى أميرالمؤمنين و اتّباعه (25) ، و أعلن

ولايته و خلافته .

و بناءً على ذلك فإنّ الاسلام قد طلع منذ اليوم الأوّل بهذه الجمل الثلاث :
الشهادةُ بالله ، و الشهادةُ بنبوّة رسول الله ، و الشهادةُ بولاية عليّ وليّ الله ، و ما تقوله الشيعة من
وجوب اتباع أميرالمؤمنين هو واحد من المسائل القطعية في الإسلام ، فحقيقة التشيع هي حقيقة الاسلام
. و اولئك الذين اكتفوا بالشهادتين و رفضوا ولاية و خلافة أميرالمؤمنين قد رفضوا بذلك جزءاً من
الاسلام ، و في الحقيقة فإنّهم قد رفضوا الاسلام .

كما أنّ الذين يشهدون بالتوحيد و لا يشهدون بالنبوّة قد أقروا بجزءٍ من الحقيقة و أنكروا الجزء الآخر
، بل قد أنكروا الحقيقة بأجمعها .

لقد أسّس التشيع و التبعية لأهل البيت و أوصياء رسول الله منذ اليوم الأوّل للإسلام ، و على هذا
الأساس فقد أضيفت للولاية تدريجاً النصوص الصريحة للآيات القرآنية و لكلام رسول الله صلى الله
عليه و ءاله ، كما أضيف للتوحيد و النبوّة تدريجاً نصوص صريحة من الآيات القرآنية وكلام حضرة
الرسول .

و إضافة الى ذلك فإنّه يُستفاد من هذا الحديث أنّ أميرالمؤمنين كان شريكاً و مساهماً في تحمّل
أعباء النبوّة و القيام بوظيفة التبليغ الخطيرة وإبلاغ الأحكام و الجهاد ، و إيصال أهل العالم الى
المقصود الذي هو واجب الرسالة ، لأنّ مضمون الرواية ليس (كلّ من ءامن بي هو وصيّ و خليفتي)
بل مضمونها (كلّ من يعاونني و يعاضدني يكون خليفتي) ، لأنّ جملات الرسول التي رُويت عنه كانت
: أَيُّكُمْ يُؤازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ؟ وَ أَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ صَاحِبِي وَ وَاثِرِي ؟

من منكم يُبايعني ، اي من منكم يوطن نفسه على الموت ، و من يشري نفسه فيضع اختياره جانباً
فيؤاخيني و يلازمي و يصاحبي و يكون واثري في كلّ مراحل النبوّة و في مواجهة ءالاف المشاكل و
تحمّل مشاق رسالتي الخطيرة ، بحيث يتحمّل بعدي لوحده هذه المسؤولية ، و يقف وحيداً في مواجهة
دنيا الكفر ليلبّغ رسالتي ، فيقوم بذلك على خير وجه .

وَ أَيُّكُمْ يُؤَاخِنُنِي وَ يُؤَاوِرُنِي وَ يَكُونُ وَلِيّاً وَ وَصِيّاً بَعْدِي وَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي يَفْضِلُنِي دِينِي ؟
وَ أَيُّكُمْ يَنْدَبُ أَنْ يَكُونَ أَخِي وَ وَزِيرِي وَ وَصِيّاً وَ خَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي وَ وَلِيّاً كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ؟
و يُستفاد من كلّ هذه الأحاديث أنّ الرسول صلّى الله عليه و ءاله كان يبحث عن صاحب و
المعين و الناصر الذي يُعاضده . و هذه الجملات صريحة في التساؤل : مَنْ مِنْكُمْ يَأْتِي فِي وَضْعِي
هَذَا وَ حَالَتِي هَذِهِ ، فَلَا يَدْعُنِي وَحْدِي ، وَ يَقُومُ بِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ ، وَ يُعِينُنِي فِي حَيَاتِي وَ بَعْدَ مَمَاتِي فِي
تَحْمَلِ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ ، وَ يَصَاحِبُنِي فِي حَيَاتِي ، وَ يَقُومُ بِوُضَائِفِ الرَّسَالَةِ خَيْرَ قِيَامٍ بَعْدَ مَمَاتِي ، وَ
يُؤَدِّي عَنِّي دِينِي وَ عَهْدِي تَجَاهَ رَبِّي ؟

و بناءً على هذا فإنّ أميرالمؤمنين بقبوله لمثل هذا الأمر كان سهيماً مع الوجود المقدّس لرسول الله
في جميع مراحل أداء الرسالة و إيصال الناس الى منزل السعادة ، و في الالتزام بالقيام بأعباء الخلافة
و مشكلاتها .

صَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الحَسَنِ ، و يجب ان لا يُتصَوَّر انّ المقام الذي منحه رسول الله لذلك الوجود العزيز بعنوان الأخ و الوزير و الخليفة والوارث كان أمراً تشریفياً ، او نتيجةً و استفادةً حصل عليها مقابل موافقته ، و كأنه كان يريد أن يجزيه بإعطائه مثل هذه المناصب ، بل انه قد طلبه بهذه الجملات و ندبه لتحمل المشاق في جميع الأمور .

مَنْ يتحمّل هذا الجبل العظيم الذي ينوء به الظهر ؟ من يقف معي كتفاً الى كتف في مواجهة المشركين و دنيا الكفر و الشرك ، فلا يدعني أتحمّل لوحدي كلّ تلك الضغوط ؟ مَنْ ينهض معي و يقف الى جانبي بروحه و قلبه بكلّ معنى الكلمة في جميع الحروب و الغزوات لإعلاء كلمة الحقّ ؟

من يهيّء نفسه للوقوف بشجاعة امام المخالفات الشديدة لقريش ولكلّ طوائف الكفر ؟ من يستعدّ للهجرة و التشرّد في الجبال و القفار ؟

من يرضى بالنوم في فراشي ليلة المبيت ، فيرى جسده تحت سيوف شجعان العرب مقطّعاً إرباً إرباً ؟

مَنْ و من لا يهاب مواجهة منافقي أمّتي حتّى بعد موتي ، و لا يسمح لذرةٍ من الهوى بالدخول الى قلبه ، و يتحمّل آلاف المشاكل و جبال الحزن و الغمّ ، و لا يتخطّى الرسول قيد أنملة ، لا تحركه صرخات ابنتي الزهراء ولا أنينها ، و لا تثير فيه الإحساسات القبليّة أو القوميّة ، فيبقى عاملاً بوظيفته في وقار و مهابة أشبه بالبحر الخضمّ العظيم ، فيعلم و يُريّ ، ليس فقط ذلك العصر بمفرده ، بل جميع عالم البشريّة و الإنسانيّة الى يوم القيامة ، بالعلم و الحلم و العظمة و الوفاء و الصفاء و الصدق و الزهد و عدم الاعتناء بغيرالله سبحانه .

فاعلموا يا أهل الدنيا انّ أميرالمؤمنين ، ذلك الطفل الصغير في ذلك اليوم ، قد ردّ بالإيجاب على الرسول الأكرم مقابل تلك المشكلات ، و أبعد بجوابه هذه الأمواج العاصفة للخطرات بصدرٍ منشرح و قلب قويّ ، و أعدّ نفسه للقاء في أرحج اللحظات و أصعبها ، و كان يرى متجليّاً أمامه كالمرأة المصاعب و المصائب خلال ثلاث و عشرين سنة تمثّل فترة رسالة النبيّ ، و المصائب والمحن على مدى ثلاثين سنة بعد رحلة الرسول . لكنّه نهض وصاح : أنا يا رسولَ الله ! أنا يا رسول الله الذي يُعينك ويصاحبك و يلازمك و ينصرك ؛ لا أغفل عنك لحظة واحدة ، أنثر تحت قدمك المباركة روعي و مالي و شخصيّتي و حيثيّتي و عزّي و دنياي . مستعدّ أنا لأراهم يُلقون الحبل في عنقي فيقودونني الى المسجد للبيعة (26) ، فلا أدعُ لساني يتخطّى جادّة العفة و الصواب ، و لا الإحساسات أن تحركني وتثيرني .

مستعدّ أنا لرؤية المشركين و هم يجمعون الحطب جوار بيت ابنتك فيحرقونه (27) ، و لسماع صوت (ويلاه و محمّده !) من قرّة عينك ؛ لكنني لن أفدي لأهمّ للمهمّ و لن اتخطّى واجبي و وظيفتي حفظاً على الشريعة و بقاء القرآن و إعلاء الإسلام .

أنا الذي اختار السكوت و لم يُجب في أدقّ أوقات الامتحان ، و في اللحظات التي جاء فيها كبيراً قريش أبوسفيان و العباس يقولون : ابسط يدك يا عليّ لنبايعك فلا يستطيع أحد مخالفتك (28) فوالله إن

شئت لأملاتها على أبي فضيل . يعني أبابكر . خيلاً و رجلاً (29) .

أنا الذي لجأت الى قبرك منتحياً محزوناً من الظلم الذي لحق بابنتك ، فقلت : يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضَعُّونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي (30) .

لذا فإنّ عدم قيام أحد من المدعويين في مجلس العشيرة لقبول هذا المعنى ، مع علمهم بصدق
الرسول الأكرم ، لم يكن بغير سبب ، فقد ترعرع رسول الله بينهم منذ طفولته ، و لم يكن غريباً أو
مجهولاً في قومه ، لكنهم كانوا يشعرون أنّ القبول بهذا المعنى يعني تحمّل آلاف المشاكل والغصص
و المصاعب ، لذا قاموا و تركوا مجلس رسول الله ساخرين مقهقهين . و قد اشار المرحوم السيّد
الحميري في بعض قصائده الى حديث العشيرة ، كهذه القصيدة :

بأبي أنتَ و أمي

يا أمير المؤمنيننا

بأبي أنتَ و أمي

و برهطي أجمعينا

الى أن يقول :

كُنْتَ فِي الدُّنْيَا أَخَاهُ

يَوْمَ يَدْعُو الْأَقْرَبِينَ (31)

و يقول أيضاً :

مِنْ فَضْلِهِ أَنَّهُ كَانَ أَوْلَ مَنْ

صَلَّى وَ ءَامَنَ بِالرَّحْمَنِ إِذْ كَفَرُوا

سِنِينَ سَبْعًا وَ أَيَّامًا مُحَرَّمَةً

مَعَ النَّبِيِّ عَلَى خَوْفٍ وَ مَا شَعَرُوا

وَ يَوْمَ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ قَدْ عَلِمُوا

أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَى إِنْ بَصُرُوا

الى أن يقول :

مَنْ الَّذِي قَالَ مِنْهُمْ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ

سِنًا وَ خَيْرُهُمْ فِي الذِّكْرِ إِذْ سَطُرُوا

ءَامَنْتُ بِاللَّهِ قَدْ أُعْطِيتْ نَافِلَةً

لَمْ يُعْطِهَا أَحَدٌ جِنَّ وَ لَا بَشَرٌ

وَ إِنْ مَا قُلْتَهُ حَقٌّ وَ إِنَّهُمْ

إِنْ لَمْ يُجِيبُوا فَقَدْ خَانُوا وَ قَدْ خَسِرُوا

فَقَارَ قَدَمًا بِهَا وَ اللَّهُ أَكْرَمُهُ

وَ كَانَ سَبَّاقَ غَايَاتٍ إِذَا ابْتَدَرُوا (32) .

و يقول أيضاً في قصيدة أخرى :

عَلَيَّ عَلَيْهِ رُدَّتِ الشَّمْسُ مَرَّةً

بِطَبِيبَةِ يَوْمِ الْوَحْيِ بَعْدَ مَغِيبِ

الى أن يقول :

و قِيلَ لَهُ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأُولَى

وَ هُمْ مِنْ شَبَابٍ أَرْبَعِينَ وَ شَيْبٍ

الى أن يقول :

فَفَارَ بِهَا مِنْهُمْ عَلِيٌّ وَ سَادَهُمْ

وَ مَا ذَاكَ مِنْ عَادَاتِهِ بِعَجِيبِ (33)

تعليقات:

(1) الآية 113 ، من السورة 4 : النساء .

(2) تفسير الميزان) ، ج 2 ، ص 140

(3) الآية 69 ، من السورة 4 : النساء .

(4) الآية 6 و 7 ، من السورة 1 : الفاتحة .

(5) تاريخ الطبري) ، ج 2 ، ص . 55

(7.6) الطبري ، ج 2 ، ص 56 ؛ و يروي الحديث الرابع كذلك في (بنابيع المودّة) ص 60 عن ابن

ماجة القرويني و أحمد في المسند و أبي نعيم الحافظ و الثعلبي و الحمويني بأدنى اختلاف في اللفظ .

(8) المصدر السابق .

(9) الفصول المهمّة) ص 14 ، و (مطالب السؤل) ص 11 ، و (تاريخ الطبري) ج 2 ، ص . 58

(10) تاريخ الطبري) ج 2 ، ص 56 ؛ و (الفصول المهمّة) ، ص 16 ؛ و (مطالب السؤل) ، ص 11

الطبعة الحجرية .

(11) الآيات 214 الى 220 ، من السورة 26 : الشعراء .

(12) الغدير) ، ج 2 ، . 278

(13) يقول السيّد اسماعيل الحميري في ديوانه ص 73 :

أبو حسن غلام من قریش

أبرّهم و أكرمهم نصابا

دعاهم أحمد لما أتته

من الله النبوة فاستجابا

فأدّبه و علّمه و أملى

عليه الوحي يكتبه كتابا

فأحصى كلّما أملى عليه

و بيّنه له باباً فباباً

و تخريج هذه الأشعار عن (أعيان الشيعة) ج 12 ، ص 216 ؛ كما أورد الحميري في ص 213
فما فوق ثلاثة عشر بيتاً مفصلاً عن حديث العشيّة .

(14) تاريخ الطبري) ، ج 2 ، ص 62 و . 63

(15) شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد ، ج 3 ، ص 263 ،

و يقول العلامة ءاية الله السيّد شرف الدين العاملي في كتاب (المراجعات) الطبعة الاولى ، هامش
ص 111 بعد نقله هذا المطلب عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : و كتاب (نقض العثمانية) من
الكتب التي لا نظير لها ، و يجب على كلّ شخص باحث ان يرجع اليه ، و هو موجود في ص 257
الى ص 281 من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في نهاية الخطبة القاصعة .

(16) الغدير) ، ج 2 ، ص 279 . . 280

(17) ملخص لمطالب (الغدير) ، ج 2 ، ص 280 . . 284

(18) الغدير) ، ج 2 ، ص 287 .

(19) نقلاً عن كتاب (شيعه در اسلام) سبط ، الجزء الاول ، ص 5 . . 7

(20) السيرة الحلبية) ، المجلد الاول ، ص 322 .

(21) وزير الثقافة الأسبق في مصر ، و رئيس تحرير مجلة الأهرام .

(22) يذكر في كتاب (عليّ و الوصيّة) ، من ص 4 الى ص 19 روايات كثيرة بطرق مختلفة مع
ذكر اسنادها و العلماء الذين نقلوها في كتبهم ، ثم يقوم في ص 337 ببيان اسناد هذا الحديث
بالنقل . ثم انه يذكر في ص 374 (و هي مستدركات الكتاب) تحت عنوان : الحديث الرابع ، رواية
عجيبه في هذا الشأن عن أبيبكر يخاطب بها العباس بن عبدالمطلب ، ورد فيها انّ أبا بكر قال : فجمع
رسول الله عشيرته و قال : فمن يقوم منكم يُبايعني على أن يكون أخي و وزيري و وصيي و خليفتي في
أهلي ؟ فلم يقم ... الخ ؛ و ينقل في ص 375 نظير هذا الحديث ؛ ينقل هذين الحديثين عن التاريخ
المخطوط لابن عساكر الذي توجد له صورة فوتوغرافية في مكتبة الامام اميرالمؤمنين العامّة في النجف
الأشرف . كما ينقل هذا الحديث عن أبي بكر في (المناقب) لابن شهرءاشوب ، ج 1 ، ص 544

(23) يقول الشيخ محمد جواد مغنّية في كتاب (الشيعة و التشيع) ص 14 :

و نقل الشيخ محمد حسن المظفر في كتاب (دلائل الصدق) ، ج 2 ، ص 233 عن كتاب (كنز
العمال) ج 6 ، ص 397 انّ النبيّ قالَ لِعَشِيرَتِهِ : قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَ الْأُخْرَةِ ، وَ قَدْ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ
أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ ؛ فَأَيْكُمْ يُؤَارِزُنِي عَلَى أَمْرِي هَذَا ؟ قَالَ عَلِيٌّ : أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكُونُ وَرِثَتَكَ عَلَيْهِ . فَأَخَذَ النَّبِيُّ
بِرَقَبَتِهِ وَ قَالَ : إِنَّ هَذَا أَخِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي فِيكُمْ ؛ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا ! فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَ
يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ : قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ وَ تُطِيعَ لَوْلَاكَ عَلِيٌّ .

ثمّ يقول في التعليقة : ذكر هذه الحديث محمد حسين هيكل في كتاب (حياة محمد) الطبعة الاولى ،
ثمّ حذفه في الثانية لقاء 500 جنيهه (الجنيه هو العملة المتداولة في مصر) ودليلنا المقابلة بين الطبعتين
. انظر التعليق ص 114 من (أعيان الشيعة) ج 1 ، القسم الأول ، طبعة 1960 انتهى .

24) خلاصة ما جاء في (الغدِير) ، ج 2 ، ص 287 الى 289 .

25) من الجدِير بالذكر في هذه الرواية ، أنّه لم يعيّن أميرالمؤمنين عليه السلام وليّاً وإماماً واجب الطاعة بعد رحلته فقط ، بل أنّه عيّنهُ كذلك في حياته أيضاً . ذلك لأنّه يقول فأسمعوا له و أطيعوا . و هذه العبارة تثبت وجوب السمع و الطاعة له عليه السلام في زمان رسول الله و تدل على عصمته عليه السلام منذ ذلك اليوم ، لأن هناك ملازمة بين العصمة وبين وجوب الاتّباع ، كما أنّه كان من رسول الله منذ ذلك اليوم بمنزلة هرون من موسى الآ أنّه ليس بنبيّ . و يدلّ على هذه المقولة ، كلام العلامة آية اللهالسيد شرف الدين العاملي في كتاب (النص و الاجتهاد) ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار النهج . بيروت ، ص 376 في التعليقة الاولى .

26) شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد) ، ج 2 ، ص 19 ؛ و ج 1 ، ص 134 ؛ و (الإمامة و السياسة) ، ج 1 ، ص 12 .

27) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد) ، ج 2 ، ص 19 ؛ المختصر في أخبار البشر و(تاريخ أوالفداء) ، ج 1 ، ص 156 ؛ و (العقد الفريد) ابن عبد ربّه ، ج 3 ، ص 63 .

28) شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص 131 ، نقلاً عن كتاب (السقيفة) .

29) و هذا هو كلام أبي سفيان . (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد) ، ج 1 ، ص 130 .

30) الإمامة و السياسة) ، ج 1 ، ص 13 .

31) هذه القصيدة مذكورة في (ديوان الحميري) ، ص 436 ؛ و قد نقل أصلها من (الغدِير) ، ج 2 ، ص 250 و (أعيان الشيعة) ، ج 12 ، ص 268 ؛ و (المناقب) ، ج 2 ، ص 26 و 176 ، و ج 3 ، ص 55 .

32) ديوان الحميري) ، ص 203 ؛ و قد ذكر أصل القصيدة من (اعيان الشيعة) ج 12 ، ص

248 ؛ و (الغدِير) ، ج 2 ، ص 250 ، و (المناقب) ، ج 2 ، ص 26 .

33) ديوان الحميري) ، ص 117 ، و قد ذكر أصل القصيدة من (الغدِير) ج 2 ، ص 251 ، و

(المناقب) ص 26 ، و ص 318 .

ص 26 ، و ص 318 .

الدرس السادس : عصمة الأنبياء لا تتنافى مع اختيارهم في فعل أفعالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم
قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (1) .

عصمة الأنبياء عن طريق إتمام الحجّة من قبل الله :

تبين هذه الآية المباركة السبب من إرسال الأنبياء الى الناس و الغاية من التبشير و الإنذار ، و هي إتمام الحجّة على الناس لئلا يكون لديهم عذر في ارتكاب الأخطاء و الذنوب ، و لئلا يُقيموا الحجّة على الله يوم القيامة بأنهم لم يكونوا يدركون شيئاً و أن أحداً لم يوجد ليقوم بهدايتهم .
و من الجلي أنّ قاطعية العذر و كون أفعال الأنبياء و أقوالهم حجّة سيكون حين لا يعصون و لا يرتكبون أي زلل في أقوالهم و أفعالهم ، و لا يُبتلون بالخطأ عند تلقّي الأحكام من قبل الله أو عند تبليغها ، و إلاّ فإنّ حجّة الناس و عذرهم سيكونان باقيين .

و سيقولون أنّنا قد عملنا بالمعاصي لأننا شاهدنا الأنبياء يرتكبونها ، ولقد بدرت منّا الأخطاء و المعاصي بسبب أخطاء النبيّ في قوله و فعله ، فقد أخطأ النبيّ و لم يتلقّ الوحي بصورة صحيحة ، او أنّه تلقّاه بصورة صحيحة لكنّه أخطأ واضطرب في تبليغه ، لذا فقد قمنا بأفعالنا نتيجة لذلك خلافاً للحقّ .

و لذا فإنّ الأنبياء الذين بُعثوا لهذا الهدف ينبغي أن لا يقعوا في الزلل و الخطأ ، و إلاّ لما تحقّق الهدف من بعثتهم ، و هذا هو معنى العصمة .

إثبات العصمة من آية أخرى :

كما يمكن استفادة العصمة من آية أخرى :

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ . (2)

فكما أنّ الأنبياء يصبحون مطاعين بإذن الله ، فإنّ من يتبعونهم سيكونون بالملزمة مطيعين بإذن الله ، و ستتعلق إرادة الله و إذنه بأفعالهم ، و من المعلوم أنّ النبيّ لو أخطأ في تبليغه او ارتكب ذنباً فتجاوز الحقّ في النتيجة في قوله و فعله الذين هما وسيلتان لإبلاغ الأحكام ، فإنّ الناس الذين يتبعونه سيكونون بالتأكيد قد تجاوزوا الحقّ و عملوا خلافه .

و وفقاً للأية المباركة السابقة في تعلق إذن الله بأفعالهم ، فإنَّ إرادة الله و إذنه ستتعلق أيضاً بالأفعال الباطلة . و باعتبار انَّ إرادة الله هي حقّ على الدوام و متعلّقة بالحقّ ، فإنّه ينبغي الآ يرتكب نبيّ من الأنبياء أيّ خطأ أو معصية ، ليكون إذن الله الذي يتعلّق بفعل من يُتابعهم في العمل متعلّقاً بفعل الحق .

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (3) .

و إضافة الى ذلك فإنَّ النبيّ اذا ارتكب معصية إمّا في القول أو الفعل ، في حين ان المعصية مبغوضة من قبل الله و مورد نهيه سبحانه ، فإنَّ تلك المعصية ستكون مبغوضة و منهياً عنها من قبل الله كما ستكون محبوباً مأموراً بها من قبله تعالى . فمورد البُغض و النهي من جهة انَّ عمله كان . حسب الفرض . معصيةً ، و كلّ معصية مبغوضة منهياً عنها ؛ و امّا مورد حبّ الله و أمره ، فمن جهة انَّ فعله و قوله كان . حسب الفرض . بإذن الله . و ان الهدف من الرسالة هو اطاعة الله ، و بناءً على ذلك فإنَّ قوله و فعله هذا قد نشأ بإذن الله و رخصته و إرادته . و لأنَّ اجتماع البُغض و الحبّ في شيء واحد من جهة واحدة ، و كذلك اجتماع الأمر و النهي في فعل واحد من جهة واحدة أمر مستحيل ، لذا فإنَّ المعصية و الإثم من قبل الأنبياء أمر مستحيل ، و هذا هو معنى العصمة .

ملكة العصمة ليست سبباً في جعل الأفعال اضطرارية اجبارية :

يظنّ كثير من الناس انَّ الأفعال التي تصدر من الأنبياء و الأئمّة الذين يمتلكون ملكة العصمة تصدر بدون قوّة علمية و لا إرادة اختيارية ، و انّ ملائكة السماء التي جعلها الله لحفظ و حراسة قلوبهم عن الخطأ و المعصية هي كالرصد الدائم في مقام المصونية و المحافظة الدائمة تحذّره من أي اختيار أو تصرّف .

و بناءً على هذا فإنّه لا يجب قياس عبادتهم و مجاهدتهم مع سائر أفراد البشر ، لأنّ أفراد البشر يسلكون طريق الله اثر مجاهدتهم النفسية و يواجهون المشاكل و المشاقّ ؛ في حين أن الأنبياء يُهدّون باطمئنان بواسطة جبرئيل و سائر الملائكة ، فهم لهذه الجهة طاهرون و طيبون ذاتاً ، ولا يرد في سيرتهم شيء غير الطهارة و الطيب . و بناءً على ذلك فإنّ كلّ ما فعلوه من التبليغ و الترويج و الإستقامة و العبودية و المجاهدة و الصدق لا ينبغي توقّعه و انتظاره من سائر الناس ، لأنّ سنخ وجودهم يغيّر سائر أفراد البشر . و بالنتيجة فإنّ أفعالهم و أقوالهم تغيّر أفعال أفراد البشر ، و نتيجة لذلك فإنّ عصمتهم ليست منهم ، بل من الله الذي يُسيرهم بين يديه فيتحركون بتحريكه دون أي يكون لهم أيّ اختيار أو أيّ قوّة علمية قلبية .

و هذا الظنّ خاطيء جداً و لا محلّ له ، علاوةً على أنّه سيفتح لأفراد الأمة طريق التثاقل و التهاون ، لأنّه من الواضح ان الأنبياء مع وجود مقام العصمة و الطهارة لديهم ، و مع وجود مصونيتهم و حفظهم بإرادته و اختياره و ملائكته ، ولكن في نفس الوقت فإنَّ الله و إرادته تلك ليست خارجة عن وجودهم ، و أن أعمالهم لا تصدر بدون قوّة علمية و إدراكية ، وبدون إرادة قلبية و اختيار .

و لإيضاح هذا المطلب نقول انّ جميع الحوادث التي تحدث والموجودات التي توجد في العالم ، مرتبطة كلّها و منوطة بالسبب و العلة التي نشأت عنها ، و أنّها تتحقّق في الخارج بعلة الصدور عن تلك العلة .

و بناءً على هذا فإنّ جميع الأفعال و الأقوال التي يفعلها النبيّ على ميزان واحد ، و هي كلّها على صواب و حقّ و طاعة ، و معلولة لسبب موجود في نفس النبي ، و هو نفس الملكة و القوّة الرادعة التي توجد في النبيّ .

تماماً مثل حالنا حين نعمل عملاً ، فاننا لانفعله دون ان نتصوّر صورته أولاً ، و نميل اليه ثانياً ، ثم نصدر إرادة تحقّقه . كما أنّه يجب علينا . من اجل أن نعمل شيئاً . ان نتصوّر في الوهلة الاولى شكله و منظره ، ثم نجد رغبة الى ذلك العمل في الوهلة الثانية ، ثم نوجد في الوهلة الثالثة في أنفسنا إرادة القيام بذلك العمل .

و الحال كذلك لدى الأنبياء أيضاً ، فإنّ الأفعال التي تصدر عنهم تكون بعد تصوّره للصورة العلميّة ، و بعد ميلهم و إرادتهم لتحقّق ذلك العمل .

و لإيضاح هذه المسألة نضيف : قد تصدر منّا نحن البشر أعمال حسنة أو سيّئة ، فالأعمال الحسنة ينبغي علينا أولاً ان نتصوّر صورتها العلميّة ، ثمّ نقدم على فعلها بعد أن نجد لها في أنفسنا ميلاً و إرادة ، و الأمر كذلك بالنسبة للأعمال السيّئة . و لو فرضنا انّ هناك أفراداً لا تخطر في أذهانهم صور يميلون اليها الآ و كانت صوراً جميلة و حسنة ، لذا فإنّه بعد تعلّق الإرادة بهذه الأفعال فإنّه سيظهر من هؤلاء على الدوام اعمال حسنة . وعلى العكس فاذا ما وجدت على الدوام في أذهان بعض الناس صور قبيحة و مناظر للخيانة و الجناية و المعصية مع توقّر الإرادة أيضاً ، فإنّه ستصدر منهم على الدوام أفعال قبيحة ، و هؤلاء هم أهل الشقاء ، كما أن الفئة الاولى هم أهل السعادة .

انّ الأنبياء هم من اولئك الفئة التي تتعكس في أذهانهم دوماً صور الخيرات و الأفعال الحسنة فيميلون اليها ، ثم يفعلونها بعد تحقّق إرادتهم . ولأنّ تلك الصور تظهر في أذهانهم بشكل متعاقب ، فإنّ حصول تلك الصور يتحوّل لديهم الى ملكة مثل ملكة العقّة و الشجاعة و السخاء و غيرها . وهذا عبارة عن ملكة العصمة فيهم . و بناءً على هذا فإنّ صدور أفعال الأنبياء بوصف الطاعة سيكون دائماً و باستمرار مسبباً عن الصورة العلميّة الحسنة الدائمة ، و ذلك هو إذعانهم القلبي بالعبوديّة ، و المراد من الملكة هو رسوخ و عدم تغير الصورة العلميّة في النفس .

أفضليّة الأنبياء بسبب وجود الاختيار في أفعالهم :

و هذا هو سبب مزيّتهم و أفضليّتهم على سائر أفراد البشر ، لأن ملكتهم النفسانية و قوتهم العلميّة عالية جداً ، بحيث يختارون دائماً الخيرات و الطاعات بعلمهم و إرادتهم غير المنفكّة عنهم ، و الآ فاذا فرض انّ العمل الحسن يصدر منهم بدون العلم و الاختيار المرتبط بوجودهم ، فإنّهم سيكونون أشبه بالساعة التي تُتّصب فتتحرك دون اختيار ، او كمثل مفتاح الباب الذي يفتح الباب دون اختيار و إرادة ، بل بسبب حركة اليد .

فأي فضيلة و شرف سيكون لهم في مثل هذه الحالة !!؟

و إضافة الى ذلك فأننا نعلم انّ الأنبياء يتلقون الوحي فلا يُخطئون في التلقّي و التبليغ ، و لو كان هذا التلقّي و التبليغ غير مستند الى القوّة النفسانيّة و الملكة الموجودة فيهم ، و بدون الأسباب الموجودة بوجود الأنبياء و المقترنة بواقعيتهم و وجودهم ، لاستلزم ذلك انّ هذه الأفعال ستصدر بدون علم النبيّ و إرادته ، و بذلك فإنّ أفعال النبيّ ستخرج عن الاختيار ، وهو ما يتنافى مع افتراضنا بأن النبيّ مختار كسائر أفراد البشر .

و بناءً على هذا فإنّ كلّ الأفعال التي تصدر عن الأنبياء قولاً و فعلاً ، والمعجزات التي تظهر على يدهم ، كانت كلّها بسبب علمهم و اختيارهم ، ومستنده الى ملكتهم و كيفيتهم و حالتهم القلبية ، و ذلك كلّه مستند أيضاً الى إذن الله و حفظ الملائكة الذين يحفظون بهذا الطريق حالاتهم القلبية و الاختيارية و صورهم العلمية و ملكاتهم النفسية .

و ينتهي هنا بحثنا عن عصمة الأنبياء ، و يتضح بشكل كامل كيفية إفاضة هذه الموهبة الالهية ، و يتعيّن فضلهم و شرفهم بالنسبة لسائر البشر ، فلا بدّ . من أجل توضيح مقاماتهم و درجاتهم التي ذكرناها في الدروس السابقة . أن نبحت عن كيفية الخلقة و عن كيفية حصول ملكة العصمة فيهم ، و هذا ما يحتاج الى عدّة أبحاث .

الخلقة عبارة عن الظهور لا الولادة و الخروج :

البحث الأول : انّ عالم الخلقة بما فيه الموجودات المجردة و الماديّة ، هو ظهورٌ لنور وجود الباري تعالى شأنه ، و جميع الممكنات هي مظاهر و تجليات لتلك الذات المقدّسة ، و لذلك فإنّ كلّ ممكن يقتبس بقدر سعة ماهيته و قابليّته من نور وجود الحقّ تعالى ، فينعكس شعاع ذلك النور الطاهر في مرآة وجوده ، فيتخلّع بخلعة وجوده .

و ليس معنى الخلقة خروج شيء من ذاته المقدّسة و إيجاد شيء مستقلّ في الخارج ، بحيث يقوم بنفسه و يستند الى نفسه في أصل الوجود ، أو في استمراره أو في الصفة و الفعل .

و بناءً على هذا فإنّ جميع عالم الوجود . عدا ذات الربّ . قائمٌ به و مستند اليه و معتمد عليه ، بحيث أنّه لو فصل عن هذا الإتكاء و القيام و الاعتماد لحظةً واحدة لا نغمر عالم الخلقة في ظلمة الفناء و العدم .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (4) .

و على هذا الأساس فإنّ اظهار الأنبياء لعجزهم و مسكنتهم مقابل ساحة الله سبحانه ، و مشاهدتهم فاقتهم و فقرهم أمام الذات القدسيّة ، و تعفيرهم سيماء التذلّل في التراب في مناجاتهم ، لم يكن تصنعاً أو مُجاملة ، بل كان حاكياً عن أمر حقيقي واقعيّ ، و لذلك فإننا لا نفرّق من هذه الجهة بين الأنبياء و الأئمة و سائر الناس من أيّ صنف أو طبقة ، فكلّ ما يمتلكه أحد يمتلكه بالله و مع الله ، أمّا بدون الله فإنّ الجميع لا يمتلكون شيئاً .

أساس عالم الوجود مبني على اختلاف الموجودات :

البحث الثاني : أنّ أساس عالم الوجود مبني على الاختلاف في الظهورات و التجليات ، و هذه المسألة كانت مشهودة في الفلسفة تحت عنوان (الواحد لا يصدر منه إلا الواحد) و في العرفان تحت عنوان (لا تكرر في التجلي) من قبل العرفاء الأجلاء من الأولياء ذوي العزة والمقدار ، كما كانت مورد بحث الحكماء الراشدين المسلمين .

اي أنّه يستحيل في جميع عالم الخلق وجود موجودين متساويين من جميع الجهات . نعم ، يوجد بعض الموجودات المتشابهة في بعض الجهات ، ولكن وجود موجودين متشابهين متماثلين من جميع الجهات أمرٌ يمتنع تحقّقه .

و قد أقرت العلوم التجريبية اليوم بهذا الأساس ، و أثبتت على ضوء القياس و الإستقراء و التجارب المستمرة أنّه لا يوجد تشابه من جميع الجهات بين موجودين اثنين ، و أنّ لكلّ موجود مميّزات منحصرة به . حتّى أنّه لا يوجد بين أفراد الإنسان منذ خلقه آدم أبي البشر الى يوم القيامة انسانان متشابهان من جميع الجهات ، لا من جهة الذاتيات و الصفات ، و لا من جهة الأعراض الزمانية و المكانية و الكيفية و الكمية و غيرها ، حتّى أنّه لا يوجد انسانان متشابهان في الخطوط الموجودة في بنان أصابعهما و في الخطوط المنقوشة على بدنيهما ، و يُستفاد من هذا الاختلاف في أمر تشخيص هويّة المجرمين .

بل أنّ خطوط الجلد الموجودة في أيّ نقطة من جسم الإنسان تختلف عن غيرها في جزء آخر من نفس الجسم ، فالخطوط الموجودة على أصابع الكفّ الأيمن مثلاً تختلف عن الخطوط الموجودة على أصابع الكفّ الأيسر ، و خطوط سبابة اليد اليمنى تختلف عن خطوط بقية الأصابع في نفس الكف . و لذلك ، و على أساس هذا الأصل الكلّي و الدائمي فإنّ كلّ فرد من أفراد الإنسان يختلف في تشكيل الخلق عن الآخر ، و كما يتفاوتان في السيماء و الشكل و الشمائل ، فاتّهما يتفاوتان أيضاً الى حدّ كبير في الملكات و الغرائز .

و يلاحظ في مرحلة الطفولة أنّ بعض الاطفال يتفاوتون في مقدار السخاء و الايثار ، و في الحياء و العفة ، و في المتانة و الأصالة ، و في الشجاعة و الذكاء و الفهم و النباهة ، لذا فان الأنبياء و الأئمة يتفاوتون مع سائر البشر ، بل أنّ الانبياء في نفس الوقت الذي بُعثوا فيه بأجمعهم من قبل الله و أوكلت اليهم مهمّة ابلاغ الرسالة ، و مع اتّفاقهم على دعوة الناس الى مقام التوحيد ، و بعبارة مختصرة ، مع أنّهم كلّهم من مبدأ واحد و يرجعون الى مرجع واحد ، و ان مجيئهم و ذهابهم من مكان واحد و الى مكان واحد ، يشهد على ذلك قوله تعالى على لسان المؤمنين :

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رَّسُولِهِ (5) .

فانّهم في نفس الوقت يختلفون و يتفاوتون من جهة سعتهم الوجودية ، التي يتبعها تفاوتهم في الغرائز و الصفات و المواهب الالهية .

تِلْكَ الرِّسَالُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ ءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (6) .

و هذا الاختلاف واضح و مشهود في هذه الآيات المباركة التي تشرح قصص الأنبياء و صفاتهم .

جميع الموجودات التي تحمل القوة و الاستعداد تتحرك باتجاه الكمال :

البحث الثالث : انّ هناك حركة نحو الكمال في جميع الموجودات التي تمتلك قوّة و استعداداً ، و التي ينبغي ان توصل قابليتها الى مرحلة الفعلية . و نتيجة هذا السير و الحركة هي العبور من مراحل الكمون و الاستعداد و الوصول الى مراحل ظهور الكمال و الفعلية . و هذه الحركة موجودة في جميع موجودات عالم الطبع ، بما فيها الانسان و الحيوان و النبات و الجماد ، كما انّ السير و العبور من المراحل البدوية الى المراحل النهائية أمر مشهود .

و لأنّ الأنبياء و الأولياء هم كسائر أفراد البشر غير مستثنين من هذه القاعدة ، فاننا نرى انّ مراحل تكوينهم تبدأ في هذا العالم من سلالة من ماء مهين ، ثم تطوي مراحل استعدادها و فعلياتها المختلفة ، و تتخطى مراحل الاستعداد واحداً بعد آخر ، من نطفة و علقة و مضغة و تشكّل العظام و إكسائها باللحم ، ثم انشاء خلقة الروح و تبديل المادة الى النفس المجردة الناطقة ، فتستقبل مراحل الفعلية واحدة بعد اخرى ، الى أن تصل الى مرحلة الفعلية التامة :

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (7) .

كما انّ الأنبياء هم . من جهة السير و الحركة الطبيعية و الطبيعية و المادية . كسائر أفراد البشر في حركة من الصغر الى الكبر ، و من الضعف الى القوة ، و من صغر الجسم الى كبره ، يدلّ عليه قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ (8) .

و قوله تعالى في آية أخرى :

وَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَ اتْرَفْنَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (9) .

كما أنّهم من وجهة نظر الكمالات الروحية و بروز القابليات و الغرائز و الصفات الباطنية و الملكات في سير و حركة ، شأنهم شأن سائر أفراد البشر ، حيث يقومون مدّة عمرهم بإيصال تلك الجواهر المكونة الى مرحلة الظهور و الفعلية التامة .

كمال كل موجود هو فعلية القابليات الموجودة فيه

البحث الرابع : انّ حصيلة و نتيجة إيصال القابليات الى مرحلة الفعلية أمر يتبع مباشرة للقابليات نفسها ، ففعلية الانسان مثلاً تابعة للقابلية الانسانية ، و فعلية الحيوان تابعة لقابلية ذلك الحيوان ؛

فالنعامه لن تصل في سيرها التكاملي أبداً الى فعلية صقر الصيد ، كما انّ فعلية و كمال الخروف لن تظهر قابليات الجمل و الحصان . فكلّ واحد من هذه الانواع المختلفة والأصناف المتفاوتة من الحيوانات يتحرك في جهة تلك الغريزة و القابلية ، و يُظهر تلك القوة و القابلية الكامنة في ذاته ، و يوصلها الى مقام الظهور والبروز و الفعلية و التمامية .

على انّ جميع البشر ، كما أنّهم من وجهة نظر المادّة و الطبع و من جهة تكاملهم و تماميتهم في سير و حركة ، فإنّهم إلزاماً في حركة و سير من وجهة نظر الكمالات الروحية ، و وفقاً للغرائز و الصفات التي وُهبّت لهم ، من أجل اكمال أنفسهم و إيصالها الى الفعلية المحضة . لذا يستحيل ان تكون فعلية فردين من افراد البشر متساوية و متماثلة من جميع الجهات .

و هكذا فإنّ عيسى لن يكون موسى ، و موسى لن يكون عيسى ، لكنهما في حال النبوة و في حال الموت غيرهما في حال النطفة أو في حال الجنين او في حال الطفولة . و عيسى على نبينا و ءاله و عليه السلام مع أنّه قد بُعث نبياً بينما كان طفلاً يتكلّم في المهد ، فإنّه في حال نزول الانجيل و بروز المعجزات الالهية و دعوة بني اسرائيل ، من شفاء الأبرص و إحياء الموتى و شفاء العمي منذ ولادتهم ، كان غير عيسى الذي كان في بطن أمّه مريم ، و هكذا الحال بالنسبة الى باقي الأنبياء .

انتظار الله سبحانه و عالم الوجود من كلّ فرد هو كماله المطلوب لا كمال غيره :

البحث الخامس : ان انتظار عالم الواقع و الخارج من كلّ فرد هو كماله المطلوب لا كمال غيره ، فالعالم المجردة و غير المجردة من العقول و الملائكة و الكواكب ، و سيّارات الشمس و القمر ، و الليل و النهار تتوقّع و تنتظر من كلّ فرد ايصال ثرواته الالهية على نحو حسن الى مرحلة الفعلية ، و أن لا يُهدرها أو يُفسدها ، و لا تنتظر منه أن ينال في مسيرته وحركته المراحل الفعلية لسائر الموجودات التي تختلف عنه في اعطاء الغرائز والصفات الالهية :

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (10) .

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتِيهَا (11) .

انّ الله هو العدل المحض ، لذا فإنّه لا يظلم مثقال ذرّة :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا (12) .

لأنّ الظلم يعني الانتظار و التوقّع من النملة و تكليفها بالقفز كما تفعل الجراد ، فإن خالفت عُدبت و عوقبت ، اما اذا انتظر من النملة ، حسب شعورها و إدراكها ، أن لا تسلب ظملاً حبةً من فم نملة أصغر ، فإنّ هذا ليس بظلم ، و هذا التكليف تكليف بالحقّ بمقدار القابلية و الفهم والإدراك ، ومتلائم و السعة و الظرفية الوجودية للنملة ، و هو عين العدل المحض .

و اذا ما كلف الله أفراد الأمة بمثل التكليف الذي كلفه للأنبياء فإنّ هذا سيكون ظملاً ، اما اذا انتظر من كلّ فرد من أفراد الأمة ظهور و بروز استعداداتهم و قابلياتهم في طيّ طريق الله و لقاء حضرته ، و كلفهم بالمجاهدة و الصبر و العبودية قدر سعتهم و ظرفيتهم في متابعة ذلك النبيّ ، فإنّه لن يكون

ظلماً أبداً .

الأنبياء يمتلكون العلم و الاختيار في جميع أفعالهم ، معجزة كانت أم غير معجزة :

البحث السادس : انّ الأنبياء يمتلكون علماً و اختياراً شأنهم شأن سائر افراد البشر ، و الافعال التي تصدر عنهم بعنوان المعجزة أو الوحي الالهي الذي يبلغونه للناس ، او في مقام العبودية و الاستكانة عندما يعفرون وجوههم بتراب المذلة امام الله ، هي كلها نابعة من علمهم و اختيارهم ، فلا يصدر شيء منهم اضطراراً أو إجباراً ، لكنّ التزكية و الطهارة و العلم والقدرة الفكرية و العملية تترشح كلّها بإذن الله من كيانهم ، و يظهر . تبعاً لذلك . اثار و خواص عجيبة و خارقة للعادة .

و الآن و قد أصبحت هذه الأبحاث واضحة و معيّنة ، فقد اتّضح كذلك كيفية خلقة الأنبياء و الأئمة عليهم السلام و كيفية عصمتهم .

فأولاً انّ ملكة العصمة في الأنبياء التي تحذّره من أي خطأ أو معصية ، كانت اثر الموهبة الالهية ، و منسجمة كاملاً مع عنوان الوراثة والاعطاء بروح القدس ، لكنّ هذه العصمة كانت كذلك في المراحل الاولية بعنوان القوة و القابلية ، و هي معهم في كلّ الأحوال ، في النوم و اليقظة والتجليات ، و قد وصلت ؛ على اثر المجاهدة و العبودية التامة والابتلاءات الثقيلة و الامتحانات الكثيرة ؛ الى مرحلة الفعلية و التمامية .

عيناً مثل سائر الملكات المكتسبة لأفراد البشر من العلوم و الفنون والصنائع ، التي تبقى . بعد حصول الملكة . في أعلى درجاتها لا تتفصل عنهم أبداً ، و تبقى في كلّ حال ملازمة لوجودهم . ان فعلية و تامة هذه الملكة أمر اكتسابي ، لكنّ أصلها (أي القابلية و الاستعداد) موهبة تختصّ مراحلها العالية بالأنبياء و الأئمة ، كما وُهبت سائر مراحلها لأولياء الله و المقربين له بحسب اختلاف درجاتهم .

ثانياً : ان ملكة العصمة فضيلة و شرف علمي اختياري ، و هي من صفات نفوس الأنبياء ، و التي أصبحت على هذا الأساس سبباً في كرامتهم وشرفهم ، و ميّزتهم عن سائر أفراد الأمة ، عيناً مثل ملكة علم الطبّ والرياضيات و الفلك التي تميّز عالم الطب و عالم الرياضيات و عالم الفلك عن سائر الأفراد ، مع هذا الاختلاف انّ ملكة العصمة هي ملكة الواصل الى الواقع و متن الحقيقة ، و العلم الحضورى بالنسبة الى الأشياء ، و الوصول الى حقيقتها الخارجية ، و بالطبع فكما انّ الخطأ و الذنب ليس له معنى في متن الخارج ، فانّ الذنب و الخطأ كذلك لا معنى له لدى الأنبياء .

بيد انّ ملكة علم الطب و الرياضيات ليست كذلك ، فهي تمنح القوة فقط لنفس الطبيب و عالم الرياضيات في مجال معيّن ، بحيث يمكنه الاستفادة من ملكته و اظهار اثارها في الخارج في أي لحظة يشاء .

ثالثاً : انّ إعطاء هذه الملكة للأنبياء و عدم إعطائها لغيرهم ليس ظلماً و لا جوراً ، لأن الظلم سيكون حين يُنتظر من موجودٍ ما نضح اثار تزيد عن حدّ وجوده ؛ والله سبحانه لم يكلف غير الأنبياء

بالتكليف الذي حملهم آياه حسب السعة الوجودية لنفوسهم لئلا يكون ذلك ظلماً ، بل انه كلف كلاً حسب قابليته و استعداده ، علماً بأن قابلية و استعداد الموجودات ليسا خارجين عن إحاطة قدرة الله بل هي بإعطائه ، و كلام ابن سينا (مَا جَعَلَ اللَّهُ الْمِشْمِشَةَ مِشْمِشَةً بَلْ أَوْجَدَهَا) له دلالة جيدة على ذلك .

و بناءً على هذه فإن الخالق العليم قد خلق الموجودات ، و من جملتها أفراد الإنسان مختلفة متفاوتة دون أي ذرة من الاستحقاق الذاتي ، و ابتلى كلاً منها في طريق تكاملها ، و من جملتهم الأنبياء الذين ابتلاهم . بسبب تفوق قابليتهم التي وهبها الله لهم على قابليات الآخرين . بابتلاءات أعجب و امتحانات أصعب و مجاهدات أشق ، فسلخوا هذا الدرب و طووا هذا السبيل بقدم الطاعة و الاختيار . و أخيراً ، و لأن الكمال مختص بالله وحده ، فان مرجع الكمالات من الأنبياء أو غيرهم ، الى الله وحده . (13)

لقد تجلّى الله سبحانه و تعالى في الأنبياء تجلياً تاماً ، و تجلّى في نبيّ الاسلام تجلياً أتمّ و أكمل ، كما تجلّى في سائر الموجودات تجليات متفاوتة ، و لا يعني هذا أنّ الله أخرج شيئاً من وجوده فأدخله فيهم ، أو أنه سلب ملكية صفة و ملكة ما فنقلها اليهم .

لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (14) .

فلا يوجد في عالم التوحيد موجود غير ذاته الأحدية المقدسة ، له بنفسه شيء يستحق المدح ، لا الأنبياء و لا غيرهم ، بل ان كلّ شيء من الله و راجع اليه .

لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَ الْآخِرَةِ (15) .

الحمد و الشكر مختصان بذات الخالق المقدسة في النشئة الاولى وفي النشئة الاخرى . بلى ، هذا المدح و الفضيلة و الشرف في عالم الكثرة و ظهور الموجودات على حسب اختلاف الكثرات و الاعتبارات ، و من الواضح أنّ الأنبياء هم أفضل و أشرف جميع الموجودات لأنّ سعتهم الوجودية أكثر من جميع الموجودات ، و لأن إدراكهم و علمهم أعلى ، و مجاهدتهم و ابتلاءاتهم أكثر ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلًا وَ آخِرًا وَ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا .

كانت هذه مطالب بينهاها في شأن العصمة الكلية للأنبياء .

إثبات عصمة أميرالمؤمنين عن طريق اتحاد نفسه مع نفس رسول الله

انّ أميرالمؤمنين له حكم نفس رسول الله بمقتضى النصوص الصريحة ، و لذلك فإنّ قلبه المبارك له ملكة العصمة القدسية . و الروايات الواردة في اتحاد روحه عليه السلام مع روح رسول الله صلّى الله عليه وءاله ، عن طريق أهل السنّة كثيرة ، و نذكر بعضها كنماذج :

يقول القندوزي الحنفي :

و في المناقب عن عليّ بن الحسن ، عن عليّ الرضا ، عن ءابائه ، عن أميرالمؤمنين عليّ عليهم

التحية و السلام .

قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَطَبَنَا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرَ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَ ذَكَرَ فَضْلَ شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ بَكَى ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ! أَبْكِي لِمَا يُسْتَحَلُّ مِنْكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ ؛ كَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُصَلِّيَ ، وَ قَدْ اتَّبَعْتَ أَشْفَى الْأَوْلِيَيْنِ وَ الْأَخْرَبِينَ ، شَقِيقُ عَاقِرٍ نَاقَةٍ صَالِحٍ ، يَضْرِبُكَ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِكَ ، فَيُخَضَّبُ بِهَا لِحْيَتَكَ .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ ذَلِكَ فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي ؟

قَالَ : فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ .

قُلْتُ : هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيُّ ! مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي ، وَ مَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَ مَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِي ، لِأَنَّكَ مِنِّي كَنَفْسِي ، رُوحُكَ مِنْ رُوحِي ، وَطِينَتُكَ مِنْ طِينَتِي ، وَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَ خَلَقَكَ مِنْ نُورِي ، وَاصْطَفَانِي وَاصْطَفَاكَ ، فَاخْتَارَنِي لِلنَّبُوءَةِ وَاخْتَارَكَ لِلْإِمَامَةِ . فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ نُبُوتِي . يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَ صَيِّي ، وَ وَارِثِي ، وَ أَبُو وَوَلَدِي ، وَ زَوْجُ ابْنَتِي ، أَمْرُكَ أَمْرِي ، وَنَهْيُكَ نَهْيِي ، أَقْسَمُ بِاللَّهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوءَةِ ، وَ جَعَلَنِي خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ، إِنَّكَ لَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَ أَمِينُهُ عَلَى سِرِّهِ وَخَلِيفَتُهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ (16) .

و قد وردت في هذه الرواية فقرات صريحة في اتحاد روح علي عليه السلام المقدسة مع روح النبي ، و أكثر ما يستحق التأمل و الاهتمام قوله صلى الله عليه و آله : فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ نُبُوتِي . اذ يتضح منها ان مسألة الإمامة هي روح الإسلام و حقيقة الإيمان ، الى الحد الذي يصبح الإنسان بدونها عارياً عن الإيمان و مُنكراً للنبوّة ، و لو اعترف آلاف المرات بالنبوّة .

يقول في (السيرة الحلبية) : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَ سَلَّمَ يَقُولُ : عَلِيُّ مِنِّي بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَبِّي (17) .

و يقول القندوزي : عَن عَمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : عَلِيُّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ ، وَ هُوَ وَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ بَعْدِي . رواه صاحب الفردوس (18) .

كما يروي عن سلمان قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لِكُلِّ نَبِيٍّ صَاحِبٌ سِرٍّ وَصَاحِبُ سِرِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . رواه صاحب الفردوس (19) .

و يقول أيضاً : علي عليه السلام رفعه عنه صلى الله عليه و آله : خُلِقْتُ أَنَا وَ عَلِيُّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ (20) .

و يروي كذلك عن أنس قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ جَالِساً مَعَ عَلِيٍّ فَقَالَ : أَنَا وَ هَذَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ . رواه صاحب الفردوس (21) .

و يروي كذلك عن عبدالله بن مسعود قال : قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّم : أَنَا وَ عَلِيُّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى . رواه صاحب الفردوس (22) .

و يقول أيضاً : يروي صاحب كتاب (مودّة القربى) عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه : خُلِقْتُ أَنَا

وَ عَلِيٍّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى .

و في رواية عنه : خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى وَ خَلَقَنِي وَ عَلِيًّا مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَنَا أَصْلُهَا ، وَ عَلِيٌّ فَرْعُهَا ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَارُهَا ، وَ أَشْيَاعُنَا أَوْزَاقُهَا ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِهَا نَجَى ، وَ مَنْ زَاغَ عَنْهَا هَوَى (23) .

ايشار و تضحية أميرالمؤمنين لرسول الله :

لقد لازم أميرالمؤمنين عليه السلام النبي في جميع المراحل ، و كان يفديه بروحه و لا يتوانى دقيقة عن الإيثار ، و كان كفّار قريش يعذبون المسلمين كثيراً حتّى أجبروهم على الهجرة الى الحبشة بإذن رسول الله .

و قد ذهب الرسول الأكرم صلى الله عليه و ءاله مرّة الى الطائف لطلب النصر و المساعدة و استتصرهم قائلاً : لا أكره أحداً منكم ، إنّما أريد ان تمنعوني ممّا يُراد بي من القتل حتى ابلغ رسالات ربّي (24) .

فلم يقبله أحد ، و قعدوا له صفين ، فلما مرّ رسول الله رجموه بالحجارة حتّى أدموا قدمه ، ثم أخرجوه من الطائف .

و لما توفيّ أبوطالب اجترأت قريش على رسول الله ، فلم يعودوا يتورعون عن إصابته بكلّ أنواع الأذى ، و كانوا يرمون بيته دوماً بالخشب و الحجارة ، و يُهيلون عليه التراب في الطريق .

و عاد رسول الله الى بيته يوماً و اثار التراب على رأسه و وجهه ، فكانت احدى بناته تغسل التراب عن رأسه و وجهه و تبكي فيقول لها :

لا تبكي يا بُنَيَّة ! إنّ الله مانعٌ أباك ! (25) .

ثم إنّ الانصار قدموا الى رسول الله و ءامنوا به و بايعوه على أنّه اذا ذهب اليهم في المدينة لحفظه ممّا يحفظون منه أنفسهم و أولادهم ، ولمنعوه من عدوّه .

و من جانب آخر فقد رأى كفّار قريش بأنهم عجزوا عن الوقوف أمام دعوته بمختلف الحيل ، و لو بالوعد و الوعيد ، و أنّ عدد المسلمين كان يتزايد يوماً بعد آخر ، حتّى صمّموا في النهاية أن يجتمعوا في دار الندوة ليتخذوا قرارهم النهائي في شأنه ، فاجتمع منهم في دار الندوة أربعون رجلاً مجرباً ، ثم صمّموا على قتل النبي بعد مناقشات طويلة ، فاختروا من كلّ قبيلة رجلاً للإشتراك في قتله ، على أن يضربوه ضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل ، و لا يستطيع بنوهاشم ان يحاربوا كلّ هذه القبائل فيقنعوا بالدية ، فلا يضيرهم أن يسلموا الدية الى بني هاشم .

لقد اتفقوا على موعد معين ، فاختروا من كلّ قبيلة رجلاً شجاعاً ليتسلّلوا الى بيت الرسول ليلاً دون أن يعلم بهم أحد فيقطّعونه بسيوفهم إرباً ارباً .

و كانوا جادّين في قرارهم غاية الجدّ ، و كتموا ذلك عن الجميع فلم يخبروا به أحداً ، و عندما حلّ الموعد المعين ، و كانوا يتأهبون لاقتحام منزل النبي ليلاً ، نزل عليه جبرئيل فأطلعه على الأمر :

وَ إِذْ يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (26)

و أمره أن يترك علياً أمير المؤمنين مكانه و يهاجر الى المدينة ، فأرسل الرسول الأكرم الى عليّ و قال له : يا عليّ ، ... انه قد اوحى اليّ جبرئيل عن ربّي عزّوجل أن أهجّر دار قومي ، و انه أمرني ان ءامرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري ، فما أنت قائل أو صانع ؟ فقال عليّ عليه السلام : أو تسلّم بمبيتي هناك يا نبيّ الله . قال نعم .

فتبسّم عليّ عليه السلام ضاحكاً ، و أهوى الى الأرض ساجداً شكراً لما نبأه رسول الله صلى الله على و ءاله من سلامته . فكان عليّ عليه السلام أوّل من سجد لله شكراً ، و أوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأمة . روى ابن الأثير باسناده عن ابن اسحق قال : و أقام رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، يعني بعد أن هاجر أصحابه الى المدينة ، ينتظر مجيء جبرئيل عليه السلام و أمره له أن يخرج من مكّة ، بإذن الله له في الهجرة الى المدينة ، حتّى اذا اجتمعت قريش فمكرت بالنبيّ و أرادوا برسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ما أرادوا ، أتاه جبرئيل عليه السلام و أمره أن لا يبیت في مكانه الذي يبیت فيه . فدعا رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم عليّ بن أبي طالب فأمره أن يبیت على فراشه و يتسجّى ببرد له أخضر ففعل ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم على القوم و هم على بابهِ (27) .

و روى كذلك باسناده عن أبي رافع قال : و خلّفه رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، يعني خلف علياً يخرج اليه بأهله ، و أمره أن يؤدي عنه أمانته . و وصايا من كان يوصي اليه ، و ما كان يؤتمن عليه من مال ، فأدّى عليّ أمانته كلّها ، و أمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج و قال : إنّ قريشاً لم يفقدوني ما رأوك ! فاضطجع على فراشه ، و كانت قريش تنتظر الى فراش النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم فيرون عليه علياً فيظنّونه النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، حتّى اذا أصبحوا رأوا عليه علياً فقالوا : لو خرج محمّد لخرج بعليّ معه ، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبيّ حين رأوا علياً .

نزف الدم من أقدام عليّ عند الهجرة الى المدينة :

و أمر النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم علياً أن يلحقه بالمدينة ، فخرج عليّ في طلبه بعدما أخرج اليه أهله ، يمشي الليل و يكمن النهار حتّى قدم المدينة ، فلما بلغ النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم قال : أدعوا لي عليّاً قيل : يا رسول الله لا يقدر أن يمشي ، فأتاه النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم ، فلما رآه اعتنقه و بكى رحمةً لما بقدميه من الورم و كانتا تقطران دماً ، فنقل النبيّ صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم في يديه و مسح بهما رجليه و دعا له بالعافية ، فلم يشكهما حتّى استشهد [عليه السلام] (28) .

مباهاة الله ملائكته بإيثار أميرالمؤمنين رسول الله بنفسه :

يقول اليعقوبي (29) ، و يروي القندوزي كذلك (30) قال : روى الثعلبي في تفسيره ، و ابن عقبة في (ملحمته) ، و أبوالسعادات في (فضائل العترة الطاهرة) و الغزالي في (إحياء العلوم) بسندهم المتصل عن ابن عباس ، وعن أبي رافع ، و عن هند بن أبي هالة ربيب رسول الله و أمه خديجة أم المؤمنين ، أنهم قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه و ءاله : أوحى الله إلى جبرئيلَ و ميكائيلَ : إني قد ءاخيتُ بَيْنَكُمَا وَ جَعَلْتُ عُمَرَ أَحَدِكُمَا أَطْوَلَ مِنْ عُمَرِ صَاحِبِهِ ، فَأَيُّكُمَا يُؤْتِرُ أَخَاهُ عُمَرُ ؟ فَكَلَاهُمَا كَرَهُ الْمَوْتَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا : إني ءاخيتُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ ، فَأَنْزَرَ عَلِيٌّ حَيَاتَهُ لِنَبِيِّ ،

فِرْقَدَ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ يَقِيهِ بِمُهَجَّتِهِ . اهْبِطًا إِلَى الْأَرْضِ وَ احْفَظَاهُ مِنْ عَدُوِّهِ . فَهَبَطَا فَجَلَسَ جِبْرَائِيلُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَ مِيكَائِيلُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، وَجَعَلَ جِبْرَائِيلُ يَقُولُ : بَخَّ بَخَّ مَن مِثْلُكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يُبَاهِي بِكَ الْمَلَائِكَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ :

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَئُوفٌ بِالْعِبَادِ (31) .

و جاء في الروايات أن الرسول صلى الله عليه و ءاله توجه عند خروجه من مكة الى غار (ثور) مباشرة فمكث فيه ثلاثة أيام ، فجاءت العنكبوت فنسجت بيتاً على فوهة الغار ، و جاءت حمامة فوضعت بيضها في باب الغار ، ثم جاء الكفار يقتفون اءثار الرسول صلى الله عليه و ءاله حتى و صلوا باب الغار ، لكن الله صرفهم عن الدخول الى الغار .

و في ليلة المبيت اجتمع الرجال من العشائر المختلفة يريدون قتل الرسول صلى الله عليه و ءاله ، و أرادوا الدخول الى بيته ليقطعوه إرباً إرباً ، غير ان أبا لهب لم يسمح لهم بالدخول و قال ان في هذه الدار نساء بني هاشم و بناتهم فاقعدوا بنا على الباب نحرس محمداً في مرقده لئلا يفلت من أيدينا . و أصبح الصباح فاقتحم الرجال البيت فوثب علي رافعاً البردة الخضراء عن وجهه ، فقالوا له : أين محمد ؟ فقال : أجعلتموني عليه رقيباً ؟

ثم انهم لما أدركوا خروج النبي صاروا في صدد البحث عنه وملاحقته ، فصان الله نبيه بحوله و قوته .

يقول السبط بن الجوزي : قال أحمد في الفضائل : حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانه ، حدثنا أبو بكر بن محمد ، عن عمرو بن ميمون قال : إني لجالس الى ابن عباس إذ أتاه رهطٌ يقعون في علي بن أبيطالب عليه السلام ، فردّ عليهم ابن عباس قال :

لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ ، لَيْسَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَوْبُهُ وَ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] وَ سَلَّمَ . إِلَى أَنْ قَالَ :

وَ بَاتَ الْكُفَّارُ يَزْمُونَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحِجَارَةِ وَ هُوَ يَتَضَوَّرُ قَدْ لَفَّ رَأْسُهُ فِي الثُّوبِ إِلَى الصَّبَاحِ .

الى أن يقول : قال ابن عباس : أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة :

وَ قَبِيتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطَأَ الْحَصَا

وَ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَ بِالْحَجْرِ

رَسُولُ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمَكُرُوا بِهِ

فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الْعَلِيِّ مِنَ الْمَكْرِ

وَ بَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْغَارِ ءَامِنًا

مَوْقِفًا وَ فِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَ فِي سِتْرِ

وَ بَتَّ أُرَاعِيهِمْ وَ مَا يُنْبِثُونَنِي

وَ قَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ (32)

و أنشد حسبان في ليلة المبيت على ما نقله ابن الجوزي :

مَنْ ذَا بِخَانِمِهِ تَصَدَّقَ رَاكِعًا

وَ أَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ إِسْرَارًا

مَنْ كَانَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ مُحَمَّدٍ

وَ مُحَمَّدٌ أَسْرَى يَوْمَ الْغَارَا

مَنْ كَانَ فِي الْفُرْعَانِ سُمِّيَ مُؤْمِنًا

فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ تُلَيِّنُ غَزَارَا

ثم يقول ابن الجوزي : و قد أشار في هذا البيت الى قول ابن عباس :

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ءَايَةً فِي الْفُرْعَانِ إِلَّا وَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمِيرُهَا وَ رَأْسُهَا (33) .

و يقول السيد الحميري :

وَ سَرَى بِمَكَّةَ حِينَ بَاتَ مَبِيئَهُ

وَ مَضَى بِرَوْعَةٍ خَائِفٍ مُتَرَقِّبٍ

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ هَارِبًا مِنْ شَرِّهَا

بِاللَّيْلِ مُكْتَتِمًا وَ لَمْ يَسْتَصْحِبِ

بَانُوا وَ بَاتَ عَلَى الْفِرَاشِ مُلَفَّقًا

فَيَرُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَذْهَبِ (34)

تعليقات:

(1) الآية 165 ، من السورة 4 : النساء .

(2) الآية 64 ، من السورة 4 : النساء .

(3) الآية 4 ، من السورة 33 : الأحزاب .

(4) الآية 15 ، من السورة 35 : فاطر .

(5) الآية 285 ، من السورة 2 : البقرة .

(6) صدر الآية 253 ، من السورة 2 : البقرة .

(7) الآية 6 ، من السورة 84 : الانشقاق .

(8) الآية 110 ، من السورة 18 : الكهف .

(9) الآية 33 ، من السورة 23 : المؤمنون .

(10) الآية 286 ، من السورة 2 : البقرة .

(11) الآية 7 ، من السورة 65 : الطلاق .

(12) الآية 44 ، من السورة 10 : يونس .

(13) يقول الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب (الشيعية و التشيع) ، طبع مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني . بيروت ، حى 37 و 38 : العصمة قوّة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية و الخطأ ، بحيث لا يترك واجباً و لا يفعل محرماً ، مع قدرته على الترك والفعل ، و الآ لم يستحقّ مدحاً و لا ثواباً ، أو قل : إنّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات و الأهواء ، و بلغ من العلم في الشريعة و أحكامها مرتبةً لا يخطئ معها أبداً .

و يقول في التعليقة : قال الإمام يصف نفسه : مَا وَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَ لَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ؛ وَ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمَّهِ . يَرْفَعُ لِي كُلَّ يَوْمٍ نَمِيرًا مِنْ أَخْلَاقِهِ ، وَ يَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ . و هذا معنى العصمة عند الشيعة ، لا كذب في قول و لا زلة في فعل .

(14) الآية 3 و 4 ، من السورة 112 : الإخلاص .

(15) الآية 70 ، من السورة 28 : القصص .

(16) ينابيع المودة) ، ص . 53

(17) السيرة الحلبية) ، ج 3 ، ص . 400

(18) ينابيع المودة) ، ص . 234

(19) ينابيع المودة) ، ص . 235

(20) ينابيع المودة) ، ص . 256

(21) ينابيع المودة) ، ص . 239

(22) ينابيع المودة) ، ص . 236 و أورد هذه الرواية أيضاً في بحار الأنوار ج 38 ، ص 309

الطبعة الحروفية) ، عن (كشف الغمّة) ، عن (المناقب) للخوارزمي . و أوردتها في ص 324 و 325 عن (الأمالى) للشيخ الطوسي ، أنّ رسول الله صلى الله عليه و ءاله قال : يا عليّ خلق الله الناس من أشجار شتى ، و خلقتي و أنت من شجرة واحدة أنا أصلها و أنت فرعها ، فطوبى لعبدٍ تمسك بأصلها و أكل من فرعها .

كما أورد في ج 35 عن (بحار الأنوار) ص 35 نقلاً عن (عيون أخبار الرضا) أنّه عليه السلام

قال : قال النبيّ صلى الله عليه و ءاله لعليّ [عليه السلام] : الناس من أشجار شتى و أنا و أنت من شجرة واحدة .

(23) ينابيع المودة) ، ص . 256

- (24) تاريخ اليعقوبي) ، ج 2 ، ص . 36
- (25) تاريخ الطبري) ، ج 2 ، ص . 80
- (26) الآية 30 ، من السورة 8 : الأنفال .
- (27) أسد الغابة) ، ج 4 ، ص 18 و . 19
- (28) أسد الغابة) ، ج 4 ، ص . 19
- (29) تاريخ اليعقوبي) ، ج 2 ، ص . 39
- (30) ينابيع المودة) ص92 ؛ كما ورد أيضاً في (تذكرة الخواص) للسبط ابن الجوزي ص 21 ، و
في (أسد الغابة) ج 4 ، ص 25 ، و رواه ابن الصبّاغ في (الفصول المهمة) ص 33 عن الغزالي .
- (31) الآية 207 ، من السورة 2 : البقرة .
- (32) تذكرة الخواص) ، ص . 21
- (33) تذكرة الخواص) ، ص . 10
- (34) ديوان الحميري) ، ص 93 ؛ و قد ذكر في التعليقة من ص 93 الى ص 100 مطالب مفيدة

الدرس السابع : منصب الإمامة أعلى من منصب النبوة

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَالِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِنَائِبَتِنَا يُوفُونَ (1) .

منصب الإمامة أعلى من النبوة :

ينبغي أن نبحث في هذه الآية المباركة عن المراد بالإمام ؟ و عن المراد بالهداية بأمر الله ؟ و عن

العلاقة بين تعليل الإمامة بالصبر و الإيقان بأيات الله و بين الإمامة نفسها ؟

و لتوضيح معنى الإمام نقول :

انّ الله تعالى يقول :

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ

عَهْدِي الظَّالِمِينَ (2) .

و الإمامة التي أعطاها الله لإبراهيم كانت في زمن شيخوخته ، و بعد أن اجتاز جميع الاختبارات و

من أهمها ذبح ولده اسماعيل ، فقد كان الله سبحانه و هبه على الكبر اسماعيل و اسحق :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدَّعَاءِ (3) .

و لأن إبراهيم عليه السلام حين أعطي الإمامة فاتّه سألها لذريته ، لذا فإنّ هذا الإعطاء و هذا

السؤال حصل حين امتلاك ذرية في كبره . فهذا السؤال و الطلب لم يكن له من محلّ . في ظاهر الحال .

قبل حصوله على الذرية ، و مع ياس إبراهيم و انقطاع أمله فيها . إذ كيف يمكن للإنسان اليأس من

الحصول على الذرية أن يسأل الله الإمامة لذريته من بعده ؟ لقد كان عليه ان لا يتعرّض الى هذا

الطلب ، أو كان عليه على الأقل أن يقول : إن رزقتي ذرية ؛ إن تعلقت إرادتك بعد هذا . مع ياسي .

فأعطيتني أولاداً فهل ستجعلهم أئمة أم لا ؟

و الدليل على ياس إبراهيم عليه السلام من الحصول على ذرية هو آيات القرآن الكريم :

وَ نَبَّأَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِيرَهِيمَ إِذِ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْ عَلَيْنَا مِنْكُمْ وَ جَلُونا قَالُوا لَا نُؤَجِّلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ

بِعِلْمِ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشِّرْهُنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ نُبَشِّرُونَ قَالُوا بِبَشْرِكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَانِطِينَ

(4) .

و كانت سارة زوجة إبراهيم يائسة هي الأخرى من إنجاب الأولاد :

وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرَتْهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَوَيْلَتِي ءَأَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (5) .

و يتّضح لدينا جيّداً من هذه الآيات القرآنيّة أنّ ابراهيم كان يائساً من الحصول على الأولاد في اءاخر عمره ، لذا فإنّ سؤاله الإمامة لأولاده كان حين وهبه الله الإمامة ، و ذلك في سنين شيخوخته بعد أنّ وهبه الله اسماعيل و اسحق .

و نستنتج . بناءً على ذلك . أنّ إمامة ابراهيم كانت بعد نبوّته ، و بعد أنّ أصبح شيخاً كبيراً ، أي أنّ الإمامة تختلف عن النبوة ، بل هي مقام أعلى وأسمى .

و على هذا الأساس فإنّ المراد بآية (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) . أنّي سأجعلك قدوة يقتدي بها أفراد البشر في القول و العمل ، فالإمام إذن هو الذي يجب ان يتبعه الناس في أفعالهم و أقوالهم و سلوكهم ، و في النهاية في أفكارهم و عقائدهم و ملكاتهم .

و من هنا خطأ بعض المفسّرين فتصوّروا أنّ المراد بالإمامة في هذه الآية الشريفة هو نفسه معنى النبوة ، لأنّ الناس يقتدون بالنبيّ في دينهم ، ثمّ أوردوا هذه الآية دليلاً على ذلك : وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ (6) .

و هو توهم لا محلّ له أبداً ، لأنّ لفظ (إماماً) في قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) وقعت مفعولاً ثانياً لجاعلك ، و لأنّ (جاعل) اسم للفاعل لا يعمل اذا كان المعنى دالاً على الماضي و لا يأخذ مفعولاً ، لذا فإنّ من المسلّم أنّه سيكون بمعنى الحال و الاستقبال . أي : يا ابراهيم أنّي سأجعلك إماماً . و لأنّ ابراهيم في هذا الخطاب كان في منصب النبوة ، لذا فإنّ من المسلّم أنّ الإمامة هي غير النبوة . و إضافة الى ذلك فإنّ الخطاب نفسه : (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) كان وحياً من السماء ، و لا يمكن أن يحصل دون وجود منصب النبوة ، لذا فإنّ ابراهيم عليه السلام كان نبياً قبل منصب الإمامة ، و أنّ الإمامة لن تكون هنا بمعنى النبوة .

لقد كانت هذه الإمامة بعد الإبتلاءات التي مرّ بها ابراهيم ، و من جعلتها ذبحه لولده اسماعيل ، و كانت عند كبر ابراهيم و شيخوخته ، فقد مرّ عليه . قبل ان يُرزق أولاداً . الملائكةُ الذاهبون لإهلاك قوم لوط ، و كان ءانذاك نبياً مرسلأ ، و نتيجة لذلك فإنّ إمامته كانت بعد درجة النبوة .

و علّة خطأ هؤلاء المفسّرين كثرة استعمال لفظ الإمام في غير الموارد الصحيحة بتسامحات عرفية ، بحيث حصل التصوّر بأنّه يمكن إطلاق اسم الإمام على كلّ من يمتلك رئاسة أو تفوقاً ؛ و لأنّ النبيّ مطاع و متفوق ، فقد عبّر عنه بالإمام .

لذا فقد فسّر البعض لفظ (إماماً) في هذه الآية المباركة بالنبيّ ، والبعض بالرسول ، و البعض بالمطاع ، و فسّره البعض الآخر بالوصيّ والخليفة و الرئيس و القائد ، و جميعها غير صحيح ، لأنّ معنى (النبيّ) من النبأ ، و النبأ بمعنى الخبر . فالنبيّ هو الذي يخبره الله سبحانه في باطنه ، وهو غير معنى الإمام . كما ان (الرسول) هو المكلف بوظيفة التبليغ ، و لا يستلزم ذلك أن يعتبره الناس قدوة فيتبعونه في الظاهر و الباطن ، أو يسمعون كلامه فيعملون به ، و لذلك فإنّ معنى الرسول هو أيضاً

غير الإمام .

أما (المطاع) فهو الإنسان الذي له من الاحترام و الحيثية بحيث يُطيعه الناس ، و هو من لوازم النبوة و الرسالة و مختلف عن معنى الإمامة .

و أما (ال خليفة) و (الوصي) فمعناها النيابة لا الإمامة ؛ كما أنّ (الرئيس) يُقال للشخص الذي يكون مصدراً للحكم ، و يستلزم ذلك أن يكون مطاعاً ، و ليس لإي منها معنى الإمام .

الإمام من مادة أم يؤمّ ، و هو . كما ذكر . كونه قدوة ، و الامام هو مطلق من يجب على الناس متابعتة و النظر اليه و مشايعته في جميع اثاره في جميع الشؤون ، من الحركة و السكون ، النوم و اليقظة ، الظاهر والباطن ، القول و العمل ، و الأخلاق و الملكات و ...

لذا نرى أنّ هذا المعنى للإمام في هذه الآية المباركة في غاية المناسبة و الحسن ، أن يخاطب الله تعالى ابراهيم فيقول : بعد أن جعلتك في مقام النبوة و الرسالة ، اي في مقام تلقي الوحي السماوي و إبلاغه الى أفراد الإنسان ، فقد جعلتك الآن قدوة يجب ان يتبعوا شؤونها في جميع الجهات .

لكننا لو وضعنا أيّاً من تلك المعاني السابقة المذكورة في مكان الإمام لما صحّ المعنى ، فليس صحيحاً أن نقول : انّي جاعلك . بعد امتلاك مقام النبوة و الرسالة . نبياً أو رسولاً أو خليفة أو وصياً أو رئيساً .

و ينبغي أن يُعلم أيضاً أنّ مخالفة معنى الإمام لمعاني هذه الالفاظ ليس مجرد عناية لفظية و اعتبارات كلامية ، بل هو اختلاف في حقائق معانيها ، ففي معنى الإمام حقيقة لا يمتلكها أي من تلك المعاني .

و لننصرف الآن و قد اتّضح المطلوب الى تفسير الآية المباركة :

وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ .

حيث يُلاحظ هنا أنّ الله تعالى جعل مع كلمة الأئمة صفة تلازمها ، ألا و هي الهداية بأمر الله ،

كما أنّ هذه النكته مشهودة في آية اخرى في قصة سيدنا ابراهيم :

وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ

فَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ كَانُوا لَنَا عِبْدِينَ (7) .

و يُلاحظ هنا أنّه قد ذكر صفة ملازمة لكلمة الأئمة ، أو بعبارة اخرى أنّ جملة (يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)

جملة تفسيرية لمعنى الأئمة . لذا يجب ان يكون للإمامة عنوان الهداية أولاً ، و ان هذه الهداية هي

بأمر الله ثانياً ؛ اي أنّ الامام هو الذي يهدي الناس بأمر الله . و المراد بأمر الله هو الذي ذكر حقيقته

في هذه الآية :

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(8)

و في الآية : وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (9) .

حيث يُستفاد من هذه الآيات أنّ أمر الله واحد لا تعدّد له ، إضافةً الى أنّه ليس له زمان أو مكان ، و ثانياً إنّ أمره هو إرادته ، فبمجرّد إرادته فإنّ الموجود سيرتدي لباس الوجود ، و ذلك نفسه هو ملكوت كلّ موجود . وحين يريد الله إيجاد موجود بأمره ، أي ملكوت ذلك الموجود ، فإنّه يوجد .

و من الجليّ أنّ الأمر هو نفس الجانب الثبوتي مقابل الخلق الذي يمثّل جانب التغيّر و الزوال و الفساد . قال تعالى : أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (10) .

و بناءً على هذا فإنّ الموجودات لها وجهتان : وجهة خلقية ، و هي التي يُشاهد فيها التغيّر و الفساد و التدرّج و الحركة ، و وجهة الأمر التي سيكون فيها الثبات و عدم التغيّر ، و تلك الوجهة الأمرية تسمّى بالملكوت ، و هي حقيقة و واقعية الموجودات ، و التي تقوم بها الوجهة الخلقية . و مع التغيرات و التبدلات المشهودة في هذه الوجهة فإنّ تلك الوجهة لا تتغيّر ولا تتبدّل .

هداية الموجودات على يد الإمام :

و على هذا فإنّ الأئمة الذين يهدون بأمر الله لهم تعامل مع ملكوت الموجودات ، فهم يهدون كلّ موجود الى الله و يوصلونه من وجهته الأمرية . و ليس فقط من وجهته الخلقية . الى كمال الله تعالى . إنّ قلب الموجودات بيد الإمام ، فهو يهديهم الى الله تعالى من جهة السيطرة و الإحاطة بقلوبهم ؛ فالإمام . إذاً . هو الذي يهدي الناس الى الله ، يهديهم بالأمر الملكوتي الموجود و الملازم له دائماً ، و هذه في الحقيقة هي الولاية بحسب الباطن في أرواح و قلوب الموجودات ، نظير ولاية كلّ فرد من أفراد البشر عن طريق باطنه و قلبه بالنسبة الى أعماله ، و هذا هو معنى الإمام .

أما في الآية الشريفة فإنّ الله تعالى يبيّن علّة منح هذا المنصب بهذه الكيفية :
لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَايِتًا يُوْقِنُونَ (11) .

أحدها الصبر في طريق الله ، و المقصود بالصبر بالإستقامة و الثبات في جميع الامتحانات والابتلاءات التي تعرض للعبد في طريق العبودية والوصول الى المراد ، و الآخر أن يكونوا قد وصلوا الى مرحلة اليقين قبل ذلك .

و نرى في آيات من القرآن المجيد أنّها تعدّ علامة اليقين كشف الحجب الملكوتية ، فصاحب اليقين هو الذي يدرك حقائق الموجودات وملكوتها ، و المحجوب هو الذي يغطي قلبه ستار يمنعه من مشاهدة الأنوار الملكوتية ، مثل قوله تعالى :

وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (12) .

و هذه الآية تشير الى أنّ إرادة ملكوت السموات و الأرض كان مقدّمة لإفاضة اليقين على قلب إبراهيم ، و من هنا فإنّ اليقين لن ينفصل عن مشاهدة الانوار الملكوتية .

و كقوله تعالى : كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (13) .

لو كنتم تعلمون كعلم أصحاب اليقين ، لرأيتم الجحيم و لشاهدتم حقيقة جهنم أي ملكوت الأفعال القبيحة و معصية الله و النفس الأمارة .

و كقوله تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (14) .

و يُستفاد من الآيات المتقدمة أنّ المقربين . أي أصحاب اليقين . هم الذين ارتبطوا بالملكوت و بحقائق العالم ، و اجتازت قلوبهم جانب المشاهدة الخلقية ، فلم يعودوا محجوبين عن الله ، لا يحجبهم عنه الحجاب القلبي من المعصية و الجهل و الشكّ و النفاق ، و اولئك هم أصحاب اليقين الذين يرون العلين و الحقائق الملكوتية للأبرار و الأخيار ، كما أنهم يشاهدون الحقيقة الملكوتية للأشرار و أهل المعاصي التي هي (الجحيم) .

و بناءً على هذا فإنّ الإمام و هو الهادي الى أمر ملكوتي ، يجب أن يكون قد وصل حتماً الى مقام اليقين و انكشف له عالم الملكوت ، و صار متحققاً بكلمات الله ؛ و كما ذكر فإنّ الملكوت هو الوجهة الباطنية للموجودات ، لذا فإنّ هذه الآية الشريفة وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (15) تشير بوضوح الى أنّ كلّ ما يتعلّق بأمر الهداية ، أي القلوب و الأعمال ، فإنّ باطنها و حقيقتها بيد الإمام ، و وجهتها الملكوتية و الأمرية حاضرة بمشهد من الإمام لا تخفى عنه لحظة واحدة .

تحقق أميرالمؤمنين بمقام الإمامة و الولاية :

إنّ الألقاب التي منحها رسول الله صلى الله عليه و ءاله لأمرالمؤمنين عليه السلام تدلّ جميعها على حصول أميرالمؤمنين على هذه الدرجة .

فقد روى القندوزي أنّ رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم قال :

يَا عَلِيّ أَنْتَ تَبْرَأُ ذِمَّتِي وَ أَنْتَ خَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي (16) .

و يجب ان نعلم أنّ ابراء الذمة ليس المفهوم منه ان يقوم أميرالمؤمنين بقضاء دَيْن رسول الله بأدائه بعض الدراهم مثلاً ، بل ان المقصود به هو الوفاء بالعهد الذي قطعته الله في أداء الرسالة و إيصال الحقّ الى الناس و هدايتهم الى الله ،

فيا عليّ ! أنت الذي تؤدّي هذا الدين ، أنت الذي عقدت العزم على إنجاز هذا الأمر ، فأنت تتعامل بواسطة نفسك القدسية مع قلوب و أرواح الناس من الباطن و مع أفعالهم و أقوالهم في الظاهر .

و نظير هذا المعنى الروايات الدالة على : يَا عَلِيّ أَنْتَ تَقْضِي دَيْنِي ؛ وهذه المجموعة من الروايات كثيرة أيضاً .

يروى ابن الجوزي باسناده عن أحمد بن حنبل ، بسنده المتّصل عن أنس يقول :

قلنا لسلمان الفارسي : سلّ رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلّم مَنْ وصيّهُ ؟

فسأل سلمان رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم ، فقال : مَنْ كَانَ وَصِيَّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ؟
فقال : يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، قال : إِنَّ وَصِيَّيَّ وَوَارِثِيَّ وَمُنْجَزَ وَعْدِي عَلَيَّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
ثم يقول : و الحديث الذي ذكرناه رواه أحمد في الفضائل و ليس في اسناده ابن زياد و لا هذه
الزيادة ، فذاك حديث و هذا حديث (17) .

حديث أنس في ولاية أمير المؤمنين :

يروى أبو نعيم الحافظ الاصفهاني و شيخ الاسلام الحموي عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : يَا أَنَسُ ! اسْكُبْ لِي وُضُوءًا ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ
. ثُمَّ قَالَ : يَا أَنَسُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَ قَائِدُ الْغُرِّ
الْمُحَجَّلِينَ ، وَ خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ .
قال أنس : قُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَ كَتَمْتُهُ ، إِذْ جَاءَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا يَا أَنَسُ ؟
فَقُلْتُ : عَلَيَّ ، فَقَامَ مُسْتَبْشِرًا فَاعْتَنَقَهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عِرْقَ وَجْهِهِ بِوَجْهِهِ ، وَ يَمْسَحُ عِرْقَ عَلَيَّ
بِوَجْهِهِ .

قال : عَلَيَّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُكَ صَنَعْتَ شَيْئًا مَا صَنَعْتَ بِي مِنْ قَبْلُ .
قال : وَ مَا يَمْنَعُنِي وَ أَنْتَ تُؤَدِّي عَنِّي ، وَ تُسْمِعُهُمْ صَوْتِي ، وَ تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَعْدِي (18)

و يروى أبو نعيم الحافظ بسنده عن أبي برزة الأسلمي قال :
قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَهْدَ إِلَيَّ عَهْدًا فِي عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا
رَبِّ بَيِّنْهُ لِي .

فَقَالَ : اسْمَعْ ! فَقُلْتُ : سَمِعْتُ ! فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا رَايَةُ الْهُدَى ، وَ إِمَامُ أَوْلِيَائِي ، وَ نُورٌ مَنْ أَطَاعَنِي
، وَ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ (19) ، مَنْ أَحَبَّهُ أَحَبَّنِي ، وَ مَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي ، فَبَشَّرَهُ بِذَلِكَ ،
فَجَاءَ عَلَيَّ فَبَشَّرْتُهُ ،

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَ فِي قَبْضَتِهِ ، فَإِنَّ يُعَذِّبُنِي فَيَذْنِبِي ، وَ إِنْ يُتِمَّ لِي الَّذِي بَشَّرْتَنِي
بِهِ ، فَاللَّهُ أَوْلَى بِي .

قال صلى الله عليه [وآله] و سلم : اللَّهُمَّ اجْعَلْ قَلْبَهُ ، وَ اجْعَلْ (20) رِبْعَهُ الْإِيمَانَ .
فقال الله [تبارك و تعالى] : قَدْ فَعَلْتُ بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَ إِلَيَّ أَنَّهُ سَيُخْصَهُ بِالْبَلَاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَخْصْ
بِهِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي .

فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ! أَخِي وَ صَاحِبِي .

فَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ هَذَا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ ، إِنَّهُ مُبْتَلَى وَ مُبْتَلَى بِهِ (21) .

مَكْرُ قَرِيْشٍ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

يروى القندوزي الحنفي عن كتاب (المناقب) للموفق بن أحمد الخوارزمي ، و الحموي باسناده عن أبي عثمان النهدي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَدِيقَةٍ فَأَعْتَقَنِي وَ أَجْهَشَ بَاكِياً ، فَقُلْتُ : مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : أَبْكِي لِضَعَائِنَ فِي صُدُورِ قَوْمٍ لَا يُبْدُونَهَا لَكَ إِلَّا بَعْدِي . فَقُلْتُ : فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي ؟ (أي غير مُبْتَلٍ بهوى النفس ، فأرجح في انتقامي منهم هوى نفسي و الرئاسة على رضا الله ، و هل سأكون على هذا النهج و الصراط المستقيم؟) فَقَالَ : فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ (22) .

و روى في ديوانه أشعاراً له عليه السلام ، قال : و في ديوانه كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

تَلَكُمُ قُرَيْشٌ تَمَانِي لَتَقْتُلَنِي

فَلَا وَ رَبِّكَ مَا بَرَّوْا وَ لَا ظَفَرُوا

إِمَّا بَقِيْتُ فَإِنِّي لَسْتُ مَتَّخِذاً

أَهْلاً وَ لَا شِيعَةً فِي الدِّينِ إِذْ فَجَرُوا

قَدْ بَايَعُونِي فَلَمْ يُؤْفُوا بِبَيْعَتِهِمْ

وَ مَا كَرُونِي فِي الْأَعْدَاءِ إِذْ مَكَّرُوا (23) .

تعليقات:

(1) الآية 24 ، من السورة 32 : السجدة .

(2) الآية 124 ، من السورة 2 : البقرة .

(3) الآية 39 ، من السورة 14 : ابراهيم .

(4) الآية 51 . 55 ، من السورة 15 : الحجر .

(5) الآية 71 . 73 ، من السورة 11 : هود .

(6) الآية 64 ، من السورة 4 : النساء .

(7) الآية 72 و 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .

(8) الآية 82 و 83 ، من السورة 36 : يس .

(9) الآية 50 ، من السورة 54 : القمر .

(10) الآية 54 ، من السورة 7 : الأعراف .

(11) الآية 24 ، من السورة 32 : السجدة .

(12) الآية 75 ، من السورة 6 : الأنعام .

- (13) الآية 5 و 6 ، من السورة 102 : التكاثر .
- (14) الآية 18 . 21 ، من السورة 83 : المطففين .
- (15) الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .
- (16) ينابيع المودة) ، ص . 248
- (17) تذكرة الخواص) ، ص . 26
- (18) حلية الأولياء) ، ج 1 ، ص 63 ؛ و (فرائد السمطين) ج 1 ، ص 145 و (مطالب السؤل) ، ص 21 عن الحافظ أبي نعيم في حليته ؛ و أورده كذلك في (غاية المرام) ، ص 16 ، الا أنه ينقله في ص 18 عن ابن شاذان عن طريق العامة باسناده عن أنس باختلاف في التعبير ، و يقول في ذيله : أنت مني تؤدّي عني و تؤدّي ديني وتبّغ رسالاتي . فقال علي عليه السلام : يا رسول الله ! أما أنت تبّغ الرسالة ؟ قال : بلى ولكن تعلّم الناس من بعدي من تأويل القرءان ما لا يعلمون و تخبرهم بذلك . و سنبحت هذا الحديث بالتفصيل في المجلّد الثاني من (معرفة الإمام) .
- (19) إشارة للآية الكريمة 26 في سورة الفتح : (وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) .
- (20) و ورد في (مطالب السؤل) بلفظ (و جعله ربيع الإيمان) .
- (21) حلية الأولياء) ، ج 1 ، ص 66 و 67 ؛ و نقلها في (مطالب السؤل) ص 21 عن حلية الأولياء .
- (22) ينابيع المودة) ، ص . 134
- (23) ينابيع المودة) ، ص . 135
- (23) ينابيع المودة) ، ص . 135

الدرس الثامن: الولاية التكوينية للإمام بإذن الله على نفوس السعداء و الأشقياء

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ءَالِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَ مَنْ

كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا (1) .

انّ كلّ موجود من الموجودات الخارجيّة ، و حتّى أفعال الإنسان ، له وجهتان ، وجهة ظاهريّة

مشهودة و محسوسة تُدعى بالوجهة الخلقية والملكية ، و وجهة باطنية غير مشهودة و لا محسوسة

تُدعى بالوجهة الأمرية و الملكوتية .

و الوجهة الملكوتية و الأمرية هي التي تظهر بواسطتها الوجهة الخلقية و الملكية ، مثل إرادة

الانسان التي يقوم بواسطتها بفعل الأفعال في الخارج .

و الإمام هو الذي يستطيع هداية البشر الى الله من الوجهة الملكوتية ، و تلك هي الهداية بالأمر و

ليست زمانية و لا مكانية .

و الآية الشريفة :

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (2)

تعرف اولئك الأفراد .

و تشير هذه الآية انّ كلّ ما يرتبط بأمر الهداية ، أي القلب و العمل ، فانّ باطنه و حقيقته بيد

الإمام ، و ذلك الباطن و الحقيقة . و هي الوجهة الأمرية لتلك الأمور . حاضر دوماً عند الإمام لا يغيب

عنه . و هذا المقام يستلزم الاطلاع على أسرار الملكوت الذي سيكون اليقين من لوازمه . وبناءً على

هذا فانّ مقام الإمامة أشرف من النبوة .

مقام الإمامة أشرف من النبوة :

ورد في (الكافي) عن الامام الصادق عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا ، وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا

، وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا ، وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا ، فَلَمَّا جَمَعَ

لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ : إِنِّي جَاءْتُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا .

قَالَ : فَمِنْ عِظْمِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي ؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ .

قَالَ : لَا يَكُونُ السَّقِيَّةُ إِمَامَ النَّقِيِّ (3) .

و ذلك لأن معنى النبوة اتصال القلب بعالم الملكوت ، و تلقى الوحي من جبرئيل ، و هذا المعنى أقوى في الرسول ، كما أنه سيكون هناك أيضاً مشاهدة الملائكة و ملائكة الوحي ، لكنه يمكن في نفس الوقت ان لا يكون لكلّ منهم سيطرة على ملكوت بني آدم أو إحاطة بالقلوب ليسيروا بهم الى الكمال و الى مقامهم الواقعي ،

فمقام الأنبياء و المؤمنين و العلماء هو مقام الإرشاد و التبليغ و إراءة الطريق فقط .

قال الله تعالى : وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ (4) .

و تبين هذه الآية دائرة مأموريتهم ، و هي مجرد البيان و الدلالة على الطريق ، و إمّا الإضلال و الهداية فهي بيد الله تعالى و ليس بيد الأنبياء منها شيء ، خلافاً للإمام الذي يهدي نفسه بإذن الله .

يقول في هذا الشأن : وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (5) .

و قال أيضاً : فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (6) .

نعم هذا كله دلالة على الطريق و ليس منصباً للإمامة .

معنى الإمام :

و بناءً على هذا فإن أقوال و أحاديث الفقهاء هي فقط من باب نقل الرواية و بيان الحكم ، لا من جهة حجية الرأي و الفعل و القول ؛ و من الخطأ أن يُطلق عليهم إسم الإمام . فالإمام هو الذي صار له . بوصوله الى مقام اليقين و كشف الملكوت . الهيمنة على عالم الأمر ، و صار باطن الأفعال مكشوفاً له ، و صار بإمكانه . بسيطرته على الباطن . أن يهدي القلوب الى المقاصد و الغايات . و الأمر هو الإذن الذي تصدر المعجزة بواسطته من الأنبياء العظام ، فأحيوا به الموتى و قاموا بالأعمال الخارقة للعادة .

لقد قال عيسى بن مريم ، على نبينا و ءاله و عليه السلام ، لبني اسرائيل :

أَنْتِي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنْتِي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (7) .

ففي هذه الآيات تعدّ خوارق العادات المنسوبة الى عيسى بن مريم منوطة بإذن الله تعالى ، و لإن إذن الله ليس إجازة و أمراً اعتبارياً و ترخيصاً خارجاً عن الملكوت ، لذا فقد اعطي عيسى بن مريم قوة التصرف في أمر الملكوت ، بحيث يتصرف في ملكوت الأشياء بإرادته الملكوتية ، و بحيث يستطيع تغيير ماهية الأشياء ، فصار يُحيي الموتى و يُبرئ الأبرص و الأعمى دون أسباب و دون إعداد المقدمات في الخارج .

يجب أن يكون لدى الإمام قوّة ملكوتيّة في الأمور :

و ينبغي ان يوجد لدى الأئمة عليهم السلام هذه القوّة حتماً ، ليكونوا قدوةً للبشر من جانب الظاهر و الباطن ، و ليقودوا الأمة الى كمال التكوين والتشريع .

و الأئمة الأطهار لا يهدون فقط الأفراد الصالحين فيوصلونهم الى كمالهم ، بل انهم يهدون الأشقياء و أصحاب الأعمال السيئة أيضاً ويوصلونهم الى كمالهم .

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا (8) .

و هذه الآية تبيّن أولاً انّ الناس جميعاً في كلّ زمان و مكان يمتلكون إماماً ، و ذلك لأنّ الآية تقول على نحو الإطلاق و العموم بأننا سندعوا جميع افراد البشر يوم القيامة بإمامهم ، لذا فإنّ هناك إماماً في كلّ زمان و مكان هو مرّي أمته ، و بواسطته يدخل السعداء الجنّة ، و الأشقياء النار ، فهناك فئة من الأئمة هم أصحاب اليمين ، أي أهل السعادة ، و فئة أخرى عمي و هم أصحاب الشقاء ، و المراد بهذه الفئة أصحاب الشمال ، حيث صرّحت بذلك بعض آيات القرآن :

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (9) .

وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (10) .

و هاتان الفئتان هما أصحاب اليمين و أصحاب الشمال الموجودون في كلّ مجتمع من المجتمعات ، والذين سيصلون الى هذه المراحل بواسطة إمامهم ،لذا فإنّ المراد بهاتين الفئتين جميع افراد الأئمة باستثناء الإمام . أمّا اذا أردنا أن نقسم البشر بحيث يكون الامام ضمنهم ،فانّ علينا بتقريب آخر أن نقسم الناس الى ثلاثة أقسام :

الجماعة الاولى : المقربون .

و الثانية : أهل السعادة و أصحاب اليمين .

و الثالثة : أهل الشقاء و أصحاب الشمال .

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّبِقُونَ السَّبِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ (11) .

هؤلاء الذين سبقوا في السير الى الله ، اولئك المقربون من ساحة الله تعالى ، والذين تخطوا الحساب و الكتاب و العرض والسؤال و الميزان والصراط و جهنّم ، فصاروا من المقربين الى الله ، و اختاروا السكنى في حرم الأمن و الأمان الالهيّ .

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (12) .

و هؤلاء هم الذين اجتازوا هذه العقبات في الدنيا ؛ و في الوقت الذي كان البشر فيه منهمكين في شهواتهم النفسانية ، كان المقربون مشغولين في تصفية حساباتهم ، و كانوا يناجون ربهم سرّاً و علانيّة ، و سيكون الأئمة عليهم السلام بالتأكيد ضمن هذه الفئة .

أمّا أصحاب اليمين فهم الصالحون الذين كانت أعمالهم موافقة للعقل و لأمر الإمام ، فلا يبتعدون

عن الحقّ و الصدق و الأمان و العبادة و الكسب و الأعمال الحسنة ، لذا فإنّ هؤلاء هم أهل الجنّة الذين سيُعطون كتاب أعمالهم بيمينهم كناية عن السعادة و الفوز و النجاة ، ولكن باعتبار أنّهم لا يزالون محجوبين بالحجب القلبيةّ ، فلم يتمكّنوا أن ينسوا غير الخالق بشكل كامل ، و أن يطأوا بأقدامهم على عالم الباطل و زينة الدنيا الخادعة ، فإنّهم يجب أن يُحاسبوا ، كما أنّ مقامهم و منزلهم ليس مقام و محلّ المقرّبين .

أمّا أصحاب الشمال فهم الذين لم يعملوا وفق أوامر العقل و الأنبياء ، فواجهوهم و لم يتورّعوا عن ظلم أنفسهم ، و هؤلاء هم أهل الفسق و الفجور و الخيانة و الكذب و الجنائية ، و بالطبع فإنّهم سيُعطون كتابهم بشمالهم كناية عن العذاب و الظلمة و الشقاء و جهنّم .

و لأنّ ظهور و بروز هذه الخيرات و البركات في المؤمنين ، و هذا الفجور و الخيانات في الفاسقين قد كان بسبب ظهور ولاية الإمام ، لذا فإنّ جميع افراد الأمّة يذهبون بواسطة إمامهم الى الجنّة أو الى جهنّم .

لذا فقد ورد في روايات كثيرة : عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ (13) . و هذه الروايات لم ترد عن طريق أهل البيت عليهم السلام فقط ، بل أنّه قد روي عن طريق العامّة أيضاً روايات من هذا القبيل . و سنأتي بثلاث معانٍ لهذه الروايات هيا لآخرى مترتّبة على أحدها الآخر ، أياننا سنفسرها في ثلاث مراحل متفاوتة من وجهة نظر ظهورها و خفائها .

معنى الروايات الواردة في أنّ عليّاً قسيم الجنّة و النار :

الأول من وجهة نظر العمل ، و هو أنّ أمير المؤمنين كان له مقام الولاية و الإمامة من قبل الله ، و فعله و قوله حجّة ، أي ان جميع أفراد البشر يجب أن يقتدوا به في جميع شؤون حياتهم . و بناءً على ذلك ، فإنّ كلّ من يتبعه سيكون حقّاً من أهل الصدق و الصفاء و العبادة و التسليم و الجهاد و الجود و الإيثار ، و من الواضح أنّ شخصاً كهذا هو من أهل الجنّة ، و ذلك لأنّ الجنّة هي ظهور الأفعال و الملكات الحميدة في العوالم الأخرى ، و كلّ من يرفض دعوته عليه السلام و لا يقتدي بسيرته ، و ينصرف الى الكذب و الخيانة و التطفيف في الميزان و أكل الربا و التكاثر في الأموال و عبادة الشهوة و السعي وراء المنفعة و اتباع الهوى و الإعراض عن ذكر الله ، فإنّ من المسلّم أنّه سيكون من أهل النار ، لأنّ جهنّم هي ظهور الملكات و الأفعال القبيحة في تلك العوالم .

و ما أوجب تفرّق هاتين الفئتين و انفصالهما عن بعضهما هو أمر ونهي مقام الولاية ، الذي قبلته فئة و رفضته أخرى . لذا فإنّه سيكون قسيم الجنّة و النار ، شأنه شأن معلّم يرّي تلاميذه و يعلمهم الدروس ، فهناك فئة من التلاميذ يجدّون و يسعون فيتعلمون تلك الدروس ، و فئة أخرى تتكاسل و تأبى التعلّم ، فيقوم المعلّم بإنجاح الفئة الاولى و بإفشال و إبقاء الفئة الأخرى في مكانها السابق ، و كما أنّ من الصحيح أن نقول أنّ المعلّم رفع فئة الى مقام أعلى و حبس أخرى في مكانها السابق ، فإنّ من

الصحيح كذلك أن نقول : عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ .

الثانى : من وجهة نظر الحبِّ و البُغضِ ، لأنَّ نتيجة روح العمل هي المحبَّة ، لذا فإنَّ الذين يفتقرون هذه المحبَّة ، بل اولئك الذين يريون . والعياذ بالله . بُغضه (عليه السلام) في قلوبهم ، هم في غاية البعد عن الحقيقة و الواقع ، فالذي يحبُّ شيئاً سيكون مسلماً أن يحبَّ اثاره أيضاً ، والذين يحبُّون أميرالمؤمنين سيحبُّون أفعاله و أقواله و سيرته ، و ستكون لهم محبَّة لهذه الأثار . و على العكس فإنَّ أعداءه و مُبغضيه سيُبغضون سيرته و سنَّته ، لذا فإنَّ أعمالهم ستكون طبعاً أعمالاً خسنة و سيئة .

و لأنَّ الأفعال الحسنة تُوجد المحبة و الصفاء و النور في الإنسان ، كما ان الافعال القبيحة توجد ظلمة القلب و قساوته ، فإنَّ محبِّي أميرالمؤمنين . بناءً على ذلك . هم طبعاً أصحاب الحقيقة و الصفاء و المحبَّة ، قلوبهم أطيب و اكثر نوراً ، و أنفسهم أخفَّ ، بينما أعداء أميرالمؤمنين هم بالطبع بعيدون عن الحقيقة و الصفاء ، قلوبهم مظلمة و أنفسهم مُتعبة و ثقيلة وأرواحهم مُدنَّسة .

و لأنَّ نتيجة الأعمال الحسنة هي ذلك الصفاء و النورانية و المحبَّة لله ، كما ان نتيجة الأعمال القبيحة هي الظلمة و القساوة و الإعراض عن الله ، لذا فإنَّ أميرالمؤمنين بسبب تقسيم الناس الى فئتين محبِّ و مُبغض قد قسمهم الى فئتين : .هل الجنَّة و أهل النار .

يروى القندوزي الحنفي عن أبي الصلت الهروي قال : قال المأمون لعليّ [بن موسى] الرضا عليه السلام : أخبرني عن جدِّك أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بأيّ وجه هو قسيم الجنَّة و النار ؟

فقال له الرضا : ألم ترو عن ءابائك عن عبدالله بن عباس انه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ يَقُولُ : حُبُّ عَلِيٍّ إِيْمَانٌ وَ بُغْضُهُ كُفْرٌ .

فقال : بلى .

فقال الرضا عليه السلام : فقسمة الجنَّة و النار إذا كانت على حبه و بُغضه فهو قسيم الجنَّة و النار .

فقال المأمون : لا أَبْقَانِي اللَّهُ بَعْدَكَ إِنَّكَ وَارِثُ جَدِّكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سَلَّمَ .

قال أبوالصلت الهروي : فلمَّا انصرف الرضا عليه السلام الى منزله أتَيْتُهُ ، فقلتُ له :

يا بن رسول الله صلى الله عليه وءاله ، ما أحسنَ ما أُجبتَ به أميرالمؤمنين !

فقال الرضا عليه السلام : يا أباالصلت ! إنّما كَلَّمْتُهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ ،

وَ لَقَدْ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ ءَابَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

و ءاله : يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ : هَذَا لِي وَ هَذَا لَكَ (14) .

كما يروى الخوارزمي الموفق بن أحمد المكي باسناده عن نافع ، عن ابن عمر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سَلَّمَ لِعَلِيٍّ : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوتَى بِكَ يَا عَلِيُّ بِسَرِيرٍ

مِنْ نُورٍ ، وَ عَلَى رَأْسِكَ تَاجٌ ، قَدْ أَضَاءَ نُورُهُ وَ كَادَ يَخْطَفُ أَبْصَارَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ ، فَيَأْتِي النَّدَاءُ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ : أَيَنْ وَصِيٍّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ؟

فَنَقُولُ : هَا أَنَاذَا !

فَيُنَادِي الْمُنَادِي : أَدْخِلْ مَنْ أَحَبَّكَ الْجَنَّةَ وَ أَدْخِلْ مَنْ عَادَاكَ فِي النَّارِ فَأَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ (15)

كما يروي ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن مسعود قال :

قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] و سَلَّمَ : يَا عَلِيُّ إِنَّكَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، أَنْتَ تَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَ تَدْخُلُهَا أَحِبَّاءَكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ (16) .

معنى الوسيلة :

و يروي الحموي في (فرائد السمطين) عن أبي سعيد الخدري قال :

كان رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] و سَلَّمَ يقول : اذا سألتم الله عَزَّوَجَلَّ فاسألوه لي الوسيلة (17) ، فسئَل عنها فقال : هي درجة في الجنة ، و هي ألف مرقة ، ما بين المرقة الى المرقة بسير الفرس الجواد شهراً ، مرقة زبرجد الى مرقة لؤلؤ الى مرقة ياقوت الى مرقة زمرد الى مرقة مرجان الى مرقة كافر الى مرقة عنبر الى مرقة يلجوج الى مرقة نور ، و هكذا من أنواع الجواهر ، فهي في بين درجات النبيين كالقمر بين الكواكب ، فينادي المنادي : هذه درجة محمد خاتم الأنبياء ، و أنا يومئذٍ متزَّر بريطة من نور ، على رأسي تاج الرسالة و إكليل الكرامة ، و عليّ بن أبي طالب أمامي و بيده لوائي و هو لواء الحمد مكتوبٌ عليه : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ ، وَ أَوْلِيَاءُ عَلِيٍّ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ بِاللَّهِ ، حتى اصعد أعلى درجة منها و عليّ أسفل مني بدرجة و بيده لوائي ، فلا يبقى يومئذٍ رسولٌ و نبيٌّ و لا صديقٌ و لا شهيدٌ و لا مؤمنٌ الا رفعوا أعينهم ينظرون الينا و يقولون : طوبى لهذين العبدین ، ما أكرمهما الله عليّ ، فينادي المنادي يسمع نداءه جميعُ الخلائق :

هذا حبيب الله محمدٌ و هذا وليّ الله عليّ ، فيأتي رضوان خازن الجنة فيقول : أمرني ربّي أن آتيتك بمفاتيح الجنة فأدفعها اليك يا رسول الله ، فأقبلها أنا فأدفعها الى أخي عليّ ، ثم يأتي مالك خازن النار فيقول : أمرني ربّي أن آتيتك بمقاليد النار فأدفعها اليك يا رسول الله ، فأقبلها أنا فأدفعها الى أخي عليّ ، فيقف عليّ على عجرة جهنّم و يأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها و اشتدّ حرّها ، فتنادي جهنّم : يا عليّ ذرني فقد أطفأ نورك لهبي ! فيقول لها عليّ : ذري هذا وليّي و خُذي هذا عدويّ ، فلجهنّم يومئذٍ أشدّ مطاوعة لعليّ فيما يأمرها به مِنْ رِقِّ أَحَدِكُمْ لِمُصَاحِبِهِ ، و لذلك كَانَ عَلِيٌّ قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ (18) .

ثالثاً : من وجهة نظر اشعاع نور الولاية و ظهور الحقائق و المخفيات و بروز القابليات ، و هذه المرحلة تحتاج الى الدقة و التأمل ؛ و لإيضاح هذه المرحلة نذكر مقدّمة بعنوان مثال و شاهد :

من المعلوم و المشهود أنّ الشمس تبتعد في فصل الشتاء عن الارض ، فتفقد الارض بعض حرارتها ، و تفقد جميع آثارها و تجلياتها ، إذ تصبح كئيبةً باردة و تفقد آثارها الحياتية فليس فيها ظهور لخواص الموجودات او آثارها ، فالأشجار يابسة لا ورق فيها و لا ثمر ، كأنها أخشاب يابسة مغروسة في الأرض ، تقف اشجار التفاح و الكمثرى والرمان و المشمش و الجوز و الاشجار غير المثمرة كلّها سواءً و في رديف واحد ، لا يميّزها عن بعضها شيء ، إذ ليس فيها من ظهور أو فعلية ، كما أنّ قابلياتها الكامنة غير مرئية ، لذا فإنّها تقف في منزلة واحدة و تُعدّ أخشاباً يابسة لا ضرر و لا نفع لها

كما ان الأوراد و الشقائق ذابلة كلّها و منكمشة بلا أثر ، فلا ورد الياس و الرازقي يفوح بالعطر ، و لا النباتات ذات الرائحة الكريهة تبعث برائحتها ؛ لا طراوة هناك في الوردة الحمراء ، و لا أوراد الدفلى ذات الرائحة النفاذة لها أثر من ذلك .

البلابل و طيور الكناري و طيور الزاغ و العُقبان قد انسحبت الى أعشاشها و أوكارها ، و الأفاعي و العقارب قد سبتت و رقدت هي الاخرى مع الطيور البديعة الرائعة و تهاوت في جحورها و أعشاشها متناقلة بلا حسّ .

و ما ان تقترب الشمس بأشعتها التي تغمر العالم مع حلول الربيع ، و تُرسل الى الأرض بأشعتها الباعثة على النشاط و الحياة ، فإنّ تلك القابليات الكامنة ستصل الى مرحلة الفعلية ، فتبدأ شجرة التفاح بإرسال أغصانها وأوراقها و ثمارها الحلوة الحمراء المعطرة مزينةً جوّ الحديقة ، ويظهر من شجرة الكمثرى هذه الفاكهة الخاصة ، و تُعلن شجرة المشمش بمنظرها الزاهي المحبّب و ثمارها الصفراء العطرة اللذيذة ميزتها الوجودية عن سائر ما يجاورها في الحديقة .

كما انّ الاشجار غير المثمرة و الاشجار ذات الثمار المرّة أو الفجة الحامضة و الضارة مثل بعض اشجار الغابات ستُعلن عن تفاهة شخصيتها وأثرها ، و تطأطأء رؤسها أمام الأشجار الاخرى فليس لها بُعدٌ من مجالٍ للغرور و الاستكبار و التعالي .

كما ان الطيور و البلابل ستتسغل و تنهك بالتغريد في فضاء الحقائق ، بينما تحلّق طيور الزاغ و العُقبان باحثّة عن الجيف ، و تظهر الأفاعي والجرذان و العقارب و تُعلن عن وجودها متحرّكةً بين الصخور والأنهار .

و كلّ ذلك بتأثير أشعة الشمس و ظهور دفئها الباعث على الحياة والنشاط ، فحين تبرز الشمس فإنّ كلّ موجود يُظهر قابليته و يُبرز مراحلها الكامنة ، بينما لم يكن هناك فرق بين الموجودات قبل طلوع الشمس و قبل بزوغ اشعاعها .

و هكذا الأمر بالنسبة الى شمس الولاية ، فقبل أن تطلع و تشرق على القلوب و الأفئدة ، و قبل أن تأمر و تنتهى ، فإنّ البشر سيعيشون في مستوى واحد ، فلا تفاوت بين الشقيّ و السعيد ، و لا بين أهل الجنة و النار ، و لا بين مؤمن و كافر ، و لا بين عادل و فاسق ، و لا بين محبّ و مُبغض ، و لا بين موحدّ و مُشرك :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَ حِدَةً (19) .

كانوا كلّهم في مستوى واحد ، و ما أكثر ما كان يحصل ان يعدّ الأشقياء أنفسهم أفضل من السعداء و يفتخرون بذلك ؛ ولكن ما ان طلعت شمس الولاية و أشرقت على الأرواح الكئيبة ، حتّى بعثت الحركة و النشاط في النفوس و أظهرت غرائز و سرائر و ضمائر كلّ إنسان ، فطووا باختيارهم طريق السعادة فأوصلوا كلّ القابليات النورانية الى مرحلة الفعلية ؛ أمّا الأشقياء فإنّ خُبث السريرة سيظهر بسبب تمردهم و إنكارهم و جحودهم القلبيّ ، و ستظهر الآثار القبيحة السيئة لهم في مرحلة الفعل و القول .

و هكذا فإنّ أصحاب الفطرة السليمة سيتراصّون في صفوف العبودية ، و سيمثلون الدنيا تواضعاً و

إنفاقاً و إيتاراً و رحمةً و إنصافاً وترحمًا على الأيتام و صدقاً و صفاءً و عدلاً و توحيداً .
أما أصحاب الفطرة السيئة فأنهم سيشكلون صفوف الفجور والفسق ، فيملأون الدنيا خيانةً و قبحاً و
قساوةً و اغتصاباً للحقوق و الأموال ، و كذباً و ظلماً و شركاً :

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (20) .
و بعبارة أخرى فلأنَّ الإمام هو روح القرآن و حقيقته ، و كما أنَّ القرآن شفاء و نور و رحمة
للمؤمنين ، و سببٌ لرفقيهم و كمالهم ، بينما هو في الوقت نفسه ظلمة و خسران و وبال للظالمين و
سببٌ لزيادة قسوتهم و ظلمهم ، فإنَّ وجود الإمام عليه السلام له هذا الأثر و الخاصية أيضاً .

وَ نُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (21) .
إنَّ الآيات القرآنية تُقرأ على المؤمن و توجب رفع مقامه و منزلته بناءً على تقبُّل قلبه و خضوعه و
خشوعه و ازدياد إيمانه و توكله ، لكنَّها عندما تُقرأ على الكافر فإنَّها ستسبب زيادة ظلمته و خسرانه
بسبب جحود قلبه و إنكاره و تمرده .

حين تشرق شمس الولاية على قلوب المؤمنين كمصباح منير ، فإنَّهم سيفيدون من تلك الحرارة و
النور ، و سيتصاعد العطر المنعش من أرواحهم و أسرارهم فيعطر فضاء عالم الإنسانية ، أما قلوب
الكافرين فتصبح متعبة كدرة ، و ستزكم رائحة التعفن الكامنة فيهم أنوف الإنسانية ، وتسبب الملل و
الضجر للعقل و الحق .

إنَّ الامام سيظهر ، من وجهة نظر ملكوت البشر و قلوبهم ، كلَّ استعداد فيهم و يوصله الى
مقاصده ، فيوصل المؤمنين الى الجنة و يُرسل الكافرين الى النار ، و يحرك كل موجود من وجهة نظر
ملكوته في طريق و صراط يتناسب معه .

ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (22) .
إنَّ لكل فرد من المؤمنين مقاماً معلوماً في الجنة ، كما أنَّ هناك لكل كافر مكاناً معلوماً في النار ،
و الوصول الى هذه الغاية يتم بواسطة الامام الذي يهدي كل شخص في مسيره و هدفه من وجهة نظر
التكوين ؛ أما من وجهة نظر التشريع ، و بسبب القبول و الرفض الذي يجعل الكافرين والمؤمنين في
صفتين متقابلين مختلفين ، فإنَّه سيقود كلاً منهما الى كمال استعداده .

و بناء على ذلك ، فما أجمل قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ مَا أَرُوهُ حِينَ قَالَ :
عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

يقول ابن شهر آشوب : شريك القاضي و عبدالله بن حماد الأنصاري قال كل واحد منهما :
حضرتُ الأعمش في علته التي قبض فيها و عنده ابن شبرمة ، و ابن أبي ليلى و أبوحنيفة ، فقال
أبوحنيفة : يا أبا محمد [يخاطب الأعمش] اتق الله و انظر لنفسك فانك في آخر يوم من أيام الدنيا و
أول يوم من أيام الآخرة ، و قد كنت تحدث في عليٍّ بأحاديث لو ثبتت عنها كان خيراً لك .

قال الأعمش : مثل ماذا ؟

قال : مثل حديث عباية الأسدي : إِنَّ عَلِيًّا قَسِيمُ النَّارِ .

قال (الأعمش) : أقعدوني و سَدُونِي ! و حَدَّثَنِي . وَالَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرِي . موسى بن طريف إمام بني أسد عن عباية بن ربيعي امام الحي قال : سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : أَنَا قَسِيمُ النَّارِ أَقُولُ هَذَا وَلِيِّي دَعِيهِ وَهَذَا عَدُوِّي خُذِيهِ .

و حَدَّثَنِي أَبُو الْمُتَوَكَّلِ النَّاجِي فِي امْرَةِ الْحَجَّاجِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ، فَأَقْعُدُ أَنَا وَ عَلِيٌّ عَلَى الصَّرَاطِ وَ يُقَالُ لَنَا : أَدْخِلَا الْجَنَّةَ مَنْ ءَامَنَ بِي وَ أَحَبَّكُمَا وَ أَدْخِلَا النَّارَ مَنْ كَفَرَ بِي وَ أَبْغَضَكُمَا .
(و فِي لَفْظٍ : أَلْقِيَا فِي النَّارِ مِنْ أَبْغَضَكُمَا وَ أَدْخِلَا الْجَنَّةَ مَنْ أَحَبَّكُمَا) .

و حَدَّثَنِي أَبُو وَايِلَ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ عَلِيًّا أَنْ يُقَسِّمَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ ، فَيَقُولُ لِلنَّارِ خُذِي ذَا عَدُوِّي وَ ذُرِّي ذَا وَلِيِّي .
قال : فجعل أبو حنيفة ازاره على رأسه و قال : قوموا بنا لا يجيء أبو محمد بأعظم من هذا (23) .
يقول القندوزي ، أخرج الدار قطني في كتاب (جواهر العقدين) عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني قال : إِنَّ عَلِيًّا قَالَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِي الشُّورَى ، وَ فِيهِ أَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِ الشُّورَى : فَأَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ : أَنْتَ قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ غَيْرِي ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا (24) .

و قد أنشد السيد الحميري في هذا الأمر قصائد كثيرة مثل :

قَسِيمُ النَّارِ هَذَا لِي
فَكُفِّي عَنْهُ لَا يَضُرُّ
وَ هَذَا لَكَ يَا نَارُ

فَحُوزِي الْفَاجِرَ الْأَكْبَرَ (25)

و يقول أيضاً :

ذَلِكَ قَسِيمُ النَّارِ مِنْ قَبِيلِهِ

خُذِي عَدُوِّي وَ ذُرِّي نَاصِرِي

ذَلِكَ عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ

صِهْرُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الطَّاهِرِ (26)

و (27) يقول :

عَلِيٌّ وَلِيُّ الْحَوْضِ وَ الذَّائِدُ الَّذِي

يَدْبِبُ عَنْ أَرْجَائِهِ كُلِّ مُجْرِمٍ

عَلِيٌّ قَسِيمُ النَّارِ مِنْ قَوْلِهِ لَهَا

ذُرِّي ذَا وَ هَذَا فَاشْرَبِي مِنْهُ وَاطْعَمِي

خُذِي بِالشُّوَى مِمَّنْ يُصِيبُكَ مِنْهُمْ

وَلَا تُقْرَبِي مَنْ كَانَ حَزْبِي فَنَظْمِي (28)

و يقول دعل الخزاعي :

قَسِيمُ الْجَحِيمِ فَهَذَا لَهُ
وَ هَذَا لَهَا باعْتِدَالِ الْقِسْمِ
يَدُودٌ عَنِ الْحَوْضِ أَعْدَاءُهُ
فَكَمْ مِنْ لَعِينٍ طَرِيدٍ وَ كَمْ
فَمِنْ نَاكِثِينَ وَ مِنْ قَاسِطِينَ

و مِنْ مَارِقِينَ وَ مِنْ مُجْتَرَمٍ (29)

و قال القندوزي : نُسب الى الشافعي انه أنشد هذه الأبيات :

عَلِيَّ حُبُّهُ جَنَّةٌ
قَسِيمُ النَّارِ وَ الْجَنَّةِ
وَصِيَّ الْمُصْطَفَى حَقًّا

إمام الإنسِ وَالْجَنَّةِ (30)

يقول ابن الأثير : أروي بسندي المتصل عن علي بن جزء قال : سمعتُ أبا مريم السلولي يقول :
سمعتُ عمار بن ياسر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم يقول لعلي بن أبي
طالب :

يَا عَلِيَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ زَيَّنَكَ بِرَبِيَّةٍ لَمْ يَنْزِئِ الْعِبَادُ بِرَبِيَّةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا : الرَّهْدُ فِي الدُّنْيَا ،
فَجَعَلَكَ لَا تَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ، وَ لَا تَنَالُ الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئًا ، وَ وَهَبَ لَكَ حُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَ رَضُوا بِكَ
إِمَامًا وَ رَضِيَتْ بِهِمْ أَتْبَاعًا ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وَ صَدَقَ فِيكَ ، وَ وَبِلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَ كَذَبَ عَلَيْكَ .
فَأَمَّا الَّذِينَ أَحْبَبُوكَ وَ صَدَقُوا فِيكَ فَهُمْ جِيرَانُكَ فِي دَارِكَ ، وَرُفَقَاؤُكَ فِي قَصْرِكَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْغَضُوكَ وَ
كَذَبُوا عَلَيْكَ ، فَحَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُوقِفَهُمْ مَوْقِفَ الْكَذَّابِينَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ (31) .

تعليقات:

- (1) الآية 71 و 72 ، من السورة 17 : الإسراء .
- (2) الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .
- (3) أصول الكافي) ، المجلد الاول ، ص . 175
- (4) الآية 4 ، من السورة 14 : ابراهيم .
- (5) الآية 38 ، من السورة 40 ، المؤمن .
- (6) الآية 122 ، من السورة 9 : التوبة .
- (7) الآية 50 ، من السورة 3 : آل عمران .
- (8) الآية 71 و 72 ، من السورة 17 : الإسراء .
- (9) الآية 7 و 8 ، من السورة 84 : الإنشقاق .
- (10) الآية 10 و 11 ، من السورة 84 : الإنشقاق .

- (11) الآية 8 . 12 ، من السورة 56 : الواقعة .
- (12) الآية 55 ، من السورة 54 : القمر .
- (13) ينابيع المودة) ، ص 83 . . 86
- (14) ينابيع المودة) ، ص 85 و . 86
- (15) ينابيع المودة) ، ص . 83
- (16) ينابيع المودة) ، ص . 84
- (17) و لذا يُستحبّ أن نقول عند الشروع بالصلاة قبل تكبيرات الافتتاحية : اللهم ربّ هذه الدّعوة التّامة و الصّلوة القائمة بّلغ محمّداً صلّى الله عليه و ءاله الدرجة و الوسيلة و الفضل و الفضيلة .
- (18) ينابيع المودة) ، ص 84 ؛ و قد ذكر المرحوم الكليني ما يقرب من تلتيهذه الرواية في (روضة الكافي) ، ص 24 . 25 ضمن خطبة الوسيلة لأميرالمؤمنين عليه السلام التي أنشأها بعد سبعة أيّام من رحلة رسول الله في المدينة حول غضب الخلافة و إظهار مقاماته .
- (19) الآية 213 ، من السورة 2 : البقرة .
- (20) الآية 42 ، من السورة 8 : الأنفال .
- (21) الآية 82 ، من السورة 17 : الإسراء .
- (22) الآية 56 ، من السورة 11 : هود .
- (23) المناقب) ، ج 1 ، ص . 347
- (24) ينابيع المودة) ص . 84
- (25) ديوان الحميري) ، ص 252 ، و اورد أصله عن (أعيان الشيعة) ، ج 12 ، ص 246 ؛ و (المناقب) ، ج 2 ، ص 159 و 194 و 233 و 288 ؛ و ج 3 ، ص 90 و . 91
- (26) ديوان الحميري) ، ص 245 ؛ و قد أورد أصله عن (اعيان الشيعة) ، ج 12 ، ل
- (27) ل ص 246 ؛ و (المناقب) ، ج 2 ، ص 125 و . 159
- (28) ديوان الحميري) ، ص 399 ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) و (الغدِير) و (المناقب) و (الكنى و الألقاب) .
- (29) مناقب ابن شهر آشوب) ، ج 1 ، ص . 349
- (30) ينابيع المودة) ، ص . 86
- (31) أسد الغابة) ، ج 4 ، ص . 23
- (31) أسد الغابة) ، ج 4 ، ص . 23

الدرس التاسع: في معنى الولاية التكوينية

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَ مَنْ

كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا (1) .

و رد في كثير من الروايات عن طريق أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين ، و عن طريق العامة ،

ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال : لا يَجُوزُ أَحَدُ الصَّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَيَّ الْجَوَازَ (2) .

تحقيق في حديث (لا يَجُوزُ أَحَدُ الصَّرَاطِ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَيَّ الْجَوَازَ) :

و قبل ان ننقل هذه الروايات فاننا مجبرون على ذكر مقدّمة لتوضيح معنى الصراط و كيفية كتابة

الجواز للعبور :

ان جميع الموجودات . كما أشرنا سابقاً . لها ظاهر و باطن ، و من جملتها الانسان و اخلاق

الانسان و أفعاله ، فهي الأخرى لها ظاهر و باطن . و يُقال لظاهرها الخلق و الملك ، و لباطنها الأمر

و الملكوت ، الظاهر هو المشهود و المحسوس ، اما الباطن فمخترّف كامن في هذا العالم .

كما ان ميزان جزاء و ثواب الأعمال يُقاس على ملكوتها و حقيقتها ، لا على ظاهرها ، فالصلاة

التي يصلّيها الشخص . مثلاً . يمكن من وجهة النظر الظاهري أن تراعى فيها جميع خصوصيات

الأداب الواجبة والمستحبة ، من الوضوء و الطهارة و القيام و الاستقبال و السجود و التختّم بالعقيق ، و

العطر ، و السواك ، و اللباس الأبيض ، و العمامة و غيرها ، الا ان النية تكون احياناً التقرب الى الله

، و أحياناً اخرى الرياء و التظاهر ، مهما كان ظاهر الصلاتين واحداً لا اختلاف فيه ، لأنّ روح

الصلاة ، اي الباعث والداعي للمصلّي هو الذي جعل روح هذه الصلاة في بُعدين مختلفين ، أحدهما

التقرب الى الله و الآخر التقرب الى هوى النفس .

الصلاة في الصورة الأولى تقرب الانسان الى الله ، و في الصورة الثانية تُبعده عنه ، في الصورة

الاولى تقوده الى الجنة ، و في الصورة الثانية تسوقه الى النار .

و هكذا الأمر في الصوم و الجهاد و الزكاة و الحجّ و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و قراءة

القرآن و عيادة المريض ، و سائر الأعمال التي لها ظاهر ممدوح ، حيث تمتلك جميعها هذا الملكوت

و الحقيقة ، و تختلف قدرة إيصالها الى الله شدةً و ضعفاً بمقدار شدة أو ضعف نية فاعلها ، اما اذا

كانت النية لغير الله فانها ليس فقط لا تقرب الإنسان الى الله ، بل انها ستبعده عنه .

المعاصي و الذنوب لها أيضاً روح تختلف في الشدة و الضعف ، كما ان العقاب سيُقاس على

أساس الباعث الذي دعا المذنب الى المعصية .

و نجد أحياناً ان شخصاً ارتكب ذنباً ، لكنّه ارتكبه خطأً و عن غير عمد ، لذا فإنّ ذلك الفعل لن يكون له ءانذاك عنوان المعصية ، و لن يكون مُبَعِّدًا له عن الله .

في عالم الحسّ و الشهادة ، أي العالم الذي نرتبط معه بالحواسّ الظاهريّة ، و المراد به هذا العالم الحاليّ ، فإنّ ملكوت و واقعيّة الأعمال مختفٍ كامن ، و ما هو ظاهر و مشهود في هذا العالم إنّما هو هيكل الفعل و جسده ومنتنه ، لذا فإنّ معيار كبر و صغر الأفعال من الوجهة الظاهريّة عند أسرى سجن الطبيعة ، هو صغر و كبر نفس العمل ، فكثرة الصلاة ، وكثرة الصيام ، و التظاهر بالورع والتقوى ، والتظاهر بالخشوع والخضوع ، و التكلّم بهدوء بلسانٍ لَيّن هي أمور مستحسنة ، و غيرها غير مستحسن وغير مرغوب . إنّما في عالم المعنى و الملكوت فان الأمر على العكس ، فلا يُنظر هناك الى ظاهر الاعمال من جهة صغرها و كبرها ، بل إنّ ما يمثّل المعيار و الميزان للمطلوبيّة والمرغوبيّة هو النية و الإخلاص و الروح الموجودة في العمل ، فظاهر الأفعال هناك كامن بينما ملكوتها و باطنها ظاهر جليّ ، اي إنّ الظاهر معلوم و الباطن مخفيّ ، مثل عالم النوم و عالم اليقظة .

إنّ كلّ ما يُشاهد و يُحسّ في عالم اليقظة يزول في عالم النوم ، حين يرقد الشخص فيضع رأسه على و سادة النوم ، فيرى أنّ جميع ظهورات وءاثار عالم اليقظة و خصوصيات و كفيّات هذا العالم ستضمحلّ و تزول ، لكأنّه لم يرَ طوال عمره كهذا العالم .

و حين يستيقظ و يعرض عالم اليقظة نفسه عليه ، فإنّ كلّ خصائص عالم النوم سيتصوّرهما اعتباريّة ، و كأنّه لم يدخل في مثل ذلك العالم ، و ما لم يجد الانسان سبيلاً الى عالم الملكوت فأنّه لن يدرك شيئاً غير مظاهر الطبيعة هذا و غير الهيكل و الجسم الظاهر ، لكنّه حين يتّصل بعوالم الملكوت بالموت الطبيعيّ أو غيره ، فإنّ حقيقة الأعمال و واقعيّتها ستظهر له ءانذاك ، و سيكون عمله و سرّه معها ، و سينسى عالم الشهادة ، و ستُظهر ظهورات النيات و الواقعيّات للإنسان عالماً جديداً أقوى أثراً بالاف المرّات من عالم الحسّ .

تحقيقٌ في معنى الصّراط:

يسلك الإنسان في هذه الدنيا بواسطة النفس و صفاتها و استخدام أفعالها طريقاً في المعنى، (3) و لأنّ رجوع الأنفس الى الله ، فإنّ هذا الطريق في ملكوت الإنسان و نفسه سيكون الى الله أيضاً . و يختلف البشر في سلوك هذا الطريق باختلاف قواهم المعنويّة ، فالبعض له طريق مستقيم تماماً ، و للبعض الآخر طريق يضمّ انحرافاً قليلاً ، بينما البعض الآخر يتحرّك بصورة كاملة في طريق الانحراف .

و لأنّ الإنسان يمتلك منذ اوائل عمره حتى ءآخر لحظات حياته حالاتٍ متفاوتة و ملكات رويّة و نفسيّة من الحالات المختلفة ، والتي هي نتيجة للأعمال المتفاوتة ، فهو في انتقال من حالة الى حالة اخرى . حتى اذا ما كانت حالاته حسنة و ممدوحة بشكل كامل ، و اذا ما كان فعله صالحاً و نيّته

التقرب الى الله ، فإنه سيكتسب الاخلاص في العمل و ينتقل دائماً من حال الى حال و من كمال الى كمال ، فيصير من المقربين و السابقين ، فاذا أخذت عناية الله و لطفه بيده فأعانتته صار من العباد الكمل ، و اذا كان من المتوسطين ، اي انه لم يستطع نسيان غير الله كلياً ، بل كانت نفسه الأمانة والشهوة يتغلبان عليه أحياناً فيوقفان سيره أو يُعيدانه الى الخلف قليلاً ، إلا ان فعله و قوله غالباً ما يكون صالحاً و نيته سالحة ، فسيكون من أصحاب اليمين .

و اذا كانت نفسه الأمانة هي التي تقوده دائماً ، و كان كل سيره بخلاف الوصول الى مراحل الكمال الإنساني ، فإنه سيكون من الأشقياء وأصحاب الشمال .

و هذا الاختلاف الموجود لدى الناس في طريقهم سيسبب اختلاف ملكوتهم ، لذا فإن بعضهم سيطوي الطريق بسرعة ، و البعض الآخر ببطء ، والبعض الآخر في نهاية المشقة و المحنة .

و هذا الملكوت سيظهر يوم القيامة ، و هناك حيث عالم الحقيقة فان الناس سيكونون في درجات مختلفة ؛ و جهنم التي تستعر هي ظهور وبروز عوالم الشهوة و الغضب و الاستكبار و حب الشخصية و الإعراض عن الله والانغماس في المعاصي التي يعبر القرءان عنها بعبارة الحياة الدنيا .

و بناءً على هذا فإن جهنم هي ملكوت الدنيا ، كما ان الصراط الذي يمد عليها هو الطريق الذي ينبغي للإنسان طية في نفسه لكي ينال المقصود و هو الله سبحانه و تعالى . و عندما يطوي الانسان هذا الطريق في الدنيا ، لذا فان هذا الصراط سيوضع أيضاً على جهنم . و لأن على كل شخص بشكل حتمي أن يفوز بمقصوده بمجاهدة النفس للشهوات في الدنيا ، لذا فإن العبور على جهنم ضروري لجميع الافراد ، حتى للأنبياء و لأولياء الله .

و حين نزلت الآية الكريمة :

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (4)

سألوا رسول الله صلى الله عليه و ءاله : أو أنت أيضاً وارد جهنم ؟ أجاب : بلى ، لكننا نعبر عليها كالبرق الخاطف (5) .

و على هذا ، فلأن الجميع قد قدموا الى هذه الدنيا و كان لهم جميعاً طريق في أنفسهم الى الله ، فإن عليهم جميعاً ان يردوا الى جهنم ، و على الجميع ان يعبروا على الصراط .

فاولئك الذين لم يهبوا قلوبهم الى الدنيا ، و لم ينكبوا عقولهم ، و لم يسألوا غير الله تعالى و لو لحظة واحدة ، فانهم سيعبرون على جهنم (على الصراط) كالبرق الخاطف ، أما الباقيون فإن سرعتهم ستفاوت باختلاف حالهم في الاخلاص ، فالبعض يمر بطيئاً ، و البعض من زمرة الأشقياء الذين كان صراطهم منحرفاً بشكل كامل ، سيزل على الصراط و يهوي في النار .

روى عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله قال :

يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَأَوْلُهُمْ كَلْمَحِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرِ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَحَضْرِ الْفَرَسِ ،
ثُمَّ كَالرَّكِبِ ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ ثُمَّ كَمَشْيِهِ (6) .

و في تفسير القمّي رواية عن الامام الصادق عليه السلام قال :

الصِّرَاطُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَ أَحَدُّ مِنَ السِّيفِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلَ الْبَرْقِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ
مِثْلَ عَدْوِ الْفَرَسِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مَاشِيًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ حَبْوًا ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ
مُتَعَلِّقًا ، فَتَأْخُذُ النَّارُ مِنْهُ شَيْئًا وَتَتْرُكُ شَيْئًا (7) .

لذا فإنّ معنى الصراط العبور على الملكات و الأخلاق الرذيلة والصفات القبيحة ، فمن لم يُدَسَّ بها
أصلاً مرّ كالبرق الخاطف ، و من تلوّث بها في الجملة مرّ كعدو الفرس ، حتّى اذا ما ابتلي و تدنّس
كثيراً علّق من الصراط الى جهنّم فأحاطت النار به .

إنّ الإمام عليه السلام الذي يعيّن صراط الانسان و طريقة الى الله في هذه الدنيا ، و الذي له
السيطرة على نفس الإنسان و ملكوته ، هو نفسه الذي سيعيّن سرعة و بطء حركة الإنسان على
الصراط يوم القيامة حيث ظهور الصفات و الملكات ، و وفقاً لسرعة الانسان في حركته في الدنيا الى
الله ، فانه سيُجيزه بنفس القدر بالحركة بسرعة أو ببطء على الصراط ، أمّا الأفراد الذين لم يكن لديهم
اتّصال بمقام المعنى و الولاية ، و الذين أفنوا في وجودهم روح و شرف و فضيلة الإنسانيّة ، فانه لن
يسمح لهم بالحركة ، وسيأمر جهنّم لتبتلعهم و تغمرهم .

و لأن الامام له إحاطة في الدنيا على ملكوت المؤمنين و غير المؤمنين ، فانه سيقف هناك على
مكان عالٍ و رفيع بحيث يُشرف على الجنّة و على جهنّم ، فيعيّن مكان و منزلة كلّ فرد صالح فيالجنّة
، و منزلة كلّ فاسق و منحرف طالح في النار ، و قد عبّر في القرآن الكريم عن ذلك المقام العالي
بالأعراف .

وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمِهِمْ (8) .

و الأعراف في اللغة لها معنيان ، الأول أعراف الحجاب و هو القسم الأعلى منه ، و الثاني أعالي
الجبيل و التلّ ، و كلا المعنيين مناسب هنا ، اي أنّه حجاب بين أهل الجنّة و أهل النار يقف الإمام في
ذروته و قمّته ، لأنّه كان في الدنيا في ذروة و قمّة الحالات الروحيّة و المعنوية ، ينظر من هناك الى
وجوه و سيماء أمّته ، و يشاهد حالاتهم الروحيّة و الملكوتيّة من سيمائهم ، كما كان محيطاً على
ملكوتهم في الدنيا يسيّرهم عن طريق الملكوت الى واقعيتهم و مقصدهم ، لذلك فانه هناك أيضاً
سيجعلهم حسب واقعيتهم و ملكوتهم في نقاط مختلفة من الجنّة أو في دركات متفاوتة في النار .

و بناءً على ما ذكرنا فقد اتّضح بحمدالله و قوّته حقيقة و سرّ ظهور جهنّم أولاً ، و ظهور الصراط
ثانياً ، و مقام الإمام في الأعراف و ارتباط كيفية إدخال اهل جهنّم فيها بأمر الإمام ثالثاً .

فنقول الآن بأنّ الروايات التي وردت في شأن أميرالمؤمنين عن طريق الشيعة كثيرة جداً ، و لكن من
أجل ان يتّضح ان هذه المطالب مسلّم بها عند أهل السنّة و لا يرقى اليها الشكّ ، فقد قرّرنا ان ننقل
فضائله عليه السلام في الغالب من كتبهم .

يقول ابن حجر الهيتمي الشافعي : روى ابن السمان أنّ أبابكر قال له (أي لعليّ عليه السلام) : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول : لَا يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَيَّ الْجَوَازَ (9) .

و ينقل ابن حجر قبل هذا الحديث عن سُنَنِ الدارِ قَطْنِي : إِنَّ عَلِيًّا [عليه السلام] قَالَ لِلسَّنَةِ الَّذِينَ جَعَلَ عُمَرُ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُمْ كَلَامًا طَوِيلًا مِنْ جُمْلَتِهِ :

أَتَشِدُّكُمْ اللَّهُ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم (يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) غَيْرِي ؟ قَالُوا : اللَّهُمَّ لَا .

و معناه ما رواه عنتره عن عليّ الرضا [عليه السلام] أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم قَالَ لَهُ : أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ فِي يَوْمِ الْقِيَمَةِ تَقُولُ لِلنَّارِ هَذَا لِي وَ هَذَا لَكَ .

فابن حجر يستشهد بكلام أميرالمؤمنين في الشورى لتأييد الرواية التي نقلها عن أبي بكر ، ثم يفسر كلام أميرالمؤمنين بكلام الرضا عليه السلام الى عنتره .

و ينقل محبّ الدين الطبري عين هذه الرواية عن قيس بن أبي حازم ، قال :
إِنِّي أَتَيْتُ أَبُوبَكْرٍ وَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَتَبَسَّمَ أَبُو بَكْرٍ فِي وَجْهِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ تَبَسَّمْتَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول : لَا يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَيَّ الْجَوَازَ .

أخرجه ابن السمان في كتاب (المواقفة) (10) .

كما ينقل الموفق بن أحمد الخوارزمي في كتابه (المناقب) رواية الجواز (11) .

يقول العلامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكري في كتاب (مقام الامام أميرالمؤمنين عند الخلفاء) ، الصفحة الخامسة : و قد نقل الكثير من الاعلام في كتبهم هذا الحديث :

- 1 . ابراهيم بن محمد الحموي الشافعي في (فرائد السمطين) ، ج 1 ، الباب الرابع و الخمسين .
- 2 . محبّ الدين الطبري الشافعي أيضاً في كتابه الآخر بإسم (الرياض النضرة في فضائل العترة) ج 2 ، ص 173 و 177 و 244 و قال أنّ الحاكمي رواه في كتابه (الأربعين) .

3 . أورده ابن أبي عدسه في تأريخه بهذا اللفظ :

قال أبو بكر لعليّ : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول : لَا يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إِلَّا مَنْ كَتَبَ لَهُ عَلَيَّ الْجَوَازَ .

4 . الشيخ سليمان الحنفي القندوزي في (ينابيع المودة) ، ص 86 و 112 .

5 . ابن المغازلي الشافعي في كتابه (المناقب) ، كما في (غاية المرام) .

6 . الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ، ج 3 ، ص 161 ، عن ابن عباس .

7 . القاضي عياض في (الشفاء) .

8 . العلامة السيّد أبو بكر ابن شهاب الدين العلوي الحسيني الشافعي في كتاب (رشفة الصادي من

بحور فضائل بني الهادي) ، ص 459 .

9 . القرشي في (شمس الأخبار) .

10 . العلامّة الشيخ عبدالله الشبراوي الشافعي في (الإتحاف بحبّ الأشراف) ، ص . 25

11 . (اسعاف الراغبين) ؛ ثم يقول : و روى حديث الجواز جماعة ءآخرون عن الصحابة من غير أبي بكر ، كابن عبّاس و ابن مسعود ، و ينبغي العلم أنّ جميع هؤلاء المذكورين خرّجوا هذا الحديث في كتبهم (12) .

و عند مراجعة (بنابيع المودّة) في ص 112 فأنّه ينسبه الى الإمام أميرالمؤمنين و عبدالله بن عباس و عبدالله بن مسعود و أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري .

و يقول : روى الحمويّ بسنده عن مالك بن أنس عن جعفر الصادق عن ءابائه عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم عن النبيّ صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم قال :

إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَ الْأَخْرِينَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ نَصَبَ الصِّرَاطَ عَلَى جَهَنَّمَ لَمْ يَجْزُ عَنْهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ كَانَتْ مَعَهُ بَرَاءَةٌ بِوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

و أخرج هذا الحديث أيضاً الموقّق بن أحمد بسنده عن الحسن البصري عن ابن مسعود . و أخرجه الموقّق أيضاً بسنده عن مجاهد عن ابن عبّاس رضي الله عنهما .

و أخرج هذا الحديث أيضاً ابن المغازلي بسنده عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ؛ و عن طاوس ، عن ابن عبّاس .

و أيضاً بسنده عن أنس بن مالك ، و بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم .

و في الصفحة 86 و في ص 113 ، فقد رواه عن ابن مسعود بمتن ءآخر عن الموقّق بن احمد ،

باسناده عن الحسن البصري ، عن ابن مسعود .

قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَقْعُدُ عَلِيٌّ عَلَى الْفِرْدَوْسِ ، وَ هُوَ جَبَلٌ قَدْ عَلَا عَلَى الْجَنَّةِ وَ فَوْقَهُ عَرْشُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَ مِنْ سَفْحِهِ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ وَ تَنْفَرِقُ فِي الْجَنَانِ ، وَ عَلِيٌّ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ نُورٍ ، يَجْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ التَّنْسِيمُ ، لَا يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّرَاطَ إِلَّا وَ مَعَهُ سَنَدٌ بِوِلَايَةِ عَلِيٍّ وَ وِلَايَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَيَدْخُلُ مُحِبِّهِ الْجَنَّةَ وَ مُبْغِضِيهِ كَالنَّارِ .

كما ينقل الخوارزمي هذه الرواية بهذا المضمون في مقتله (طبع النجف ، ج 1 ، ص 39) .

بلى ، بيّن هذا الحديث مقام أميرالمؤمنين في الأعراف ، و أنّ هذا المقام في ءآخر درجات الفرق الذي يبدأ منه عالم الكثرة ، يعني في حقيقة الولاية التي هي الحجاب الأقرب ، و من الأعراف يجري نهر التسنيم في الجنّة . و هذا النهر ينبع من الولاية ، و تجري فروعه في قلوب الشيعة ، كما يجري في جنانهم في ذلك العالم من ظهور الملكوت .

و أميرالمؤمنين عليه السلام الذي هو حقيقة الولاية ، يعيّن مقامات أهل الجنّة حسب ميزان جريان التسنيم ، فيعبرون الصراط و يصلون الى منازلهم ، كما يعيّن في النار أماكن الذين لا يؤمنون بالولاية .

يقول ابن شهرءاشوب : روى ابن عبّاس و أنس عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه و ءاله :

قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَ نُصِبَ الصَّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ ، لَمْ يَجْزُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ مَعَهُ جَوَازٌ فِيهِ وِلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (13) .

و يقول أيضاً : و يروي والدي شهره اشوب باسناده عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله قال :
لِكُلِّ شَيْءٍ جَوَازٌ ، وَ جَوَازُ الصَّرَاطِ حُبُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (14) .

و يروي أيضاً في تاريخ الخطيب ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال :
قُلْتُ لِلنَّبِيِّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لِلنَّاسِ جَوَازٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؟

قُلْتُ : وَ مَا هُوَ ؟ قَالَ : حُبُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . 3

و في حديث وكيع ، قال أبوسعيد : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا مَعْنَى بَرَاءَةِ عَلِيٍّ ؟
قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ (15) .

و سأل النبي الأكرم من جبرئيل : كَيْفَ تَجُوزُ أُمَّتِي الصَّرَاطَ ؟ فَمَضَى وَعَادَ وَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يَفْرُتُكَ السَّلَامَ وَ يَقُولُ : إِنَّكَ تَجُوزُ الصَّرَاطَ بِنُورِي ، وَعَلِيٌّ بِنُورِ أَبِي طَالِبٍ يَجُوزُ الصَّرَاطَ بِنُورِكَ ، وَ أُمَّتُكَ
تَجُوزُ الصَّرَاطَ بِنُورِ عَلِيٍّ ، فَنُورُ أُمَّتِكَ مِنْ نُورِ عَلِيٍّ ، وَ نُورُ عَلِيٍّ مِنْ نُورِكَ ، وَ نُورُكَ مِنْ نُورِ اللَّهِ (16)

و ورد في الخبر : وَ هُوَ الصَّرَاطُ الَّذِي يَقِفُ عَلَى يَمِينِهِ رَسُولُ اللَّهِ ، وَ عَلَى شِمَالِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ
يَأْتِيهِمَا النَّدَاءُ مِنَ اللَّهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (17) .

و روى الحسن البصري في خبر آخر عن عبدالله ، عن رسول الله قال :
وَ هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ نُورٍ . يَعْنِي عَلِيًّا . يَجْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ التَّنَائِيمُ ، لَا يَجُوزُ أَحَدٌ الصَّرَاطَ إِلَّا وَ
مَعَهُ بَرَاءَةٌ بِوِلَايَتِهِ وَ وِلَايَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ ، يُشْرِفُ عَلَى الْجَنَّةِ وَ يُدْخِلُ مُحِبِّيهِ الْجَنَّةَ وَ مُبْغِضِيهِ النَّارَ (18) .

و ما أجمل قول شاعر أهل البيت السيد اسماعيل بن محمد الحميري حين يقول :

قَوْلُ عَلِيٍّ لِحَارِثِ عَجَبٌ

كَمْ تَمَّ أُعْجُوبَةٌ لَهُ حَمَلًا

يَا حَارِ (19) هَمْدَانِ مَنْ يَمُتْ بِرَنِي

مِنْ مُؤْمِنٍ كَانَ أَوْ مُنَافِقٍ قَبِيلاً (20)

يَعْرِفُنِي طَرْفُهُ وَ أَعْرِفُهُ

بِعَيْنِهِ (21) وَاسْمِهِ وَ مَا فَعَلَا

وَ أَنْتَ عِنْدَ الصَّرَاطِ تَعْرِفُنِي

فَلَا تَخَفْ عَثْرَةً وَ لَا زَلَلًا

أَسْقِيكَ مِنْ بَارِدٍ عَلَى ظَمَأٍ

تَخَالُهُ فِي الْحَلَاوَةِ الْعَسَلًا

أَقُولُ لِلنَّارِ حِينَ تُوقَفُ لِلْعَرْشِ
ضِ عَلَى جَسْرِهَا ذَرِي الرِّجَالِ
ذَرِيهِ لَا تُقَرِّبِيهِ إِنْ لَهُ
حَبْلًا بِحَبْلِ الْوَحْيِ (22) مُتَّصِلًا
هَذَا لَنَا شِيعَةٌ وَ شِيعَتُنَا
أَعْطَانِي اللَّهُ فِيهِمُ الْأَمَلَا (23)

يخاطب أميرالمؤمنين بهذا الكلام الحارث الهمداني .

بيروي ابن شهراءشوب عن (الأمالي) للطوسي ، باسناده عن الحارث الهمداني عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ ءالِهِ :
إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَخَذْتُ بِحُجْرَةٍ مِنْ ذِي الْعَرْشِ ، وَ أَخَذْتَ أَنْتَ يَا عَلِيُّ بِحُجْرَتِي ، وَ أَخَذْتَ ذُرِّيَّتَكَ بِحُجْرَتِكَ ، وَ أَخَذْتَ شِيعَتَكُمْ بِحُجْرَتِكُمْ ، فَمَاذَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِنَبِيِّهِ ؟ وَ مَاذَا يَصْنَعُ نَبِيِّهُ بِوَصِيِّهِ ؟ أَلِي أَنْ قَالَ [عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ] : خُذْهَا إِلَيْكَ يَا حَارُّ قَصِيرَةً مِنْ طَوِيلَةٍ (24) ، أَنْتَ وَ مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكَ مَا اكْتَسَبْتَ (25) .

و لقد جاهد الحارث الهمداني (بسكون الميم) و قومه من قبيلة همدان في اليمن ، في يوم صفين جهاداً كبيراً و حاموا عن دين الله و عن إمامهم ، و واجهوا المشاقّ و المحن و الشدائد ، حتّى قال أميرالمؤمنين فيهم :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ
لَقُلْتُ لَهُمْدَانَ ادْخُلِي بِسَلَامٍ (26)
و يقول السيّد الحميري :
وَ لَدَى الصَّرَاطِ تَرَى عَلِيًّا وَاقِفًا
يَدْعُو إِلَيْهِ وَ لِئِهِ الْمُنْصُورَا
اللَّهُ أَعْطَى ذَا عَلِيًّا كُلَّهُ
وَ عَطَاءُ رَبِّكَ لَمْ يَكُنْ مَحْظُورَا (27)
تعليقات:

- (1) الآية 71 و 72 ، من السورة 17 : الإسراء .
- (2) الصواعق المحرقة) ، ص 78 ، طبع مصر نقلاً عن كتاب (مقام الامام أميرالمؤمنين عند الخلفاء) للعلامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكري ، ص 3 ؛ و (مناقب الخوارزمي) ، ص . 222
- (3) الآية 71 و 72 ، من السورة 19 : مريم .
- (4) التعبير مُترجم و ليس نصّ كلامه صلوات الله عليه و ءاله (م) .
- (5) تفسير مجمع البيان) ، ج 3 ، ص . 525
- (6) تفسير الصافي) ، ج 1 ، ص . 54

(7) الآية 46 ، من السورة 7 : الأعراف .

(8) الصواعق المحرقة) ، طبع مصر ، ص 78 ، نقلاً عن كتاب (مقام الإمام اميرالمؤمنين) ، ص

3 .

(9) ذخائر العقبى) ، ص . 71

(10) مناقب الخوارزمي) ، ص . 222

(11) مقام الامام أميرالمؤمنين) ، ص . 6

(14.13.12) (المناقب ابن شهراشوب) ، ج 1 ، ص 346 ، الطبعة الحجرية .

(16.15) (المناقب ابن شهراشوب) ، ج 1 ، ص 346 ، الطبعة الحجرية .

(18.17) (المناقب) ، ج 1 ، ص . 346

(19) يا حارُ ، يا حارِ ، الأصحّ و الأشهر في المنادى المرخّم ان تُترك حركة الحرف الآخر الباقي

على حالها الأول ، و بالطبع فإنّ الكثير يرون أنّ حركة الحرف المحذوف يجب ان تُنقل الى الحرف الذي قبله .

(20) رأيتُهُ قُبلاً و قِبلاً و قَبِيلاً و قَبَلِيّاً : أي عياناً و مُقابلاً . و لقد وُضعت احتمالات في ضبط

كلمة (قَبَل) لا يناسب معنى أيّ منها المقام ، و ما يبدو في نظر الحقيّر أنّها فعل ماض بفتح القاف و

فتح أو كسر الباء ؛ و ذلك لأنّ أحد معاني قَبَل و قَبِلَ أن يكون قَبَل في العينين ، و القَبَل في العينين

عبارة عن اقبال نظر كلّ من العينين الى الأخرى ، و هو ما يدعى بالحَوَل في العينين و رؤية الشيء

شيئين ، و لازم الحول الغرور و العُجب ، حيث تحاول العيون على الدوام النظر الى نفسها ، و هذا

المعنى من آثار النفاق الذي عدّه المولى اميرالمؤمنين عليه السلام هنا من صفات المنافق .

كما ورد في اللغة ان رأيتُهُ قُبلاً أي عياناً و مقابلة ؛ و على ذلك فإنّ من الممكن ان تكون الكلمة

هنا بضمّ القاف و الباء ، اي : مَنْ يَمُتُ يَرِنِي قُبُلاً ؛ و هو احتمال مقبول أيضاً . و ربّما كان أقرب

من الاحتمال الأوّل .

قال في (المنجد) : رأيتُهُ قُبلاً و قِبلاً و قَبلاً و قَبِيلاً و قَبَلِيّاً أي عياناً و مقابلةً . وبذلك فإنّ

من الممكن قراءة شعر الحميري على أربعة أشكال من القراءة .

(21) ورد في (مناقب ابن شهراشوب) بلفظ (بِنَعْتِهِ) .

(22) جاءت في (ديوان الحميري) بلفظ (حبّل الوحي) ، لكن الأظهر أنّها (حبّل الوصي) .

(23) (ديوان الحميري) ، ص 327 و 328 ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) ، ج 12 ، ص

263 ، و (كشف الغمّة) ، ص 124 ، و (المناقب) ، ج 3 ، ص 237 ، و (شرح نهج البلاغة) ، ج

1 ، ص . 299

(24) من الأمثال ، و القصيرة هي التمرة و الطويلة : النخلة . م .

(26.25) تعليقة (ديوان الحميري) ، ص 326 و 327 على الترتيب .

(27) ديوان السيّد) ، ص 212 ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) و (المناقب) .

(27) ديوان السيّد) ، ص 212 ؛ و أورد أصله عن (أعيان الشيعة) و (المناقب) .

الدرس العاشر: لزوم الإمام الحيّ لتمتع القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم
و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ءَالِهِ الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين
و لا حول و لا قوة الا بالله العليّ العظيم
قال الله الحكيم في كتابه الكريم :
وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ (1) .

أصل العليّة و المعلوليّة:

انّ كلّ واحد من الموجودات التي تُشاهد في العالم له أصل و علّة يستند في نشأته اليها ، كما انّ التغيّرات و التبدّلات التي تحصل فيها لها عللها هي الأخرى .
فلو ضربنا زجاجةً بحجر لانكسرت ، و لو أجرينا ماءً في جدول لجرى الماء الى حيث ما أمكن له ، و لبلّ النقاط التي يلامسها ، حتّى انّ الماء يجري في خُلل الجبال و شقوقها ما وجد الى ذلك سبيلاً .
و هذا هو أصلُ عام في النشوء و في التغيّرات المشهودة في موجودات العالم .

تأثير المجالسة فيالإنسان:

كما انّ أخلاق و ملكات و عقائد و روحيّات بني الإنسان ليست مستثناةً من هذا الأصل العام ، فقد ثبت بالتجربة انّ معاشرّة الأبرار تؤثر على الإنسان ، و انّ المعاشرّة مع الأشرار تؤثر عليه هي الأخرى ، و ما أكثر ما حصل أن يصاحب شخصٌ ذو فطرة طيبة و أعمال صالحة أصدقاء السوء فتلاشى صفاؤه الباطني ، و أظلم قلبه و اختنقت روحه .
و على العكس من ذلك ، فما أكثر ما حصل انّ شخصاً ذا سيرة سيئة غير اسلوبه و نهجه إثر معاشرته لشخص طيب ، فصلّحت نيّته تدريجاً ، و تبعثها أفعاله فصارت صالحةً حسنة حميدة .
لذا ورد التأكيد كثيراً في التعاليم الإسلاميّة على مصاحبة الأبرار والمنع من الأُنس بالأشرار و التوادّ معهم ، حتى انّ جلسةً واحدة قد تؤثر على الانسان و لو أمضاها بالسكوت او المذاكرة ، لأن تأثير الأرواح لا يحتاج الى مذاكرة ، و انما الأرواح المؤتلفة تميل الى بعضها و تبتادل التأثير مع بعضها .
و من أجل أن يستطيع الإنسان تغيير أخلاقه و صفاته الى اخلاق و صفات الإنسان الكامل ، فإنّ عليه أن يعرّف قلبه و روحه على أصل و علّة الأخلاق و الصفات الحسنة ، لتؤثّر تلك المحامد في الإنسان بواسطة الاتّصال . و عليه أن يصل مركز قلبه بمنبع العلم و المعرفة و الحياة ، ليحصل منه

على العلم و المعرفة و الحياة قدر سعته و استعداده و قابليته .
و كما انّ هناك في شبكة المياه في المدن مخزناً عظيماً للماء متّصل بعدد كبير من البيوت ، بحيث يصل اليها الماء حسب ظروفها و قابليتها ، فكذلك الأمر في علّة و منبع الحياة و المعرفة الذي يجب ان يروي و يُشبع القلوب بواسطة التسليم و الانقياد و الاتباع و الخضوع ، بقدر سعة تلك القلوب و ظرفيتها .

و لهذا الموضوع أمران ضروريان :

الأول : وجود ذلك الأصل و العلّة ، أي مبدأ إفاضة العلم و الحياة .
و الثاني : التسليم و التلقّي و الخضوع ؛ ليتمكن لتلك العلّة ان تؤدّي وظيفتها ، لأنّ التسليم له حكم الشروط لتلقّي العلم و المعارف ، و معتبر من المقدمات المُعدّة .

قلب الإمام مركز إفاضة العلوم:

مبدأ إفاضة العلم هو قلب الامام الذي يفيض . بواسطة السيطرة على ملكوت الموجودات . على كلّ موجود بقدر قابليته و استعداده : وَ جَعَلْنَهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (2) .
و الهداية بأمر الله هي هداية أفراد البشر عن طريق ملكوتهم ونفوسهم .
و لذا يجب ان يكون فيالعالم و على الدوام إماماً حيّ ، و قد استفدنا من الآية : يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ (3) .

انّ الإمام موجود في كلّ زمان ، يُدعى بواسطة أفراد البشر واحداً فواحداً ؛ و هذا أمر مسلّم و صحيح تستند عليه جميع أديان العالم و مذاهبه ، و يعتمد عليه الدين الاسلامي الذي يعتبر تعيين الإمام للمجتمع من قبل الله ، و يعرفه بأنّه صاحب القلب و المحيط بالملكوت و المعصوم عن الخطايا و المعاصي . كما انّ الشيعة قد استفادوا هذا الأمر على أساس تعاليم الاسلام ، فقد جعلوا سيرتهم على واقع و حقيقة التعاليم الاسلاميّة ، اما أهل السنّة الذين لا يُراعون هذا الأمر ، فإنّ أيديهم قاصرة عن إدراك منبع الحياة و العلم ، و كما أُشير سابقاً فإنّهم لا يستفيدون من الإسلام بالمعنى الحقيقي .
و على هذا الأصل القائل بالحاجة الى الإمام الحيّ بعد رسول الله صلّى الله عليه و ءاله ، و هو الوجود المقدّس لأميرالمؤمنين عليه السلام ، فإنّ ذلك من أجل أن يصل جميع أفراد البشر بواسطة ذلك القلب الحيّ الواعي في عالم الجمع الى الإفادة من حياتهم و علومهم ، و إلّا فإنّه اذا كفى مجرد العمل ببناء (كفانا كتاب الله) ، لزحف كلّ امرئ فانزوى في زاوية النفس و خرائبها المظلمة ، و لما أمكنه أن يتخطّى نفسه و هواه الى اآخر عمره ، وذلك لأن الإمام هو الملقى للمعارف القرآنيّة الى قلب الانسان ، و بدونه فإنّ الإنسان الأعمى المهووس بالشهوات المنغمّر في اللذات سيفسّر ويؤوّل الآيات القرآنيّة لخدمة أغراضه و نواياه ، و مهما عمل فإنّ عمله لن يتعدّى دائرة ميوله و رغباته النفسانيّة . و مثل هذا القرءان بدون الروح الحيّة العميقة الإدراك للإمام لا يزيدُهم مِنَ اللّهِ إِلَّا بُعْداً .

الشيعة تعتبر أساس تعاليم الإسلام قائم على الإمامة

تقول الشيعة أنّ أساس تعاليم الإسلام قائمة على الإمامة ، ففي زمن رسول الله كان صلى الله عليه و آله هو الإمام ، و كان يفيض المعارف على قلوب الأمة بقلبه اليقظ منبع علوم فأوحى إلى عبده مآ أوحى (4) ، ثم جرى ذلك بعده ؛ بواسطة الأئمة الأطهار الواحد بعد الآخر ، وصولاً الى حضرة بقیة الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف ؛ ريّ كلّ قلب بقدر سعته من قبل مراكز الحياة و المعرفة تلك . أما الموضوع الآخر و هو التسليم و الخضوع و الاتّباع للإمام ، الذي يُعدّ القلوب لتلقّي و اكتساب المعارف و العلوم ، فهذه الخصوصيّة موجودة لدى الشيعة ، لذا يُشاهد أنّ الشيعة يفوقون العامّة بقدر ملحوظ في صفات المحبّة والوفاء والصفاء والإنفاق والإيثار وقضاء حوائج الناس وفي رقة القلب والعاطفة ونظائرها من الصفات الحميدة ، وهذا ناجم عن روح التسليم و الخضوع مقابل معلّم البشريّة و مبدأ التعليم و التربية ، سواءً كان الإمام حاضراً أو غائباً ، لأنّ تأثير و تأثر الأرواح لا حاجة له كثيراً الى الحضور ، لأنّه ليس مادّه ليشترط لتأثيرها في مادّه أخرى القرب المكاني والتماسّ الخارجي ، بل هو تأثير فعليّة النفس الفعّالة في قابليّات النفوس المستعدّة .

ولأنّ عالم الملكوت خارج عن الزمان و المكان ، لذا يمكن أن نجد تأثير فعليّة الآثار الحياتيّة للإمام في كلّ قلب ، فإن كان الإمام في مشرق العالم و كان تابعه في المغرب ، فإنّ قلب التابع مع ذلك سيحصل على استفادته ، كما أنّ الانسان . على اثر محبّته لولده . في ذكره دوماً ، سواءً كان ولده قربه أو مسافراً بعيداً عنه ، فصورة الولد لا تفارقه بل مطبوعة في قلبه . و كذلك اذا ما وجدت تجلّيات الإمام في قلب المؤمن أينما كان ذلك المؤمن ، فإنّه سوف يستمدّ ماء الحياة من ذلك المعدن اللامتناهي اثر انعكاس الصورة الحقّة .

لذا فإنّ الشيعة يفيدون . و لو في زمن الغيبة . من ذلك المركز للعلم والمعرفة ، بسبب التفاتهم الكامل الى مصدر الخيرات و العلوم ، مع أنّه لاشكّ هناك و لا ريب في انّ أثر حضور الإمام و فوائده أكثر و أوفر ؛ خلافاً لغير الشيعة الذين لا ترتبط قلوبهم بهذا المعدن ، لذا فإنّ نفوسهم حائرة متردّدة ليس لها الى الخروج عن ذواتها من سبيل .

الشيعة يمتلكون اللطف و الرقة و المداراة:

يقول ابن أبي الحديد بعد أن يذكر قدراً من صفات أميرالمؤمنين عليه السلام :
وَ قَدْ بَقِيَ هَذَا الْخُلُقُ مُتَوَارِثاً مُتَنَاقِلاً فِي مُحِبِّهِ وَ أَوْلِيَائِهِ إِلَى الْآنَ ، كَمَا بَقِيَ الْجَفَاءُ وَ الْخُسُونَةُ وَ الْوَعُورَةُ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ ، وَ مَنْ لَهُ أَدْنَى مَعْرِفَةٍ بِأَخْلَاقِ النَّاسِ وَ عَوَائِدِهِمْ يَعْرِفُ ذَلِكَ (5) .
انّ المعارف و العلوم الالهية تجري في قلوب اتباع الإمام اثر اتصال قلوبهم بقلبه ، كما انّ السبب في انّ للمؤمنين أنهاراً من ماء زلال في الجنة يعود الى تأثير ذلك الإتصال القلبي و الإفادة من نبع

فضائل الأئمة . و نرى كثيراً في القرآن الكريم أنّ الله تعالى يعد المؤمنين جنّات تجري من تحتها الأنهار
مثل :

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (6) .

الجنة تجلّي الصفات و الأفعال:

و كما ذكرنا فإنّ الجنة هي ظهور و بروز عالم نفس المؤمن في الآخرة ، و لأنّ نفس المؤمن قد
نجت ، بسبب الاطمئنان بالله و بالسكينة التي حصلت عليها ، من حرارة ولسع اليأس و الفشل و من
طوفان خواطر الشيطان و الاضطرابات الفكرية و الأخلاقية ، فهم مسرورون فرحون في رحمة الله و
مقام أمنه و أمانه ، فقد عشقوا الله بنشاط و لدّة كاملين حتّى في أدقّ لحظات سكرات الموت ، فهم في
سكينة و اطمئنان ، لذا فعندما يظهر ملكوت الأشياء في الآخرة ، فإنّ ملكوت نفس المؤمن سيكون
بصورة جنة متشابكة الأشجار ، تشابكت فيها فروع الأعمال الصالحة و أوراقها ، فألقت ظلالها على
الأرض ، فلا مجال هناك لأشعة الشمس اللاهبة و لا لطوفان الحوادث أو غبار الخيالات و الخواطر
الشيطانية .

سواءً اعتبرنا أنّ الجنة من جهة تجسّم أعمال المؤمن و ظهور ملكوت النفس المؤمنة ، أو بعنوان
الجزاء المترتّب على العمل ، فإنّ النتيجة ستكون واحدة . يشهد على هذا المعنى خطاب الله تعالى الى
آدم أبي البشر قبل وروده في هذه النشأة :

فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرِجْزِكَ فَلَا يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى
وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى (7) .

فقد خاطب الله آدم : أنّ هذه الجنة لا خواطر نفسانية فيها و لا اضطرابات للخيال والقوى الواهمة
، هناك حيث لا تجوع و لا تعرى ، و لا تضماً و لا تضحى بحرارة الشمس ، فالجوع و العري و الحرارة
و الانصهار كلّها من أثر تسلّط النفس الأمّارة بالسوء على الإنسان ، أمّا في الجنة حيث قلب الإنسان
مطمئن هادئ بعيد عن الخواطر و الانفعالات ، هناك حيث الاستقرار و الاستراحة في مقعد صدق عند
مَلِيكَ مَقْتَدِرٍ (8) .

فالذين يغادرون الدنيا الى الله بالإيمان و الأعمال الصالحة هم الذين يدخلون الجنة و يتمتّعون فيها
تحت ظلال الأشجار المتكاثفة .

الأنهار الجارية في الجنة:

و أمّا الأنهار الجارية في الجنة ، فهي العلوم و المعارف التي أوجبت حياة القلب ، و ذلك لأنّ
المؤمنين كانوا قد رووا قلوبهم بالعلم و المعرفة والإقرار بوحداية الله و أسماء ذاته المقدّسة ، و بالإقرار
بحقانيّة الإمام والنبيّ ، فإنّ ظهور هذه العلوم التي هي حياة القلوب سيكون هناك في هيئة أنهار ماء .
و سيكون لجميع الذين عملوا الصالحات . و من جملة الإقرار بإمام زمانهم . امتلاك هذه الأنهار ، بل

يمكن اعتبار مقياس فصل الأعمال الصالحة عن غير الصالحة هو مصادقة الإمام عليها أو عدمها ، فكلّ فعل أمر به الإمام صالحٌ ، و كلّ ما نهى عنه سيكون غير صالح ، و ذلك لأنّ نظر الإمام يمثّل النظرة الواقعيّة و الحقيقيّة ، و لذلك فإنّ تخطّي كلام الإمام يمثّل انحرافاً عن متن الواقع و حقيقة نفس الأمر .

أما الذين لم يولكوا قلوبهم للإمام ، و لم يستفيدوا من ذلك المنبع الفيّاض ، فإنّ قلوبهم ستبقى يابسة لا طراوة لها و لا محبة و لا صفاء و لا معرفة ، كالقربة اليابسة العتيقة البالية ، قد فقدت مرونتها و سعنتها ، لذا فإنّ ماء اولئكم هو الحرمان و الحسرة و الندم الذي سيصبّ في أفواههم على هيئة الفلز المصهور .

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَّ أَنهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّر طَعْمُهُ وَّ أَنهَرٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّرِيبِينَ وَّ أَنهَرٌ مِّن عَسَلٍ مَّصْفَى وَّ لَهُمْ فِيهَا مِن كُل الثَّمَرَاتِ وَّ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَّ سُفُوءًا مَّاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (9) .

أنهار الجنة الأربعة:

ذكر الله سبحانه في هذه الآية المباركة أربعة أنهار ، أولها أنهار الماء الزلال غير الآسن ، لأن الماء في عالم الطبيعة هو حياة الموجودات :

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ (10) .

أنهار الماء : و حياة القلوب بالعلم و معرفة الله ، لذا فإنّ أنهار العلم والمعرفة الجارية في القلوب ستجلى هناك في هيئة أنهار ظاهرة صافية من ماء زلال غير آسن ، و المراد بالأنهار أصناف و أنواع المعارف و العلوم الحقّة و الحقيقيّة التي تناط بها حياة القلوب و تروى بها غرائز الإنسان ، والمراد بغير الآسن غير المتعفنّ و غير المتغيّر ، اي عدم تغيّر تلك العلوم بأوهام و شكوك و عادات باطلة و سنن ضالّة و اعتقادات فاسدة .

و هذا النهر مختصّ بالذين وصلوا في طريق الله الى مقام القلب ، واستفادوا من العلوم الالهية الحقّة دون أي تدخّل للنفس لتغييرها .

انهار من لبن : و النوع الثاني هو الأنهار من اللبن الذي لم يتغيّر طعمه ، و هذه الأنهار هي ظهور و بروز العلوم التي كانت مفيدة للمبتدئين في الطريق الى الله ، لأنّ اللبن طعام الطفل ، و العلوم التي تتعلّق بالأفعال والأخلاق كعلوم الشرائع و الحكمة العمليّة باعتبارها مقدّمة للعمل و تزكية النفس ، لذا فإنّ ظهور هذه الأنهار مختصّ بالضعفاء المستعدّين للسير في منازل النفس و الذين لهم قابلية الوصول الى مقام القلب بسبب الابتعاد عن المعاصي و الأخلاق الرذيلة ، الآ أنّهم لم يصلوا بعدُ الى ذلك المقام ، فهم بتعلّمهم المقدّمات من علوم الشرائع و الأخلاق و بالعمل بها في صدد تقوية بُنيّتهم الروحية . كما أنّ عدم تغيّر طعم هذه الأنهار إشارة الى عدم تلوث هذه العلوم بالنوايا الفاسدة و الأهواء و البدع الباطلة و الأعمال و العصبية الجاهليّة التي تُسقط هذه العلوم عن خاصيّتها و فضيلتها ، و

تحوّلها الى سم مهلك .

أنهار الخمر : و النوع الثالث من الأنهار أنهارٌ من خمر لذة للشاربين ، فالخمر في الدنيا مع أنّ مادّتها خبيثة و نكهتها مُقرّفة و طعمها رديء ، لأنّها تخدّر العقول و تسقطها من الإحساس و الإدراك ، و تهوي بالانسان الى مصافّ البهائم ، لكن خمر الأخره جذباتُ الهيّة تظهر اثر تجلّيات الصفات و الأسماء في القلب ، فتحيّر العقول و تبهتها بحيث يسقط العقل المفكّر في العواقب و المصالح عند مشاهدة تلك الاسماء الكليّة و الصفات الالهية غير المحدودة و ينسى كلياً مراتب الوجود . و لأنّها تمتلك هذه الخاصية فقد عبّر عنها بالخمر ، لكنّ هذه الخمر ترفع الانسان من مرتبة العقل و تهديه الى مرتبة أعلى و هي الشهود والقلب .

و على ذلك فإنّ انهار الخمر هي ظهور أصناف و أنواع محبّة صفات و ذات الله التي جعلها الله سبحانه للشاربين ، و هم الكاملين الواصلين الى درجة الشهود ، و الذين صار لديهم القابلية لمشاهدة حسن تجلّيات الصفات و شهود جمال الذات ، و صاروا مولّين بالجمال المطلق للحضرة الربوبية لا إدراك لهم بسببه ، و وصلوا الى مقام الروح و استغرقوا في الأنوار الالهية ، و ستوجب لهم اللذة و البهجة و السرور و الحبور .

أنهار من عسل مصفى : و النوع الرابع من هذه الأنهار هي أنهار من عسل مصفى لا يرى فيها شيء من الشمع و الخبث و المواد القذرة . و لأنّ العسل له حلاوة زائدة ، فإنّ تلك الحلاوة التي هي من واردات عالم القدس و البوارق النورانية ، و اللذات التي توجد في حالات مختلفة للمتوسّطين في طريق الله ، و تعيدهم الى الله بالذوق والوجد و التوجّه ، و توجّههم الى كمالاتهم ، فإنّها تظهر هناك في هيئة أنهار من عسل مصفى خالٍ من الشوائب و الأكدار و تدخّلات النفس و تسويلاتها ، و هذا بالطبع مختصّ بالأفراد الذين هم في مقام ذوق تلك الجذبات ، و الذين لم يصلوا بعد الى مرحلة السكر اثر مشاهدة التجلّيات .

و بناءً على ما سبق فإنّ أنهار اللبن هي العلوم لدى المبتدئين والضعفاء من سالكي طريق الله ، و أنهار العسل مختصّة بالأفراد المتوسّطين المشغولين بملاحظة الجذبات الالهية و مشاهدة الصفات ، و أنهار الخمر مختصّة بالأفراد الذين نسوا وجودهم بسبب تجلّيات الجمال و عشق تلك الذات الأزلية فأمحوا في أنوارها .

و المراد بالآية الشريفة : وَ سَقَبَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (11) ، الشراب الذي يطهّهم و يزكّيهم من جميع التعلّقات الدنيوية من المال و الولد و العيال والجاه و الاعتبار ، و يرفع نفس الشارب عن هذه المراحل .

ثمّ إنّ أنهار الماء الزلال غير الأسن و غير المتغيّر مختصّة بالذين وصلوا الى مرحلة القلب ، و الذين طلعت و أشرقت في قلوبهم جميع أنواع العلوم و المعارف الالهية بدون تدخّل النفس و زيغ الأهواء .

أمّا الافراد المتوسّطون الذين يمّحون بجمال الله اثر تجلّيات صفاته ومشاهدة أسمائه ، فيعمدون الى خلط قدر من نهر الزنجبيل . و هو مادّة تبعث الحرارة . في كؤوس شرابهم ليبقى طلبهم و عشقهم حيّاً

على الدوام ولكي تبقى الحرارة موجودة فيهم بقدر كاف .

وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (12) .

و الزنجبيل نهر يسمّى بالسلسبيل ، فهو من فرط حُسن مذاقه يمنح الشاربين حرارة الطّلب ، و بالطبع فلأنّ هؤلاء لم يصل اشتياقهم و عشقهم الى الذروة ، فانّهم لذلك لا يُسقون من الزنجبيل الخالص ، بل يمزجون في كأسهم من نهر الزنجبيل فيسقونهم منها ؛ و لأنّهم لا يزالون مشتاقين للسير في الصفات ، فانّ محبّتهم لذلك لم تصف عن لذة حرارة الطّلب ، فهم يهدأون و يسكنون أحياناً من واردات و تجليات الجمال ، لذا يُصبّ في كأسهم من عين الكافور ، و الكافور شراب بارد معطر يبعث على السكون والارتياح .

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (13) .

و لأنّهم لم يصلوا الى مقام الجمع ، و لم يستغرقوا في عين جمع الذات ، لذلك فليس لهم ذلك السكون المطلق و ذلك الهدوء من جميع الجهات ، و إنّما السكون للذين وصلوا الى مرحلة العبوديّة المطلقة وأصبحوا من عبادالله ، فاولئك من المقربين و يسقون من أصل عين الكافور ، بالإضافة الى أنّهم يُجرون من تلك العين في قلب كلّ من له قابليّة و استعداد ، و يصبون منها في كأس كلّ فرد حسب قابليّته .

و على كلّ حال فانّ عين الكافور هذه هي نفسها عين التسنيم المختصّة هي الاخرى بالمقربين ، لكنّهم يصبون قدرًا منها في كأس الأبرار .

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (14) .

انّ الأبرار يشربون من شراب مختوم ، ختامه طيب و طاهر ، هي قوانين الشرع المقدس التي ملأوا بها ءانية الشراب و صانوها عن تلاعب الشيطان ، فهم يصبون قدرًا من نهر التسنيم في ذلك الشراب الصافي ويقدمونه للأبرار ، لكنّ المقربين يُسقون من نفس عين التسنيم الجارية من أعلى نقاط الجنّة .

عين التسنيم تجري تحت أقدام أميرالمؤمنين:

انّ المستقرّ على الأعراف ، الذي يجري التسنيم تحت أقدامه ، هو مولى الموالى أميرالمؤمنين صاحب مقام الولاية الكبرى ، ذلك الذي يشرب جميع المقربين من العين الجارية تحت أقدامه .

كما انّ نهر التسنيم يستمدّ مائه من قلب أميرالمؤمنين عليه السلام فيسقي المقربين ، ثمّ يرد في حوض الكوثر . ثم انّ جميع أنواع تلك العلوم التي ذكرناها من التسنيم و الكافور و الزنجبيل و الخمر الصافي و أنهار اللبن و الماء غير الأسن و أنهار العسل تتبع كلّها من مقام الولاية ، أي العلم المطلق ، فتجري الى قلوب الشيعة و الموالين أينما كانوا و حيثما حلّوا ، فتروي كلّ واحد من الناس بدوره حسب قابليّته و ظرفيّته .

ساقى حوض الكوثر:

وردت كثير من الروايات المستفيضة عن الأئمة سلام الله عليهم في أنّ ساقى حوض الكوثر هو أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو يسقي مواليه بالأقداح التي توزعت على جوانب الحوض ، و يذود عن الحوض بالعصا التي في يده أعداء أهل بيت العصمة .

الآننا نذكر بعض الروايات المنقولة عن العامة في هذا الباب ، فيروي محبّ الدين احمد بن عبدالله الطبري ، عن أبي سعيد الخدري قال :

قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] و سلم : يَا عَلِيَّ مَعَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَصَا مِنْ عَصَى الْجَنَّةِ تُدَوِّ بِهَا الْمُتَأَفِّقِينَ عَنِ الْحَوْضِ . أخرجه الطبراني (15) .

يقول القندوزي الحنفي : أخرج أبو المؤيد أخطب الخطباء الموقّق بن أحمد الخوارزمي عن سيّد الحفّاظ أبي منصور شهردار ابن شيرويه الديلمي بسنده ، عن زيد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنهم ، ثم ينقل رواية مفصّلة و من جملة فقراتها يقول :

يَا عَلِيَّ ... وَ إِنَّكَ غَدَاً عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي ، وَ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ ، وَ أَنْتَ تُدَوِّ الْمُتَأَفِّقِينَ عَنِ حَوْضِي ، وَ أَنْتَ أَوَّلُ دَاخِلٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّتِي ، وَ إِنَّ مُحِبِّكَ وَ اتَّبَاعَكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ، رَوَاءَ مَرَوِيِّينَ ، مُبَيَّضَةٌ وُجُوهُهُمْ حَوْلِي ، أَشْفَعُ لَهُمْ فَيَكُونُونَ غَدَاً جِيرَانِي ، وَ إِنَّ أَعْدَاءَكَ غَدَاً ظِمَاءً مُظْمئِينَ مُسَوِّدَةً وُجُوهُهُمْ ، يُضْرَبُونَ بِالْمَقَامِعِ وَ هِيَ سِيَّاطٌ مِنْ نَارٍ مُفْمَحِينَ ، الحديث (16) .

و يقول أيضاً : أخرج أبو نعيم الحافظ ، عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] و سلم لِعَلِيّ رضي الله عنه : أَنْتَ يَا عَلِيَّ عَلَى حَوْضِي تُدَوِّ عَنْهُ الْمُتَأَفِّقِينَ ، وَ إِنَّ أَبَارِيقَهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَ أَنْتَ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ حَمْرَةٌ وَ جَعْفَرٌ فِي الْجَنَّةِ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ، وَ أَنْتَ وَ اتَّبَاعَكَ مَعِي ، ثُمَّ قَرَأَ : (وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) (17) .

و يقول أيضاً : و في جمع الفوائد : جابر و أبو هريرة رفعاه :

عليّ بن أبي طالبٍ صَاحِبُ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ . للأوسط .4

و يقول أيضاً : أبو سعيد رفعه :

يَا عَلِيَّ ! مَعَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَصَا مِنْ عَصَى الْجَنَّةِ تُدَوِّ بِهَا الْمُتَأَفِّقِينَ عَنِ حَوْضِي . للأوسط (18) .

و يقول : و في (جواهر العقدين) ، أخرج الطبراني عن أبي كثير قال :

كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما ، جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَدِيجٍ يَسُبُّ

أَبَاكَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدُ ، ارْنِيهِ ! فَرَأَاهُ يَوْمًا فَأَرَاهُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ،

فَقَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه لابنِ حَدِيجٍ : أَنْتَ تَسُبُّ أَبَايَ عِنْدَ ابْنِ آكَلَةِ الْأَكْبَادِ ؟

أَمَا لئن وَرَدتْ عَلَى الحَوْضِ وَ مَا أَرَكَ تَرِدُهُ ، لَتَجِدَنَّ أَبَايَ مُشَمَّرًا حَاسِرًا ذِرَاعِيهِ ، يَدُودُ الْمُتَأَفِّفِينَ عَن حَوْضِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وِ ءَالِهِ] وَ سَلَّمَ وَهَذَا قَوْلُ الصَّادِقِ المُصَدِّقِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وِ ءَالِهِ] وَسَلَّمَ (19) .

و يقول أيضاً : لأحمد في (المناقب) ، أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه [وِ ءَالِهِ] وَ سَلَّمَ قال : أُعْطِيَتْ فِي عَلِيٍّ حَمْسٌ ، هُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا ، ...

الى أن قال : وَ أَمَا الثَّالِثَةُ فَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى حَوْضِي يَسْقِي مَنْ عَرَفَهُ مِنْ أُمَّتِي (20) .
و يقول أيضاً : وَ فِي (المناقب) ، عن سيعد بن جبیر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وِ ءَالِهِ] وَ سَلَّمَ :

يَا عَلِيُّ ، أَنْتَ صَاحِبُ حَوْضِي ، وَ صَاحِبُ لَوَائِي ، وَ حَبِيبُ قَلْبِي ، وَ وَصِيِّي ، وَ وَارِثُ عِلْمِي ، وَ أَنْتَ مُسْتَوْدَعُ مَوَارِثِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى بَرِيَّتِهِ ، وَ أَنْتَ رُكْنُ الْإِيمَانِ ، وَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَ أَنْتَ مِصْبَاحُ الدَّجَى ، وَ مَنَارُ الْهُدَى ، وَ الْعِلْمُ الْمَرْفُوعُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، يَا عَلِيُّ ، مَنْ اتَّبَعَكَ نَجَى ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ هَلَكَ ، وَ أَنْتَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَ أَنْتَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ وَيَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ أَنْتَ مَوْلَى مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ ، وَ أَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ ، لَا يُحِبُّكَ إِلَّا طَاهِرُ الْوِلَادَةِ ، وَ لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا خَبِيثُ الْوِلَادَةِ ، وَ مَا أَعْرَجَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ وَ كَلَّمَنِي رَبِّي إِلَّا قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنْ عَلِيًّا مِنِّي السَّلَامُ وَ عَرَفَهُ أَنَّهُ إِمَامٌ أَوْلِيَائِي وَ نُورٌ أَهْلِ طَاعَتِي ، وَ هَنِيئًا لَكَ هَذِهِ الْكَرَامَةُ (21) .

و يقول ابن شهر آشوب : وَ فِي أَخْبَارِ أَبِي رَافِعٍ مِنْ خَمْسَةِ طَرُقٍ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ :

يَا عَلِيُّ تَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ وَ شِيَعَتُكَ رُؤَاءَ مَرْوِيِّينَ ، وَ يَرِدُ عَلَيْكَ عَدُوُّكَ ظَمَاءً مُقْمَحِينَ (22) .
وَ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَ سَقَبَهُمْ رَبَّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ، يَعْنِي سَيِّدَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ بِمَعْنَى السَّيِّدِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : وَادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ (23) .

الفايق (للزمخشري) : إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ الدَّائِدُ عَن حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ ، تَدُودُ عَنْهُ الرِّجَالُ كَمَا يُدَادُ الْأَصِيدُ الْبَعِيرُ الصَّادِي ، أَي الَّذِي بِهِ الصَّيْدُ ، وَ الصَّيْدُ دَاءٌ يَلْوِي عُقْقَهُ (24) .

و يقول الحميري شاعر أهل البيت سلام الله عليهم:

أُوْمَلُ فِي حُبِّهِ شَرِيَةً
مِنَ الحَوْضِ تَجْمَعُ أَمْنًا وَ رِيًّا
إِذَا مَا وَرَدْنَا غَدًا حَوْضَهُ
فَأَدْنَى السَّعِيدِ وَ ذَادَ الشَّقِيَّا

مَتَى يَدُنْ مَوْلَاهُ مِنْهُ يَقُلْ
رِدِ الْحَوْضَ وَاشْرَبْ هَنِيئًا مَرِيًّا
وَ إِنْ يَدُنْ مِنْهُ عَدُوُّ لَهُ
يُدُّهُ عَلَيَّ مَكَانًا قَصِيًّا (25) .

و يقول أيضاً في غاصبي مقام الولاية ضمن قصيدة طويلة :

وَ أَرْمَعُوا عَدْرًا بِمَوْلَاهُمْ
تَبًّا لِمَا كَانُوا بِهِ أَرْمَعُوا
لَاهُمْ عَلَيْهِ يَرُدُّوا حَوْضَهُ
عَدَاً وَ لَا هُوَ فِيهِمْ يَشْفَعُ
حَوْضٌ لَهُ مَا بَيْنَ صَنَعَا إِلَى
أَيْلَةَ أَرْضِ الشَّامِ أَوْ أَوْسَعُ
يُنْصَبُ فِيهِ عِلْمٌ لِلْهُدَى
وَ الْحَوْضُ مِنْ مَاءٍ لَهُ مُنْرَعُ
يَفِيضُ مِنْ رَحْمَتِهِ كَوَثْرُ
أَبْيَضُ كَالْفِضَّةِ أَوْ أَنْصَعُ
حَصَاهُ يَا قُوتٌ وَ مَرْجَانَةٌ
وَ لَوْلُو لَمْ تَجْنِهْ إِيصْبَعُ
بَطْحَاوَهُ مِسْكٌ وَ حَافَاتُهُ
يَهْتَرُ مِنْهَا مَوْنَقٌ مُوْنَعُ
أَخْضَرُ مَادُونَ الْجَنَى نَاضِرُ
وَ فَاقِعٌ أَصْفَرُ مَا يَطْلَعُ
وَ الْعِطْرُ وَ الزَّيْحَانُ أَنْوَاعُهُ
تَسْطَعُ إِنْ هَبَّتْ بِهِ زَعْرُ
رِيحٌ مِنَ الْجَنَّةِ مَأْمُورَةٌ
دَائِمَةٌ لَيْسَ لَهَا مَنْرَعُ
إِذَا مَرَّتْهُ فَاحٌ مِنْ رِيحِهِ
أَزْكَى مِنَ الْمِسْكِ إِذَا يَسْطَعُ
فِيهِ أَبَارِيْقُ وَ قَدْحَانُهُ
يُدَّبُ عَنْهَا الْأَنْزَعُ الْأَصْلَعُ
يُدَّبُ عَنْهُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ
ذَبَكَ حَرَبِي إِبِلٍ تَشْرَعُ

إِذَا دَنَوْا مِنْهُ لِكَيْ يَشْرَبُوا
قِيلَ لَهُمْ تَبَّ لَكُمْ فَارْجِعُوا
دُونَكُمْو فَالْتَمِسُوا مِنْهَلَا
يُرْوِيكُمْ أَوْ مَطْعَمًا يُشْبِعُ
هَذَا لِمَنْ وَالَى بَنِي أَحْمَدِ
وَ لَمْ يَكُنْ غَيْرَهُمْ يَتَّبِعُ
فَالْفَوْزُ لِلشَّارِبِ مِنْ حَوْضِهِ
وَالْوَيْلُ وَالذَّلَّ لِمَنْ يُمْنَعُ (26)

و الخلاصة فهذا الحوض هو معدن علم أميرالمؤمنين عليه السلام الذي يُحيي الأرواح و يشفي القلوب ، من دخله أعمى صار مُبصراً ، و من ورده أسود صار أبيضاً ، و من دخله مريضاً شُفي ، و من دخله محترقاً وجد روحاً جديدة ، و لذا فإنّ هذا الحوض يجري من الأعراف و هو مقام أميرالمؤمنين ، و يجري من التسنيم و هو علمه عليه السلام ، و لا مقام أعلى منه إلا عرش الله الذي يُشير الى مقام الحقيقة النبويّة .

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه و ءاله في حديثه المتفق عليه لدى الفريقين :
أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا (27) .

تعليقات:

- 1) الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .
- 2) الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .
- 3) الآية 71 ، من السورة 17 : الإسراء .
- 4) الآية 10 ، من السورة 53 : النجم .
- 5) شرح نهج البلاغة) ، الطبعة ذات العشرين مجلداً ، ج 1 ، ص . 26
- 6) الآية 14 و 23 ، من السورة 22 : الحجّ ؛ و الآية 12 ، من السورة 47 : محمد .
- 7) الآية 117 . 119 ، من السورة 20 : طه .
- 8) الآية 55 ، من السورة 54 : القمر .
- 9) الآية 15 ، من السورة 47 : محمّد .
- 10) الآية 30 ، من السورة 21 : الأنبياء .
- 11) ذيل الآية 21 ، من السورة 76 : الدهر .
- 12) الآية 17 و 18 ، من السورة 76 : الدهر .
- 13) الآية 5 و 6 ، من السورة 76 : الدهر .
- 14) الآية 22 الى 29 ، من السورة 83 : المطففين .
- 15) ذخائر العقبى) ، ص . 91
- 17.16) (بنابيع المودّة) ، ص . 130

- 20.19.18 (ينابيع المودّة) ، ص . 132
- 21 ينابيع المودّة) ، ص . 133
- 23.22 (مناقب ابن شهرآشوب) ، ج 1 ، ص . 350
- 24 (مناقب ابن شهرآشوب) ، ج 1 ، ص . 350
- 25 ديوان الحميري) ، ص 464 ؛ و تخريجها من (المناقب) ، ج 2 ، ص 162 و 223 ، و (أعيان الشيعة) ، ج 12 ، ص . 276
- 26 ديوان الحميري) ، ص 261 ؛ و قد أخرج هذه القصيدة عن (بحار الأنوار) و(مجالس المؤمنين) و (الغدِير) و (أعيان الشيعة) و (ضحى الإسلام) و (الأغاني) و (ظرافة الأحلام) .
- 27 (كنز العمال) ، ج 12 ، الحديث 1130 ، طبع الهند 1384 ؛ و (وسائل الشيعة) الطبعة الحروفية ، ج 18 ، ص . 52
- ج 18 ، ص . 52 ،

الدرس الحادي عشر: معنى وحى الخيرات إلى الأئمة

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَالِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ آيْتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (1) .

بحثنا في المباحث السابقة في كيفية الهداية بأمرالله و شرائط تحققها من خلال ما استنتجناه من الآيات القرآنية ، و نبحت الآن في الجملة الأخرى من الآية ، القائلة : وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ لنستنتج معناها بحول الله و قوته .

معنى ايحاء الخيرات الى الأئمة:

يقول الله تعالى في هذه العبارة الشريفة انّ نفس الأعمال الخيرة التي كانوا يعملونها هي من وحيننا ، لأنّ المصدر المضاف يفيد تحقق الفعل في الخارج ، فاذا قال أحد : يُعْجِبُنِي إِحْسَانُكَ وَ فِعْلُكَ الْخَيْرَ ، فانه يُستفاد منه انّ الإحسان و فعل الخير الذي عملته قد سرّني . اما اذا اردوا أن يقولوا إنّ إحسانك و فعلك الخير بعد هذا يسرّني ، فانهم لا يضيفون المصدر ، بل اما يقطعونه عن الإضافة أو أن يذكروا الفعل مع (أن المصدرية) ، فيقولون : يُعْجِبُنِي أَنْ تُحْسِنَ وَ أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ ، أو يقولون : يعجبني الإحسان لك والفعل لك .

شأن ذلك شأن الآيات التي بُيّنت في القرآن بعنوان تشريع الأحكام ، و يقصد بها الإتيان بتلك الأفعال في الزمان المستقبل لوقت الخطاب ، فاستعمل في تلك الآيات (أن المصدرية) .

مثل (أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ) (2) ، و (أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ) (3) ، و (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) (4) ، و (أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (5) .

معنى الوحي التكويني:

اما في الآية مورد البحث ، فهو لا يقول : وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا الْخَيْرَاتِ ، بل يقول : انّ الافعال الخارجية التي تصدر منهم هي عين وحيننا ، و اناّ أوحينا اليهم الأفعال الخيرة التي يعملونها ، و في هذه الحال فانّ نفس فعلهم هو مورد الوحي . وينبغي أن نرى . بناءً على هذا . كيف يمكن ان يكون الفعل مورد الوحي ؟ ونأتي بشاهد من القرآن الكريم لبيان هذا الأمر :

وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يُخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (6) .

فهل هذا الوحي الذي أوحاه الله تعالى للنحل مثل الوحي الى قلوب الأنبياء ؟
فالوحي يصل الى قلب النحل في كل لحظة أن اصنعي هذا النوع من البيوت ، و اسكني هنا ،
وقفي على هذه الوردة ، ثم على تلك الوردة ! و لا تقفي على الوردة ذات الرائحة الكريهة ! أو انّ الأمر
ليس كذلك ، بل انّ الله سبحانه خلق هذا الحيوان اللطيف العجيب بحيث أنّها لا تعمل شيئاً إلا بإرادة
الله . فهذا الحيوان المعصوم يسير دون أيّ تدخل للنفس الأمارة والأمال الباطلة و حبّ الشخصية وفق
برنامج معيّن عيّنه الله تعالى له في عالم التكوين ، و يسير في كلّ لحظة بأمر و إذن ربّ العالمين ،
فينتقل حسب دعوة الفطرة من هذه الوردة الى تلك ، و يتناول رحيق الوردة ذات الرائحة الجيدة ، و
يصنع بيتاً هندسياً بشكل عجيب في السقوف و الجبال والأشجار . و هذا الوحي يُدعى بالوحي التكويني
، اي انّ الله سبحانه وتعالى ينظّم في عالم التكوين و الخارج حركات ذلك الحيوان و سكناته دون تدخل
أي أمر خارجي يُخرجه من الصراط المستقيم في سيره التكاملي ، كما يحركه في السبل و طرق السعادة
و الأعمال الحسنة حسب برنامج الخلق .

وحي الخيرات للأئمة:

تقول الآية القرآنية المباركة : وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، اي انّ جميع الأفعال الحسنة التي
تظهر عنهم هي بإذننا و أمرنا ، و انّ ملكوتها بيدنا ، و بالنتيجة فإنّ أعمالهم تصدر منهم دون أيّ
تدخلٍ للفكر النفساني والهوى و العُجب .

فهم لا يفكرون و لا يفعلون بالاعتبار شيئاً للمحافظة على مصالحهم ، و لا يقعون في اعتبارات
واهية من أجل فعلٍ ما ، فيفعلوه على أساس مصلحةٍ خياليةٍ ، بل انهم اجتازوا جميع هذه المراحل ،
فصارت إرادتهم إرادة الله ، و صار فعلهم يصدر عن ضمير طاهر بلا مواربة و لا خيانة و بلا شائبة
من التفكير بالمصلحة أو ملاحظة للأجر و الثواب أو تفكيرٍ بعاقبة . هؤلاء هم الذين جزأؤهم نفس
فعلهم ، فليسوا في صدد جزاء خارج عن نفس فعلهم و حقيقته .

هذا الفعل هو فعل الله الذي يطلع بإرادة الله من مرآة وجودهم وصُقع نفوسهم ، و يظهر من مجرى
و مجلى وجودهم ، و لذلك يمكن القول أنّ نفس فعلهم هو وحي الله . انّ الانسان مالم تبصر عينه
جمال ربّه فينسى تدريجاً مراتب وجوده و يصبح موجوداً بالله تبارك و تعالى ، فأنّه سيرى أنّ جميع
أفعاله صادرة عنه ، و سيقوم بها حتماً من أجل غايةٍ وهدف . لكنّه اذا تقدّم بقدّم صدق في مرحلة
العبودية فأنّه سوف يتأثر تدريجاً بمشاهدة قدرة الله و علمه المطلق و بانكشاف مراحل التوحيد في
وجوده ، فيصبح لا يدرك وجوداً لنفسه بعدُ ليقوم بعملٍ ما لحفظه أو لاستجلاب منفعةٍ له و دفع الضرر
عنه ، و سيرى نفسه خاضعاً مستسلماً بيد القدرة الإلهية كالعجينة في القبضة القويّة ، و سيرى وجوده

سراباً اثر بزوغ شمس الحقيقة و مشاهدة الجمال المطلق و العلم و الحياة المطلقة ، فلا يمكنه أن يعمل لنفسه ولمصلحته ، و سيكون كل ما يصدر عنه في هذه الحال هو عمل الحق فقط .

كما يقول سبحانه في الحديث القدسي الذي رواه الفريقان : لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوْفِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَ لِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا (7) .

اي انه لن يعدد أذنه ملكاً له ، بل ان أذنه مجرىً يسمع الله بها ، و عينه وسيلة يرى الله بها ؛ و تدل الآية المباركة القرآنية :

وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (8) ، على هذا المقام . كما ان الآية المباركة : يَدُلُّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (9) ، تدل على هذا المعنى أيضاً .

تحقق شرائط الإمامة:

و عموماً فانه يُستفاد من الآية المباركة : وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، أن الإمام هو من توجب عليه حقاً أن يجتاز مراحل النفس والورود في مراحل التوحيد الحقيقي ، و مع طلوع الشمس المشرقة على العالم و ظهور ذات الحق المقدسة جلّ و علا في مرآيا الكائنات و تجليها في الماهيات الإمكانية ، فإن عليه ان لا يرى في نفسه ظهوراً أو بروزاً ، بل عليه أن يجعل أصل وجوده مندكاً في وجود حضرة مفيض الوجود ، ليصبح فعله و حركته و سكونه و قيامه و قعوده و حربه و سلمه فعل الله . و لو وصل امرؤ ما الى هذه المرحلة كان له قابلية الإمامة بإذن الله ، والآ فلا ، و ذلك لأن الإمام يعني من يهدي المأموم الى مقامه و مقصده ، فمن لم يخرج من شوائب النفس الأمارة إذا أصبح إماماً فانه سيدعو جميع المأمومين الى مقامه و محله ، أي للميول و الرغبات النفسية . و من الواضح ان هذه الدعوة ليست دعوة الى الله بل دعوة للنفس . و الإمام بهذه الخاصية التي ذُكرت ، لأن فعله فعل الحق و قوله قول الحق فلذا فهو حجة ، لأن فعل و قول الحق حجة .

و بناءً على هذا يجب اتباعه (اي الإمام) و عدم انتقاد فعله ، لأن انتقاد فعل الإمام يعني انتقاد فعل الحق ، و على الناقد ان يرجع الى ذاته ليجد العيب و الخلل هناك ، لأنها نسبت . لجهلها و عدم معرفتها بالإمام . العيب اليه .

كما يمكن ان يكون هناك كثير من الأفراد الطيبين ذوي الأعمال الصالحة ، لكنهم لم يتخطوا ذواتهم خارجاً ، لذا فانهم لم يتعرفوا على الإمام ، لأن الإمامة في غاية الرفعة و السمو .

ثورة زيد بن علي بن الحسين كانت بأمر من الإمام:

ينقل المرحوم الكليني في (أصول الكافي) ، كتاب الحجّة ، باسناده عن أبان عن الأحول (10) ، أن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام بعث اليه و هو مستخفٍ ، قال : فأتيته .

فقال لي : يا أبا جعفر ما تقول إن طَرَقَكَ طارقٌ منّا أترجُ معه ؟
قال : فقلتُ له : إن كان أباك [الإمام عليّ بن الحسين] أو أخاك [الإمام محمّد الباقر] خرجتُ معه .
قال : فقال لي : فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فأخرج معي .
قال : قلتُ لا ما أفعَلُ جُعلتُ فداك .
قال : فقال لي : أترغب بنفسك عني ؟
قال : قلتُ له : إنّما هي نفسٌ واحدة ، فإن كان الله في الأرض حجّة فالتخلفُ عنك ناجٍ و الخارجُ معك هالكٌ ، و إن لاتكن لله حجّة في الأرض فالتخلفُ عنك و الخارجُ معك سواء .
قال : فقال لي : يا أبا جعفر كنتُ أجلس مع أبي علي الخوان فيلقمني البضعة السمينة و يبزِد لي اللقمة الحارّة حتّى تبرد شفقةً عليّ و لم يشفق عليّ من حرّ النار إذا أخبرك بالدين و لم يُخبرني به ؟
فقلتُ له : جُعلتُ فداك من شفقتك عليّ من حرّ النار لم يُخبرك ؛ خافَ عليك أن لا تقبله فتدخل النارَ و أخبرني أنا ، فإن قبلتُ نجوتُ و إن لم أقبَل لم يُبالِ أن أدخل النارَ .
ثم قلتُ له : جُعلتُ فداك أنتم أفضل أم الأنبياء ؟ قال : بل الأنبياء .
قلتُ : يقول يعقوبُ ليوسفَ عليهما السلام : يَبْنِي لَآ نَقْصُصَ رُعْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا (11) ، لِمَ لَمْ يُخبرهم حتّى كانوا لا يكيدونه ولكن كتمهم ذلك ، فكذا أبوك كتمك لأنّه خاف عليك .
قال : فقال : أما والله لئن قلتُ ذلك لقد حدّثني صاحبك بالمدينة أنّي أقتل و أصلب بالكناسة و أنّ عنده لصحيفة فيها قتلي و صلبي .

فحجبتُ فحدّثتُ أبا عبدالله عليه السلام بمقالة زيد و ما قلتُ له ، فقال لي : أخذتُه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوق رأسه و من تحت قدميه و لم تترك له مَسَلْكَ يسلكه (12)

لقد كان لزيد بن عليّ بن الحسين مقام شامخ ، و كان مشهوراً بالتقوى و الزهد و الغيرة و الإيثار و الإنفاق و العبادة ، و عندما استشهد تأثّر الإمام الصادق عليه السلام عليه كثيراً و بكى و ترحم عليه ، ولكن و مع ذلك كلّه فقد كان مقام الإمام شيئاً ءاخر لم يكن زيد يعرف عنه شيئاً .

حركة الإمام و سكونه كلاهما صحيح:

لقد نفذ صبر زيد أمام انحراف هشام بن عبدالمك و جرائمه ، و لم يكن له سعة صدر ليتحمّل هذه الأمور ، فقام بثورته ضدّه ، أما الإمام فاتّه لا يكلّ أبداً من التصدي للظلم ، و لأنّ نفسه لا تضيق فاتّه لا يُقدّم على المواجهة الدموية ما دام ذلك في غير صالح الاسلام و المجتمع الاسلامي ، ولا يتأثّر بإحساساته أو إحساسات جلسائه أو إلقاءاتهم ، فهو لا يمتلك حسّ الانتقام ، و لا يُقدّم على عملٍ يُرضي رغبته و ليشفي غرأته ، بل إنّ أعماله كلّها وفق أعلى برامج الإنسانيّة لهداية الخلق الى أعلى درجة الكمال ، و في هذه الحال فإنّ حربه و سلمه كلاهما مصلحة ، و كلاهما من فعل الله تعالى ، و حركته و سكونه من أفعال الله أيضاً و يجب اتّباعه فيهما .

و الخلاصة فإنّ مقام الإمامة هو الالتزام برسالة الله و هداية نفوس الناس الى الله ، و ليس هناك من يليق بهذا المقام الاّ من اتّسعت نفسه و فاز بعلم الله و صار حياً بحياة الله و أفلح في الامتحانات الالهية و تجاوز مراحل النفس كلياً .

و لقد كان أميرالمؤمنين عليه السلام نفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، و كان الرسول الأكرم يصرّح بهذا الأمر في مواطن كثيرة ، و لم يكن هذا التصريح بالطبع من وجهة نظر الظاهر و المجاملات الإعتبارية والبلاغات العادية للناس ، بل كان ذلك على أساس إدراك للواقع و الوقوف على مراتبه و قابليّاته و مقاماته اللامتناهية ، فهي كاشفة و مظهره لتلك الواقعية .

و حسب تصريح الآية القرآنية في قضية المباهلة ، فقد عدّت نفس أميرالمؤمنين نفس رسول الله و اعتبرت بمنزلة نفس النبي الأكرم ، كما قد اعترف الفخر الرازي في ذيل تفسير آية المباهلة بهذه الحقيقة .

يقول القندوزي : أخرج صاحب (المناقب) عن جعفر الصادق ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن الحسين : أنّ الحسن بن عليّ (عليهم السلام) قال في خطبته :

قال الله تعالى لجدّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلّم حين جده كفره أهل نجران و حاجّوه :
قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ (13) .

فأخرج جدّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلّم معه من الأنفس أبي ، و من البنين أنا و أخي الحسين ، و من النساء فاطمة أمي ، فنحن أهلهم و لحمهم و دمهم و نفسهم ، و نحن منهم و هو منا .

ثم قال : و في (عيون الأخبار) عن الريان بن الصلت ، قال الرضا رضي الله عنه : عني الله من أنفسنا نفس عليّ ، و مما يدلّ على ذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلّم : لَتَنْتَهِيَنَّ بَنُو وَلِيْعَةِ أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي يَعْنِي عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهِ بَشَرٌ . و قد تقدّم في الباب الخامس (14) .

ثم يقول : أخرج أحمد [بن حنبل] في (المسند) عن عبدالله بن حنطب قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلّم لوفد ثقيف حين جاؤه . لَتُسَلِّمَنَّ أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي لِيَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ ، وَ لَيْسَبِيَنَّ ذَرَارِيَكُمْ ، وَ لِيَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ ، فَالْتَقَتْ إِلَى عَلِيّ وَ أَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ : هَذَا هُوَ (مرتين) (15) .

و يقول أيضاً : أخرج أحمد بن حنبل في (المسند) و في (المناقب) : أنّ رسول الله قال : لَتَنْتَهِيَنَّ يَا بَنِي وَلِيْعَةِ ، أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي يُمِضِي أَمْرِي ، يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ ، وَ يَسْبِي الذَّرِيَّةَ ، فَالْتَقَتْ إِلَى عَلِيّ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَ قَالَ : هُوَ هَذَا (مرتين) .

ثم يقول : و قد أخرج الموفق بن أحمد الخوارزمي عين هذا الحديث بنفس الألفاظ (16) .
و ينقل أيضاً من كتاب (المشكاة) عن حبيش بن جنادة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلّم : عَلِيّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْ عَلِيّ وَ لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيّ .

ثم يقول : روى الترمذي هذا الحديث ، و رواه أيضاً أحمد بن حنبل عن حبيش بن جنادة . و يقول

الترمذي : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيح .

كما روى هذا الحديث عن ابن ماجة عن ابن جنادة (17) .

و يقول أيضاً أنّه رواه في (المشكاة) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال :
إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي .
رواه الترمذي (18) .

و يقول الحموي في (فرائد السمطين) بإسناده عن عليّ كرم الله وجهه قال : أُهْدِيَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَتَوَّ مَوْرًا ، فَجَعَلَ يَقْشُرُ الْمَوْرَ بِيَدِهِ وَ يَجْعَلُهَا فِي فَمِي ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّكَ تُحِبُّ عَلِيًّا !

قال : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَ أَنَا مِنْ عَلِيٍّ (19) .

و يقول أيضاً : روى أحمد بن حنبل في مسنده عن حبيش بن جنادة السلولي قال : سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يقول : عَلِيٌّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ وَ لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ (20) .
و يقول أيضاً : في كتاب (المناقب) ، عن عطية بن سعد العوفي ، عن مخدوج بن يزيد الذهلي قال :
نَزَلَتْ آيَةٌ (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ! مَنْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ؟

قال : مَنْ أَطَاعَنِي ، وَ وَالَى عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي ، وَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ بِكَفِّ عَلِيٍّ فَقَالَ : إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي ، وَ أَنَا مِنْهُ ، فَمَنْ حَادَهُ فَقَدْ حَادَنِي ، وَ مَنْ حَادَنِي أَسْخَطَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ .
ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيٌّ ! حَرْبُكَ حَرْبِي ، وَ سَلْمُكَ سَلْمِي ، وَ أَنْتَ الْعَلَمُ بَيْنِي وَ بَيْنَ أُمَّتِي .
قال عطية : سألتُ زيدَ بنَ أرقمَ عن حديثِ مخدوجٍ قال : أشهدُ اللهُ لقدْ حَدَّثَنَا بِهِ رَسُولُ اللهِ (21) .

الخصال الموجودة في أمير المؤمنين :

و يقول القندوزي أيضاً : و في (المناقب) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لقد سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] يقول :

فِي عَلِيٍّ خِصَالٌ لَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا فِي رَجُلٍ اِكْتَفَى بِهَا فَضْلاً وَ شَرْفاً .

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ .

و قوله : عَلِيٌّ مِنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى .

و قوله : عَلِيٌّ مِنِّي وَ أَنَا مِنْهُ .

و قوله : عَلِيٌّ مِنِّي كَنَفْسِي ، طَاعَتُهُ طَاعَتِي ، وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي .

و قوله : حَرْبُ عَلِيٍّ حَرْبُ اللهِ ، وَ سَلْمُ عَلِيٍّ سَلْمُ اللهِ .

و قوله : وَلِيَّ عَلِيٍّ وَلِيَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّ عَلِيٍّ عَدُوَّ اللَّهِ .

و قوله : عَلِيٌّ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ .

و قوله : حُبَّ عَلِيٍّ إِيْمَانٌ وَ بُغْضُهُ كُفْرٌ .

و قوله : حِزْبُ عَلِيٍّ حِزْبُ اللَّهِ ، وَ حِزْبُ أَعْدَائِهِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ .

و قوله : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَهُ لَا يَفْتَرِقَانِ .

و قوله : عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

و قوله : مَنْ فَارَقَ عَلِيًّا فَقَدْ فَارَقَنِي ، وَ مَنْ فَارَقَنِي فَارَقَ اللَّهَ .

و قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ : شِيعَةُ عَلِيٍّ هُمُ الْفَائِزُونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ .

و يُستفاد من مجموع هذه الروايات ان رسول الله قد جعل علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام في بيته و حرمه حرم الله ، من وجهة الباطن و المعارف الالهية ، و الاطلاع على الأسرار الغيبية ، و من وجهة الظاهر ، و كانا دائماً في السرّ و الشهادة و الظاهر و الخفاء نفسين تشعبا من أصل واحد ، و خاصة في تلك الفقرة من الرواية حيث قال : لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ وَ الْمَقْصُودُ هُوَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَ ثَقْلِ الرِّسَالَةِ وَ هِدَايَةَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ مِنْ وَجْهِ الظَّاهِرِ وَ الْبَاطِنِ ، أَي بِالسِّيَاطِرَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمَلَكُوتِهِمْ ، إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ ، وَ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَانَّهُ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَرِيكًا لِرَسُولِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَ الدَّرَجَاتِ ، وَ فِي نَفْسِ الدَّرَجَةِ ، وَ هِيَ مَقَامُ الْحَمْدِ وَ حَمْلُ لُؤَاءِ الْحَمْدِ ، وَ وَفَقًا لِلْعَدِيدِ مِنَ الرِّوَايَاتِ فَانَّ ذَلِكَ اللُّؤَاءُ بِيَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَي أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ كَمَا عَرَفَهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِذَا فَانَّ أَحَدًا غَيْرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَسْتَطِعْ حَمْدَ اللَّهِ كَمَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَالِي الرَّفِيعِ ، كَمَا أَنَّ مَقَامَ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي يَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ يَدِ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ .

لقد نقلنا في المباحث السابقة بعضاً من مقامات أميرالمؤمنين ، مثل كونه قسيم الجنة و النار ، و إعطائه الجواز على الصراط ، و كونه ساقى الكوثر ؛ و ذكرنا أيضاً مقام الشفاعة و ميزان العمل . و يجب ان نعلم ان اتصافه عليه السلام بهذه الصفات لا ينافي قدرة الله تعالى ، بل هو عين الصفات التي في الله سبحانه ، لم تتسلخ عنه سبحانه حين أعطيت لأمرالمؤمنين ففقد الله سبحانه قدرته ، بل هي عين صفات الله التي تظهر فيه عليه السلام في امتلاكه الولاية الكبرى ، بل ان نفس الولاية هي عين تجليات و ظهورات حضرة الحق .

و عليه فانّ كلّ موجود راجع الى الله وحده ، و ما هو موجود في مقام الولاية ، انما هو الاحتياج و الفاقة المحضة الى الذات المقدسة ، كما هو الأمر في هذا العالم المادي حيث الموجودات مقدرة و محدودة فُسِّمَ بينها العلم و القدرة فاكتسب كلّ موجود منها حسب حاله و سعته ، لكنّ هذا التقسيم لا يتنافى مع وجود منبع العلم و القدرة و الحياة في الله ، و ليس مقسمها من أحد غير الله تعالى .

كما انّ ظهورات التقسيم في أيّ مرحلة هي نفس ظهورات الله ، وكذلك الأمر في عالم العقل و الملكوت ، فانّ المقسم هو الله ، لا تخرج الاستفادة و التقسيم عن صفاته و أسمائه ، لذا فانّ مقام الولاية و هو تقسيم المعارف و العلوم و الحياة على القلوب هو نفسه عمل الله تعالى وحده :

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (22) .

و على هذا فإنّ أحداً لن يشاهد في القيامة التي هي عالم الظهور والبروز ، غير قدرة الله و عظمتة و حياته ، و ستكون جميع الموجودات ازاء ذاته المقدّسه صفراً و عدماً .

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ (23) .

وَبَرُّوا لِلَّهِ الْوَدِّ الْقَهَّارِ (24) .

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (25) .

و عموماً فإنّ جميع أسماء و صفات الله التي حُصرت في القرآن الكريم ، مثل : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (26) .

و قَلِيلَ الْحَمْدُ (27) .

و جميع درجات و مراتب الحمد و التمجيد (من أي موجود الى أي موجود) مختصة بذات الله .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (28) .

هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (29) .

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (30) .

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (31) .

و ستظهر في ذلك العالم ، و سيكون انحصارها بذات الحقّ المقدّسه مشهوداً .

انّ مقام الولاية هو نفس تلك الصفات والأسماء لا غيرها ، و لذلك فإنّ ظهور تلك الصفات و الأسماء يُدعى بالولاية لا غيرها . و الحمد لله ربّ العالمين و صلّى الله على محمّد و ءاله الطاهرين .

تعليقات:

(1) الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .

(2) ذيل الآية 184 ، من السورة 2 : البقرة .

(3) مقطع من الآية 11 ، من السورة 39 : الزمر .

(4) صدر الآية 26 ، من السورة 11 : هود .

(5) صدر الآية 72 ، من السورة 6 : الأنعام .

(6) الآية 68 و 69 ، من السورة 16 : النحل .

(7) وردت مصادر هذا الحديث في كتاب (معاد شناسي) معرفة المعاد ، المجلد الثاني ، المجلس

التاسع .

(8) مقطع من الآية 17 ، من السورة 8 : الأنفال .

(9) مقطع من الآية 10 ، من السورة 48 : الفتح .

(10) هو محمّد بن النعمان ، من خواص اصحاب الامام الصادق عليه السلام ، و كان يُدعى ب

(مؤمن الطاق) لأنّه كان يمتلك دكّة تحت الطاق ، لكن أهل السنّة لقبوه ب (شيطان الطاق) لمهارته في

المناظرة و للعداء الذي يكنّه بعضهم لأهل البيت عليهم السلام .

- (11) صدر الآية 5 ، من السورة 12 : يوسف .
- (12) أصول الكافيّج 1 ، ص . 174
- (13) الآية 61 ، من السورة 3 : ءال عمران .
- (14) ينابيع المودّة) ، ص 52 و . 53
- (16.15) (ينابيع المودّة) ، ص . 53
- (18.17) (ينابيع المودّة) ، ص . 54
- (19) (ينابيع المودّة) ، ص . 54
- (21.20) (ينابيع المودّة) ص 54 و . 55
- (22) صدر الآية 30 ، من السورة 76 : الإنسان .
- (23) صدر الآية 16 ، من السورة 40 : غافر .
- (24) ذيل الآية 48 ، من السورة 14 : ابراهيم .
- (25) ذيل الآية 165 ، من السورة 2 : البقرة .
- (26) الآية 58 ، من السورة 51 : الذاريات .
- (27) صدر الآية 36 ، من السورة 45 : الجاثية .
- (28) صدر الآية 255 ، من السورة 2 : البقرة .
- (29) صدر الآية 255 ، من السورة 2 : البقرة .
- (30) ذيل الآية 1 ، من السورة 17 : الإسراء .
- (31) ذيل الآية 6 ، من السورة 44 : الدخان .
- (31) ذيل الآية 6 ، من السورة 44 : الدخان .

الدرس الثاني عشر: الهداية إلى الحق تلزم للعصمة

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (1) .

يعلم الله سبحانه رسول في هذه الآية المباركة كيفية محاجة المشركين ، و كيف يُثبت لهم أنّ شركاء الله لا يستحقون الحمد والاتباع ، وأساس هذا الاحتجاج قائم على لزوم اتباع الصدق و الإعراض عن غير الحق .

و هذا الاحتجاج احتجاج عقليّ لأنّه يستند الى أصل عام و كليّ ، و هو لزوم الاتّباع الدائم للحقّ ، و لذلك فإنّه أفضل دليل للزوم اتباع الامام المعصوم . وعلينا . من أجل الورود في أصل الاحتجاج . أن نبين ذلك المبني كمقدمة للبحث .

لزوم اتباع الحق:

إنّ أحد الأحكام الفطريّة و العقليّة للإنسان ، هو لزوم اتباع الحقّ ، وهذا الحكم قانون عام يستند عليه الإنسان دائماً ، و اذا ما انحرف عنه أحياناً في أعماله و أقواله فمال الى غير الحقّ بسبب هوى نفسه أو شبهة أو خطأ قد يبدر منه ، فإنّه سيكون بسبب ظنّه أنّه حقّ ، و لقد تبع غيرالحق لالتباس الأمر عليه ، لذا فإنّه حين يعتذر ، يجعل بأنّه قد ظنّ ذلك حقّاً .

و على هذا فإنّ الحقّ واجب الاتّباع بدون أيّ قيد أو شرط ، و يتفرّع على هذا الأصل قاعدة اخرى ، هي أنّ الذي يهدي الى الحقّ يجب اتّباعه لأنّه مع الحقّ و دالّ على الحقّ ، و بناءً على هذا يجب تقديمه في الاتّباع على الآخر الذي لا يدلّ على الحقّ أو الذي يدلّ على غير الحقّ ، لأنّ اتّباع الهادي الى الحقّ هو اتّباع للحقّ الموجود معه .

و قد ذكرنا آنفاً أنّ اتّباع ذات الحقّ حكم ضروري فطريّ عقليّ ، وعلى هذا الأساس أقام القرءان الكريم استدلاله ضدّ المشركين في هذه الآية المباركة ، فهو يسألهم أولاً باستفهام : قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ (2) .

و من الجليّ أنّ المشركين ليس لديهم جواب إيجابيّ في هذا المجال ، لأنّ الشركاء الذين يجعلونهم لله إمّا من الجمادات مثل الأصنام ، أو من الأحياء مثل الملائكة و أرباب الأنواع و الجنّ و طواغيت الزمان والفراعنة و حكام الجور الذين يتابعونهم ، و من الواضح أنّ أيّاً منهم لا يهدي الى الحقّ ، لأنّهم

لا يملكون لأنفسهم ضرراً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياةً و لا نشوراً . و لأنهم ليس لديهم جواب ايجابي ، فان الله جعل على لسان نبيه ان يجيبهم فوراً جواباً ابتدعه بنفسه فيقول : قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ . الله هو الهادي الى الحق ، يهدي كلّ موجود في مقاصده التكوينية الى ما يحتاجه ، و هو الذي يرسل اليه ما يحتاجه ، كما في قوله تعالى :

رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (3) .

فعندما سأل فرعونُ هارونَ و موسى : من ربكما ؟ قالوا : ربنا الذي أعطى كلّ موجود في عالم الخلق احتياجاته الوجودية و خلقه تامّ الخلقة ، ثم هداه الى كماله .

و مثل قوله : الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (4) .

فان الله هو الذي خلق ثم لحظ في الخلقة التعادل و التناسب من جميع الجهات ، و هو الذي خلق كلّ موجود في العالم بقدر و حدّ معين ، ثم يسيره في طريق الكمال . و بناءً على هذا فان الله هو الذي هدى الإنسان الى سعادة الدنيا ، و دعاه الى الجنة و السعادة المطلقة بإرساله للأنبياء و الكتب السماوية و الأحكام الالهية .

لزوم اتباع الامام المعصوم مبنين على أصل لزوم اتباع الحق:

و على كلّ حال ، فان رسول الله لما انتزع في مقام الاحتجاج اعترافين من المشركين ، الأول : أن ليس من شركائهم من يهدي الى الحق .

و الثاني : أن الله هو وحده الهادي الى الحق .

فانه يرى لزماً و واجباً أن يسأل هذا السؤال :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ؟

و من الواضح انّ جواب هذا السؤال هو ان يقولوا انّ الله الذي يهدي الى الحقّ أحقّ أن يُتَّبَعَ ، بيد ان الكفار و المشركين لا يلتزمون عملياً بهذا المنطق ، و يعبدون الشركاء الذين لا يهدون الى الحقّ ، و يُعرضون عن عبادة الله الذي لا شريك له و الذي يهدي الى الحقّ ، و بذلك يجعلون حُجُباً على القوى الفطرية و الأحكام العقلية ، و يتعاملون خلاف ناموس الفطرة والعقل . لذا فانّ النبي يُخاطبهم من باب التوبيخ و اللوم :

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟

و ينبغي إعمال دقّة النظر عند المقابلة بين جملة أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ و بين جملة أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ، لنرى كيف جعلت هاتان الجملتان عدلاً لبعضهما ؟

لأنّ من الواضح أنّ السائل بطريق الاستفهام ينبغي أن ينفي طرفاً من الجملة ، كأن يقول : أَرَأَيْتَ زَيْدًا أَمْ لَا ؟ أَدْرَسَ حَسَنٌ أَمْ لَمْ يَدْرُسْ ؟

أمّا اذا استفهم مثلاً : أيدرس حسن أم انه مغرور بنفسه ؟ فانّ من اللازم ، من أجل أن تكون هذه المعادلة الاستفهامية صحيحة ، أن يُقال : انّ المغرور بنفسه لا يدرس .

و بناءً على ذلك فإنّ هناك جملة منطوية و ضمنية في جملة (مغرور بنفسه) ، و هي (لا يدرس) .
و كذلك الأمر في هذا الجانب ، أي جملة (مغرور بنفسه) و التي سيكون عدلها جملة (ليس مغروراً
بنفسه) ؛ و لأن الجملة السابقة الاستفهامية تحوي جملة (يدرس) بدلاً من جملة (ليس مغروراً بنفسه) ،
لذا يجب القول أنّ جملة (ليس مغروراً بنفسه) منطوية و متضمنة في هذه الجملة . و تكون النتيجة
(حسن ليس مغروراً بنفسه و يدرس) أو (حسن مغرور بنفسه و لا يدرس) .

يجب أن يكون طرفا الجملة في الاستفهام نفيًا و اثباتًا :

يدرس حسن مغرور بنفسه

ليس مغروراً بنفسه أو لا يدرس

و لم يكن في الآية المباركة أيضاً طرفي الجملة الاستفهامية (النفي والاثبات) لكي تنتفي الحاجة الى
جملة ضمنية أخرى (لأن يَهْدَى كان في الاصل يهندي ، و القاعدة في باب الافتعال جواز إدغام تاء
الافتعال في عين الفعل بعد قلبه الى عين الفعل) و تكون نتيجة المعنى : هل أنّ الذي يهدي الى الحقّ
أحقّ أن يُتَّبَع ، أم الذي لا يهندي بنفسه الاً بهداية الغير ؟ لأن جملة (يهدي الى الحقّ) عدلها جملة (لا
يهدي الى الحقّ) .

لذا يُستفاد من ذلك أنّ الذي لا يهندي الاً بهداية الغير لا يهدي الى الحقّ ؛ و كذلك فلأنّ جملة
(مَنْ لَا يَهْدَى إِلَّا أَنْ يُهْدَى) سيكون عدلها (من يهندي بنفسه) ، لذا يُستفاد أنّ الذي يهدي الى الحقّ هو
الذي يهندي بنفسه و بذاته لا بهداية الغير .

من يهدي الى الحقّ من لا يهندي (يهندي) الاً أن يهدى

أحقّ أن يُتَّبَع

من يهندي بنفسه من لا يهدي الى الحقّ

و لذلك فإنّه يستفاد من هذه الآية جيّداً أنّه يجدر بالإنسان أن يتَّبَع من يهدي الى الحقّ ، و هو
بالطبع من يهندي بنفسه لا بهداية غيره ، و ذلك هو الإمام المعصوم الذي لا يعبد غير الله في أيّ
لحظة ، و لا يصدر منه أيّ معصية ، و مثل هذا الإنسان قد اهتدى على يدالله نفسه دون تدخل
واسطةٍ ما ؛ أمّا من عَبَدَ غيرالله مدّةً ، أو من صدرت منه معصية مهما تنبّه واهتدى فعلاً على يد الغير
فصار عابداً لله و عادلاً ، لكنّه غير لائق لمقام الإمامة و لا للتَّبَاع .

و يجب أن نعلم بالطبع أنّ كلمة (أحقّ) في الآية الشريفة ، و هي من أدوات التفضيل و الدالة على
رجحان متابعة الحقّ لا لزومه ، مبنية على قواعد فنّ المناظرة و المباحثة لتحريك عصبية الطرف
المقابل ، و الاً فإنّ من الجلي أنّ تبعية غير الحقّ غير جائزة كلياً ، و إنّ اتِّبَاع الحقّ لازم و واجب في
كلّ الأحوال ، و بالنتيجة فإنّ اتِّبَاع الإمام المعصوم واجب ، و اتِّبَاع الإمام غير المعصوم حرام .

هذه هي احدى الطرق الاستدلالية التي احتجّ بها كبار علماء الشريعة في لزوم اتِّبَاع الإمام
المعصوم ، و نقلوا تبعاً للروايات المتواترة عن رسول الله : أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه
السلام لم يعبد صنماً ءانا واحداً و لم يرتكب معصية و لو للحظةٍ واحدة ، و لا مكان للشكّ في أنّه
تربّى في حضن رسول الله ، و كان أوّل شخص ءامن بالرسول و هو صبيّ لم يبلغ الحلم .

نُقل في (الأُمالي) للشيخ الطوسي مسنداً ، و كذلك في (المناقب) لابن المغازلي مرفوعاً عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم في الآية : [لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] عن قول الله لإبراهيم : مَنْ سَجَدَ لِصَنَمٍ دُونِي لَا أَجْعَلُهُ إِمَامًا . قال عليه السَّلَام : وَ انْتَهَتْ الدَّعْوَةُ إِلَيَّ وَ إِلَى أَخِي عَلِيٍّ ، لَمْ يَسْجُدْ أَحَدُنَا لِصَنَمٍ قَطَّ (5) .

عَلِيٍّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ مَعَ عَلِيٍّ :

يروى السيّد هاشم البحراني (6) خمس عشرة رواية عن طريق العامّة واحدى عشرة رواية عن طريق الخاصّة في أنّ عليّاً مع الحقّ و الحقّ مع عليٍّ ، و في أنّه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله في شأنه : اللهم أدر الحقّ معه حيثما دار ، و في لزوم متابعتة و الإقتداء بسيرته ، و نذكر هنا باختصار و بحذف السند الروايات التي نقلت عن العامّة مع احدى الروايات التي نقلت عن طريق الخاصّة .

- 1 . يروي إبراهيم بن محمد الحموي ، و هو أحد علماء العامّة ، و
- 2 . الموقّف بن أحمد الخوارزمي باسنادهما المتّصل عن شهر بن حوشب ؛ و
- 3 . الزمخشري في (ربيع الأبرار) مُرسلاً (7) ، قال شهر بن حوشب : كنتُ عند أمّ سلمة رضي الله عنها ، إذ استأذن رجل فقالت له : من أنت ؟

قال : أنا أبو ثابت مولى عليٍّ عليه السلام .

فقالت أمّ سلمة : مرحباً بك يا أبا ثابت أدخل ، فدخل و رحّبت به .

ثم قالت : يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها ؟

قال : تبع عليٍّ عليه السلام .

فقالت : وُفِّقَت و الذي نفسي بيده ؛ لقد سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلّم يقول :

عليٌّ مع الحقّ و القرءان ، و الحقّ و القرءان مع عليٍّ ، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض . (8) و (9)

و ورد في رواية الموقّف بن أحمد الخوارزمي أنّ أبا ثابت قال : مولى أبي ذر ، ثم يقول بعد بيان حديث أمّ سلمة : وَ لَقَدْ بَعَثْتُ ابْنِي عُمَرَ ، وَابْنَ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَ أَمَرْتُهُمَا أَنْ يُقَاتِلَا مَعَ عَلِيٍّ مَنْ قَاتَلَهُ ، وَ لَوْ لَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنَا أَنْ نَقَرَّ فِي حِجَالِنَا وَ فِي بُيُوتِنَا لَخَرَجْتُ وَ كُنْتُ حَتَّى أَقْفَ فِي صَفِّ عَلِيٍّ .

- 4 . يروي الحموي باسناده المتّصل عن أبي حيّان التميمي ، عن أبيه ، عن عليٍّ عليه السلام .

5 . في كتاب (الجمع بين الصحاح السنّة) تأليف رزين إمام الحرمين ، عن (صحيح البخاري) ، عن

أميرالمؤمنين عليه السلام .

6 . من الجزء الأول من كتاب (الفردوس) ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

7 . يروي الموقّف بن أحمد الخوارزمي باسناده المتّصل عن أبي الحباب التميمي ، عن أبيه ، عن

عليٍّ عليه السلام قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَلِيّاً ، اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ . و يقول الخوارزمي : أخرج أبو عيسى الترمذي في جوامعه .

8 . يروي الحموي باسناده المتّصل عن أخي دعبل الخزاعي ، عن هارون الرشيد ، عن الأزرق بن

قيس ، عن عبدالله بن عباس قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم : الْحَقَّ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ دَارَ (10) .

9 . عن كتاب (فضائل الصحابة) بإسناده المتصل عن الأصبغ بن نباته ، عن محمد بن أبي بكر ، عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ .

10 . الموفق بن أحمد الخوارزمي بإسناده المتصل عن شريك ، عن سليمان الأعمش ، عن ابراهيم ، عن علقمة و الأسود قالوا : سَمِعْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقولُ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ : تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنِيَّةُ وَ أَنْتَ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَكَ يَا عَمَّارُ ، إِذَا رَأَيْتَ عَلِيًّا سَلَكَ وَادِيًا وَ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا غَيْرَهُ : فَاسْأَلْكَ مَعَ عَلِيٍّ وَدَعِ النَّاسَ ، إِنَّهُ لَنْ يَدُلَّكَ عَلَى رَدَى ، وَ لَنْ يُخْرِجَكَ عَنْ الْهُدَى .

يَا عَمَّارُ إِنَّهُ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَلِيًّا عَلَى عَدُوِّهِ ، قَلَدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَشَاحًا مِنْ دُرٍّ ، وَ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَدُوَّ عَلِيٍّ قَلَدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَشَاحًا مِنْ نَارٍ . قَالَ : قُلْتُ : حَسْبُكَ .

لقاء علقمة و الأسود عند أبي أيوب الأنصاري و المذاكرة في خلافة علي عليه السلام :

11 . يروي ابراهيم بن محمد الحموي بإسناده المتصل عن الأعمش ، عن ابراهيم ، عن علقمة و الأسود قال : قالوا : أَتَيْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ وَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا أَيُّوبَ ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَكْرَمَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم وَ صَفَا لَكَ مِنْ فَضْلِهِ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا بَهَا ! أَخْبِرْنَا بِمُخْرِجِكَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَقَاتِلُ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! (يقصدان حربه مع أصحاب معاوية المسلمين ظاهراً) .

فقال (أبو أيوب) : أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مَعِي ، وَ مَا فِي الْبَيْتِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم وَ عَلِيٍّ جَالِسٍ عَنْ يَمِينِهِ وَ أَنَا جَالِسٌ عَنْ يَسَارِهِ ، وَ أَنَسُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِذْ حَرَّكَ الْبَابَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم : إِفْتَحْ لِعَمَّارِ الطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ .

فَفَتَحَ النَّاسُ (11) الْبَابَ وَ دَخَلَ عَمَّارٌ ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَرَحَّبَ بِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ لِعَمَّارٍ ، إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي بَعْدِي هُنَاةٌ ، حَتَّى يَخْتَلِفَ السَّيْفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَحَتَّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الْأَصْلَعِ عَنْ يَمِينِي ، يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ .

فَإِنَّ سَلَكَ النَّاسُ كُلَّهُمْ وَادِيًا وَ سَلَكَ عَلِيٌّ وَادِيًا ، فَاسْأَلْكَ وَادِيَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خَلَّ عَنِ النَّاسِ . يَا عَمَّارُ ! إِنَّ عَلِيًّا لَا يَزِدُّكَ عَنْ هُدَى وَ لَا يَدُلُّكَ عَلَى رَدَى . يَا عَمَّارُ ! طَاعَةُ عَلِيٍّ طَاعَتِي ، وَ طَاعَتِي طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

12 . الموفق بن أحمد الخوارزمي ، بإسناده المتصل عن أبي ليلي قال :

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم : سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْزَمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ (12) .

13 . الحموي بإسناده عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال :

قال رسول الله صَلَّى الله عليه [و ءاله] و سَلَمَ : عَلِيّ طَاعَتْهُ طَاعَتِي وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي .
 14 . عن كتاب (الفردوس) بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه [و ءاله] و سَلَمَ : تَفْتَرِقُ أُمَّتِي فِرْقَتَيْنِ ، فَيَمْرُقُ بَيْنَهُمَا فِرْقَةٌ مَارِقَةٌ ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ .
 15 . يروي عامر الشعبي ، و هو من النواصب و المنحرفين عن أميرالمؤمنين ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي بكر قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : أَلْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ وَ عَلِيٍّ مَعَ الْحَقِّ .
 كانت هذه هي الروايات التي ذُكرت في (غاية المرام) عن طريق أهل السنة ، و لقد نُقلت احدى عشرة رواية عن طريق الشيعة ، نكتفي بذكر إحداها :

عيادة عطا لعبدالله بن عباس و التذاكر في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام:

ينقل ابن بابويه بإسناده المتصل عن عبد الحميد الأعرج ، عن عطا قال :
 دخلنا على عبدالله بن العباس و هو ليل بالطائف و قد ضعف ، فسَلَمنا عليه و جلسنا ، فقال لي :
 يا عطا ، مَنْ القوم ؟

فقلت : يا سيدي شيوخ هذا البلد ، منهم عبدالله بن سلمة بن هرم ، و عمارة بن الأجلح ، و ثابت بن مالك ، فمزلتُ أذكر له واحداً بعد واحد ، ثم تقدموا اليه و قالوا : يا ابن عم رسول الله ! انك رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله و سمعتُ منه ما سمعتُ ، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأمة ، فقومٌ قدّموا علياً على غيره ، و قومٌ جعلوه بعد ثلاثة !

قال : فَتَنَّفَسَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَءَالِهِ يَقُولُ : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، وَ هُوَ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ فَارَ وَ نَجَا ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ضَلَّ وَ عَوَى ، يَلِي تَكْفِينِي وَغَسَلِي وَ يَقْضِي دِينِي وَ أَبُو سِبْطِيِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، وَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ تَخْرُجُ الْأُمَّةُ التَّسَعَةُ ، وَ مِنَّا مَهْدِي هَذِهِ الْأُمَّةِ .

فقال له عبدالله بن سلمة الحضرمي : يا ابن عم رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله ، فهل لا كنت تعرفنا قبلاً؟!

فقال : قد والله أديتُ ما سمعتُ وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ .
 ثم قال : انقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةً مِنْ اعْتَبَرَ تَمَهِيدًا ، وَ أَبْقَى فِي وَجَلٍ ، وَ كَمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَ رَغَبَ فِي طَلَبٍ ، وَ هَرَبَ فِي هَرَبٍ ، فَاعْمَلُوا لِأَخْرَجِكُمْ قَبْلَ حُلُولِ آجَالِكُمْ ، وَ تَمَسَّكُوا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ تَمَسَّكَ بِعِزَّتِي مِنْ بَعْدِي كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ .

ثم بكى بكاءً شديداً ، فقال له القوم : أتبكي و مكانك من رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله مكانك؟!
 فقال لي : يا عطا انما أبكي لخصلتين لهول المطلع و فراق الأحيّة .

ثم تفرق القوم فقال : يا عطا خذ بيدي واحملي الى صحن الدار ، فأخذنا بيده أنا و سعيد و حملناه

الى صحن الدار ، ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَءَالِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِوَلَايَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَقَمْنَاهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ (13) .

سبب مخالفة المعاندين لخلافة أمير المؤمنين :

و على كلِّ حال ، فلو سأل سائل : كيف حصل . مع وجود هذه النصوص الصريحة الواصلة عن رسول الله ، و التي نقل الكثير منها الخلفاء الثلاثة و عائشة بأنفسهم . أن صرف هؤلاء الخلافة عنه عليه السلام ، فارتقوا منبر النبي و تربّعوا في مقام الخلافة بدلاً من أمير المؤمنين ؟

فالجواب هو قول رسول الله الذي رواه أهل السنة أيضاً : حُبَّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي و يُصِمُّ (14) .

فمن أحبَّ شيئاً و كانت محبته هذه نابعة من الإحساسات ، و كان هوى النفس و القوى الدنيّة مؤثرة في نشأتها ، فإنَّ ذلك الشخص سيكون أعمى و أصمَّ بالنسبة الى غير ذلك المقصود و المحبوب ، اي أنه لن يرى غير ذلك الهدف و لن يسمع غير ذلك الكلام . و ليس خفياً على أرباب الملل و النحل ، و لا مُبهماً على المطلّعين على السيرة و التاريخ ، أنَّ غصب مقام الخلافة من ءال بيت الرسول صلى الله عليه و ءاله لم يكن له من داعٍ الآ حبّ الحكومة و التروّس على المسلمين ، و الآ بروز النزعة الشخصية ، لذا فان جميع هذه الأحاديث و النصوص لن تجدي شيئاً مع وجود تلك الغريزة المهلكة ، فستدفع بها جميعاً . عندما تريد نيل هدفها . الى طوفان البلاء ليحرفها أشبه بقشّة و أعشاب يابسة ، و لا تتورّع عن مواجهتها لهدفها عن محاربة أهل البيت ، أو عن إحراق باب بيت بضعة رسول الله ، أو عن اقتياد مقام الولاية و جزه الى المسجد قسراً ، ثم السعي بحدّ السيف المُشرع للإدعاء بتسليمه و خضوعه مقابل هذه التعديّات .

و هذه مسألة يجب التأمل و التدقيق فيها ، لأنَّ مقام العلم و إدراك الحقائق أمر ، و مرحلة خضوع النفس و انقيادها الى الحقّ أمر آخر منفصل عنه ، و هكذا فإنَّ الكثير من الذين تردّوا في بئر الطبيعة و هاويتها لم يحصل ذلك لهم بجهلهم بطريق الصلاح ، فما أكثر من امتلك منهم علماً كافياً فصار يميّز جيّداً بين القبيح و الحسن ؛ ولكنهم أوقعوا أنفسهم عملاً . بسيطرة القوى النفسية و عدم انقيادها لمملكة العقل و يغلبة الغرائز الشهويّة . في مثل تلك الاعمال القبيحة الذميمة .

لذا فإنَّ دعوة الأنبياء و الأئمّة الأطهار مبنية على إصلاح النفس و الخضوع و الانقياد أمام الحق ، قال الله العليّ الأعلى :

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّبَهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّبَهَا (15) .

لقد كان عُمر يعلم جيداً بمقام و منزلة و شخصيّة المولى أمير المؤمنين ، فهناك روايات كثيرة وردت عن أهل السنّة يعترف فيها بنفسه بذلك ، و ينقل بشأنها الأحاديث عن رسول الله ، و لكن . و كما ذكر . فانَّ اتّباع الحقّ يستلزم طهارة النفس و صفاء الباطن و الانقياد ، و أين هذا ؟

يقول العلامة الأميني : أخرج الحافظ الدار قطني و ابن عساكر : أنّ رجلين أتيا عمر بن الخطاب

و سألاه عن طلاق الأمة ، فقام معها فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجلٌ أصلع فقال : أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة؟! فرفع رأسه إليه ثم اوحى إليه بالسبابة و الوسطى ، فقال لهما عمر : تطليقتان .

فقال أحدهما : سبحان الله ، جنّناك و أنت أميرالمؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومى إليك .

فقال لهما : تدریان من هذا ؟ قالوا : لا .

قال : هذا عليّ بن أبي طالب ، أشهدُ على رسولِ الله صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم لسمعتُهُ و هو يقولُ : إنّ السّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَا فِي كَفَّةٍ ثُمَّ وُضِعَ إِيمَانُ عَلِيٍّ فِي كَفَّةٍ لَرَجَحَ إِيمَانُ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ (16) .

ثم يقول العلامة الأميني : و في لفظ الزمخشري : جنّناك و أنت الخليفة فجنّت الى رجل فسألته ، فوالله ما كلمتُك . فقال له عمر : ويحك أتدري من هذا ؟ الحديث .

و نقله عن الحافظين : الدار قطني و ابن عساكر : الكبخي في (الكفاية) ص 129 و قال : هذا حسنٌ ثابت . و رواه من طريق الزمخشري خطيب الحرمين الخوارزمي في (المناقب) ، ص 78 ، و السيّد علي الهمداني في (مودّة القريب) ، و حديث الميزان (17) .

رواه عن عمر محبّ الدين الطبري في (الرياض) ، ص 244 ، والصفوري في (نزهة المجالس) ، ج 2 ، ص . 240
تعليقات:

- (1) ذيل الآية 35 ، من السورة 10 : يونس .
- (2) صدر الآية 35 ، من السورة 10 : يونس .
- (3) الآية 50 ، من السورة 20 : طه .
- (4) الآية 2 و 3 ، من السورة 87 : الأعلى .
- (5) تفسير الميزان) ، ج 1 ، ص . 282
- (6) غاية المرام) ، ص 539 و ص . 540
- (7) يقول الزمخشري : استأذن أبو ثابت مولى عليّ ... الخ .
- (8) وينقل هذه الروايات الثلاثة في (بنابيع المودّة) ، ص 90 بأدنى اختلاف في اللفظ .
- (9) يروي (بنابيع المودّة) ص 90 عن جمع الفوائد معيّة عليّ للقرءان و عدم افتراقهما حتّى يرثي الحوض ثم يقول : للأوسط و الصغير .
- (10) و يذكر هذه الرواية أيضاً في (بنابيع المودّة) ، ص . 91
- (11) الظاهر أنّه (أنس) .

(12) روى هذه الرواية في (بنابيع المودّة) ، ص 82 عن (الإصابة) بأدنى تغيير ، ويقول : و في كتاب (الإصابة) ، أبو ليلي الغفاري قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه [و ءاله] وسلّم يقول : تكون

من بعدي فتنة ، فاذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب ، فأنه أوّل من ءامن بي ، و أوّل من يصافحني يوم القيامة ، و هو الصديق الأكبر ، و هو فاروق هذه الأمة ، و هو يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب المنافقين .

13) غاية المرام) ، ص 541 ؛ و قد أورد في كتاب (عليّ و الوصيّة) من ص 61 الى 65

أحاديثاً باسناد مختلفة في معيّة أميرالمؤمنين للحقّ و القرآن .

14) روى المسعودي هذا الحديث في (مروج الذهب) ، ج 2 ، ص . 302

15) الآية 9 و 10 ، من السورة 91 : الشمس .

16) (الغدير) ، ج 2 ، ص . 299

17) يعني ذيل الحديث اعلاه ، اي جملة : لو انّ السموات السّبع ... الخ .

17) يعني ذيل الحديث اعلاه ، اي جملة : لو انّ السموات السّبع ... الخ .

الدرس الثاني عشر: الهداية إلى الحق تلزم للعصمة

بسم الله الرحمن الرحيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (1) .

يعلم الله سبحانه رسول في هذه الآية المباركة كيفية محاجة المشركين ، و كيف يُثبت لهم أنّ شركاء الله لا يستحقون الحمد والاتباع ، وأساس هذا الاحتجاج قائم على لزوم اتباع الصدق و الإعراض عن غير الحق .

و هذا الاحتجاج احتجاج عقليّ لأنّه يستند الى أصل عام و كليّ ، و هو لزوم الاتباع الدائم للحقّ ، و لذلك فإنّه أفضل دليل للزوم اتباع الامام المعصوم . وعلينا . من أجل الورد في أصل الاحتجاج . أن نبين ذلك المبني كمقدمة للبحث .

لزوم اتباع الحق:

إنّ أحد الأحكام الفطريّة و العقليّة للإنسان ، هو لزوم اتباع الحقّ ، وهذا الحكم قانون عام يستند عليه الإنسان دائماً ، و اذا ما انحرف عنه أحياناً في أعماله و أقواله فمال الى غير الحقّ بسبب هوى نفسه أو شبهة أو خطأ قد يبدر منه ، فإنّه سيكون بسبب ظنّه أنّه حقّ ، و لقد تبع غيرالحق لالتباس الأمر عليه ، لذا فإنّه حين يعتذر ، يجعل بأنّه قد ظنّ ذلك حقّاً .

و على هذا فإنّ الحقّ واجب الاتباع بدون أيّ قيد أو شرط ، و يتفرّع على هذا الأصل قاعدة اخرى ، هي أنّ الذي يهدي الى الحقّ يجب اتّباعه لأنّه مع الحقّ و دالّ على الحقّ ، و بناءً على هذا يجب تقديمه في الاتّباع على الآخر الذي لا يدلّ على الحقّ أو الذي يدلّ على غير الحقّ ، لأنّ اتّباع الهادي الى الحقّ هو اتّباع للحقّ الموجود معه .

و قد ذكرنا آنفاً أنّ اتّباع ذات الحقّ حكم ضروري فطريّ عقليّ ، وعلى هذا الأساس أقام القرءان الكريم استدلاله ضدّ المشركين في هذه الآية المباركة ، فهو يسألهم أولاً باستفهام : قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ (2) .

و من الجليّ أنّ المشركين ليس لديهم جواب إيجابيّ في هذا المجال ، لأنّ الشركاء الذين يجعلونهم لله إمّا من الجمادات مثل الأصنام ، أو من الأحياء مثل الملائكة و أرباب الأنواع و الجنّ و طواغيت الزمان والفراعنة و حكام الجور الذين يتابعونهم ، و من الواضح أنّ أيّاً منهم لا يهدي الى الحقّ ، لأنّهم

لا يملكون لأنفسهم ضرراً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياةً و لا نشوراً . و لأنهم ليس لديهم جواب ايجابي ، فان الله جعل على لسان نبيه ان يجيبهم فوراً جواباً ابتدعه بنفسه فيقول : قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ . الله هو الهادي الى الحق ، يهدي كلّ موجود في مقاصده التكوينية الى ما يحتاجه ، و هو الذي يرسل اليه ما يحتاجه ، كما في قوله تعالى :

رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (3) .

فعندما سأل فرعونُ هارونَ و موسى : من ربكما ؟ قالوا : ربنا الذي أعطى كلّ موجود في عالم الخلق احتياجاته الوجودية و خلقه تامّ الخلقة ، ثم هداه الى كماله .

و مثل قوله : الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (4) .

فانّ الله هو الذي خلق ثم لحظ في الخلقة التعادل و التناصب من جميع الجهات ، و هو الذي خلق كلّ موجود في العالم بقدر و حدّ معين ، ثم يسيره في طريق الكمال . و بناءً على هذا فانّ الله هو الذي هدى الإنسان الى سعادة الدنيا ، و دعاه الى الجنة و السعادة المطلقة بإرساله للأنبياء و الكتب السماوية و الأحكام الالهية .

لزوم اتباع الامام المعصوم مبنياً على أصل لزوم اتباع الحق:

و على كلّ حال ، فانّ رسول الله لما انتزع في مقام الاحتجاج اعترافين من المشركين ، الأول : أن ليس من شركائهم من يهدي الى الحق .

و الثاني : أن الله هو وحده الهادي الى الحق .

فانه يرى لزماً و واجباً أن يسأل هذا السؤال :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ؟

و من الواضح أنّ جواب هذا السؤال هو ان يقولوا أنّ الله الذي يهدي الى الحقّ أحقّ أن يُتَّبَعَ ، بيد ان الكفار و المشركين لا يلتزمون عملياً بهذا المنطق ، و يعبدون الشركاء الذين لا يهدون الى الحقّ ، و يُعرضون عن عبادة الله الذي لا شريك له و الذي يهدي الى الحقّ ، و بذلك يجعلون حُجُباً على القوى الفطرية و الأحكام العقلية ، و يتعاملون خلاف ناموس الفطرة والعقل . لذا فانّ النبي يُخاطبهم من باب التوبيخ و اللوم :

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟

و ينبغي إعمال دقّة النظر عند المقابلة بين جملة أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ و بين جملة أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ، لنرى كيف جعلت هاتان الجملتان عدلاً لبعضهما ؟

لأنّ من الواضح أنّ السائل بطريق الاستفهام ينبغي أن ينفي طرفاً من الجملة ، كأن يقول : أَرَأَيْتَ زَيْدًا أَمْ لَا ؟ أَدْرَسَ حَسَنٌ أَمْ لَمْ يَدْرُسْ ؟

أمّا اذا استفهم مثلاً : أيدرس حسن أم أنّه مغرورٌ بنفسه ؟ فانّ من اللازم ، من أجل أن تكون هذه المعادلة الاستفهامية صحيحة ، أن يُقال : إنّ المغرور بنفسه لا يدرس .

و بناءً على ذلك فإنّ هناك جملة منطوية و ضمنيّة في جملة (مغرور بنفسه) ، و هي (لا يدرس) .
و كذلك الأمر في هذا الجانب ، أي جملة (مغرور بنفسه) و التي سيكون عدلها جملة (ليس مغروراً
بنفسه) ؛ و لأن الجملة السابقة الاستفهاميّة تحوي جملة (يدرس) بدلاً من جملة (ليس مغروراً بنفسه) ،
لذا يجب القول أنّ جملة (ليس مغروراً بنفسه) منطوية و متضمّنة في هذه الجملة . و تكون النتيجة
(حسن ليس مغروراً بنفسه و يدرس) أو (حسن مغرور بنفسه و لا يدرس) .

يجب أن يكون طرفا الجملة في الاستفهام نفيّاً و اثباتاً :

يدرس حسن مغرور بنفسه

ليس مغروراً بنفسه أو لا يدرس

و لم يكن في الآية المباركة أيضاً طرفي الجملة الاستفهاميّة (النفي والاثبات) لكي تنتفي الحاجة الى
جملة ضمنيّة أخرى (لأن يَهْدَى كان في الاصل يهندي ، و القاعدة في باب الافتعال جواز إدغام تاء
الافتعال في عين الفعل بعد قلبه الى عين الفعل) و تكون نتيجة المعنى : هل أنّ الذي يهدي الى الحقّ
أحقّ أن يُتَّبَع ، أم الذي لا يهندي بنفسه الاً بهداية الغير ؟ لأن جملة (يهدي الى الحقّ) عدلها جملة (لا
يهدي الى الحقّ) .

لذا يُستفاد من ذلك أنّ الذي لا يهندي الاً بهداية الغير لا يهدي الى الحقّ ؛ و كذلك فلائج جملة
(مَنْ لا يَهْدَى إلاّ أَنْ يُهْدَى) سيكون عدلها (من يهندي بنفسه) ، لذا يُستفاد أنّ الذي يهدي الى الحقّ هو
الذي يهندي بنفسه و بذاته لا بهداية الغير .

من يهدي الى الحقّ من لا يهندي (يهندي) الاّ أَنْ يُهْدَى

أحقّ أَنْ يُتَّبَع

من يهندي بنفسه من لا يهدي الى الحقّ

و لذلك فإنّه يستفاد من هذه الآية جيّداً أنّه يجدر بالإنسان أن يتَّبَع من يهدي الى الحقّ ، و هو
بالطبع من يهندي بنفسه لا بهداية غيره ، و ذلك هو الإمام المعصوم الذي لا يعبد غير الله في أيّ
لحظة ، و لا يصدر منه أيّ معصية ، و مثل هذا الإنسان قد اهتدى على يدالله نفسه دون تدخل
واسطةٍ ما ؛ أمّا من عَبَدَ غيرالله مدّةً ، أو من صدرت منه معصية مهما تنبّه واهتدى فعلاً على يد الغير
فصار عابداً لله و عادلاً ، لكنّه غير لائق لمقام الإمامة و لا للتَّبَاع .

و يجب أن نعلم بالطبع أنّ كلمة (أحقّ) في الآية الشريفة ، و هي من أدوات التفضيل و الدالّة على
رجحان متابعة الحقّ لا لزومه ، مبنية على قواعد فنّ المناظرة و المباحثة لتحريك عصبية الطرف
المقابل ، و الاّ فإنّ من الجليّ أنّ تبعيّة غير الحقّ غير جائزة كليّاً ، و إنّ اتِّبَاع الحقّ لازم و واجب في
كلّ الأحوال ، و بالنتيجة فإنّ اتِّبَاع الإمام المعصوم واجب ، و اتِّبَاع الإمام غير المعصوم حرام .

هذه هي احدى الطرق الاستدلاليّة التي احتجّ بها كبار علماء الشريعة في لزوم اتِّبَاع الإمام
المعصوم ، و نقلوا تبعاً للروايات المتواترة عن رسول الله : أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه
السلام لم يعبد صنماً ءانا واحداً و لم يرتكب معصية و لو للحظةٍ واحدة ، و لا مكان للشكّ في أنّه
تربّى في حضن رسول الله ، و كان أوّل شخص ءامن بالرسول و هو صبيّ لم يبلغ الحلم .

نُقل في (الأُمالي) للشيخ الطوسي مسنداً ، و كذلك في (المناقب) لابن المغازلي مرفوعاً عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم في الآية : [لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] عن قول الله لإبراهيم : مَنْ سَجَدَ لِصَنَمٍ دُونِي لَا أَجْعَلُهُ إِمَامًا . قال عليه السَّلَام : وَ انْتَهَتْ الدَّعْوَةُ إِلَيَّ وَ إِلَى أَخِي عَلِيٍّ ، لَمْ يَسْجُدْ أَحَدُنَا لِصَنَمٍ قَطَّ (5) .

عَلِيٍّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ مَعَ عَلِيٍّ :

يروى السيّد هاشم البحراني (6) خمس عشرة رواية عن طريق العامّة واحدى عشرة رواية عن طريق الخاصّة في أنّ عليّاً مع الحقّ و الحقّ مع عليٍّ ، و في أنّه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله في شأنه : اللهم أدر الحقّ معه حيثما دار ، و في لزوم متابعتة و الإقتداء بسيرته ، و نذكر هنا باختصار و بحذف السند الروايات التي نقلت عن العامّة مع احدى الروايات التي نقلت عن طريق الخاصّة .

- 1 . يروي إبراهيم بن محمد الحموي ، و هو أحد علماء العامّة ، و
- 2 . الموقّف بن أحمد الخوارزمي باسنادهما المتّصل عن شهر بن حوشب ؛ و
- 3 . الزمخشري في (ربيع الأبرار) مُرسلاً (7) ، قال شهر بن حوشب : كنتُ عند أمّ سلمة رضي الله عنها ، إذ استأذن رجل فقالت له : من أنت ؟

قال : أنا أبو ثابت مولى عليٍّ عليه السلام .

فقالت أمّ سلمة : مرحباً بك يا أبا ثابت أدخل ، فدخل و رحّبت به .

ثم قالت : يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها ؟

قال : تبع عليٍّ عليه السلام .

فقالت : وُفِّقَت و الذي نفسي بيده ؛ لقد سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلّم يقول :

عليٌّ مع الحقّ و القرءان ، و الحقّ و القرءان مع عليٍّ ، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض . (8) و (9)

و ورد في رواية الموقّف بن أحمد الخوارزمي أنّ أبا ثابت قال : مولى أبي ذر ، ثم يقول بعد بيان حديث أمّ سلمة : وَ لَقَدْ بَعَثْتُ ابْنِي عُمَرَ ، وَابْنَ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَ أَمَرْتُهُمَا أَنْ يُقَاتِلَا مَعَ عَلِيٍّ مَنْ قَاتَلَهُ ، وَ لَوْ لَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَنَا أَنْ نَقَرَّ فِي حِجَالِنَا وَ فِي بُيُوتِنَا لَخَرَجْتُ وَ كُنْتُ حَتَّى أَقْفَ فِي صَفِّ عَلِيٍّ .

- 4 . يروي الحموي باسناده المتّصل عن أبي حيّان التميمي ، عن أبيه ، عن عليٍّ عليه السلام .

5 . في كتاب (الجمع بين الصحاح السنّة) تأليف رزين إمام الحرمين ، عن (صحيح البخاري) ، عن

أميرالمؤمنين عليه السلام .

6 . من الجزء الأول من كتاب (الفردوس) ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام .

7 . يروي الموقّف بن أحمد الخوارزمي باسناده المتّصل عن أبي الحباب التميمي ، عن أبيه ، عن

عليٍّ عليه السلام قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا ، اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ . و يقول الخوارزمي : أخرج أبو عيسى الترمذي في جوامعه .

8 . يروي الحموي باسناده المتّصل عن أخي دعبل الخزاعي ، عن هارون الرشيد ، عن الأزرق بن

قيس ، عن عبدالله بن عباس قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم : الْحَقَّ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ دَارَ (10) .

9 . عن كتاب (فضائل الصحابة) بإسناده المتصل عن الأصبغ بن نباته ، عن محمد بن أبي بكر ، عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ .

10 . الموفق بن أحمد الخوارزمي بإسناده المتصل عن شريك ، عن سليمان الأعمش ، عن ابراهيم ، عن علقمة و الأسود قالوا : سَمِعْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ : تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنِيَّةُ وَ أَنْتَ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَكَ يَا عَمَّارُ ، إِذَا رَأَيْتَ عَلِيًّا سَلَكَ وَادِيًا وَ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا غَيْرَهُ : فَاسْأَلْكَ مَعَ عَلِيٍّ وَدَعَ النَّاسَ ، إِنَّهُ لَنْ يَدُلَّكَ عَلَى رَدَى ، وَ لَنْ يُخْرِجَكَ عَنْ الْهُدَى .

يَا عَمَّارُ إِنَّهُ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَلِيًّا عَلَى عَدُوِّهِ ، قَلَدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَشَاحًا مِنْ دُرٍّ ، وَ مَنْ تَقَلَّدَ سَيْفًا أَعَانَ بِهِ عَدُوَّ عَلِيٍّ قَلَدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَشَاحًا مِنْ نَارٍ . قَالَ : قُلْتُ : حَسْبُكَ .

لقاء علقمة و الأسود عند أبي أيوب الأنصاري و المذاكرة في خلافة علي عليه السلام :

11 . يروي ابراهيم بن محمد الحموي بإسناده المتصل عن الأعمش ، عن ابراهيم ، عن علقمة و الأسود قال : قالوا : أَتَيْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ وَقُلْنَا لَهُ : يَا أَبَا أَيُّوبَ ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَكْرَمَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم وَ صَفَا لَكَ مِنْ فَضْلِهِ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا بَهَا ! أَخْبِرْنَا بِمُخْرِجِكَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَقَاتِلُ أَهْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! (يقصدان حربه مع أصحاب معاوية المسلمين ظاهراً) .

فقال (أبو أيوب) : أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مَعِي ، وَ مَا فِي الْبَيْتِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم وَ عَلِيٍّ جَالِسٍ عَنْ يَمِينِهِ وَ أَنَا جَالِسٌ عَنْ يَسَارِهِ ، وَ أَنَسُ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، إِذْ حَرَكَ الْبَابَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم : إِنْ عَلِيًّا لَا يَزِدُّكَ عَنْ هُدَى وَ لَا يَدُلُّكَ عَلَى رَدَى . يَا عَمَّارُ ! طَاعَةُ عَلِيٍّ طَاعَتِي ، وَ طَاعَتِي طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَفَتَحَ النَّاسُ (11) الْبَابَ وَ دَخَلَ عَمَّارٌ ، فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَحَرَّبَ بِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ لِعَمَّارٍ ، إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي بَعْدِي هُنَاةٌ ، حَتَّى يَخْتَلِفَ السَّيْفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَحَتَّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِهَذَا الْأَصْلَعِ عَنْ يَمِينِي ، يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ .

فَإِنْ سَلَكَ النَّاسُ كُلَّهُمْ وَادِيًا وَ سَلَكَ عَلِيٌّ وَادِيًا ، فَاسْأَلْكَ وَادِيَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ خَلَّ عَنِ النَّاسِ . يَا عَمَّارُ ! إِنَّ عَلِيًّا لَا يَزِدُّكَ عَنْ هُدَى وَ لَا يَدُلُّكَ عَلَى رَدَى . يَا عَمَّارُ ! طَاعَةُ عَلِيٍّ طَاعَتِي ، وَ طَاعَتِي طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

12 . الموفق بن أحمد الخوارزمي ، بإسناده المتصل عن أبي ليلي قال :

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم : سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْزَمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ (12) .

13 . الحموي بإسناده عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال :

قال رسول الله صَلَّى الله عليه [و ءاله] و سَلَمَ : عَلِيّ طَاعَتْهُ طَاعَتِي وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي .
 14 . عن كتاب (الفردوس) بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه [و ءاله] و سَلَمَ : تَفْتَرِقُ أُمَّتِي فِرْقَتَيْنِ ، فَيَمْرُقُ بَيْنَهُمَا فِرْقَةٌ مَارِقَةٌ ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ .
 15 . يروي عامر الشعبي ، و هو من النواصب و المنحرفين عن أميرالمؤمنين ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي بكر قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : أَلْحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ وَ عَلِيٍّ مَعَ الْحَقِّ .
 كانت هذه هي الروايات التي ذُكرت في (غاية المرام) عن طريق أهل السنة ، و لقد نُقلت إحدى عشرة رواية عن طريق الشيعة ، نكتفي بذكر إحداها :

عيادة عطا لعبدالله بن عباس و التذاكر في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام:

ينقل ابن بابويه بإسناده المتصل عن عبد الحميد الأعرج ، عن عطا قال :
 دخلنا على عبدالله بن العباس و هو ليل بالطائف و قد ضعف ، فسَلَمنا عليه و جلسنا ، فقال لي :
 يا عطا ، مَنْ القوم ؟

فقلت : يا سيدي شيوخ هذا البلد ، منهم عبدالله بن سلمة بن هرم ، و عمارة بن الأجلح ، و ثابت بن مالك ، فمزلتُ أذكر له واحداً بعد واحد ، ثم تقدّموا اليه و قالوا : يا ابن عمّ رسول الله ! انك رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله و سمعتُ منه ما سمعتُ ، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأمة ، فقومٌ قدّموا علياً على غيره ، و قومٌ جعلوه بعد ثلاثة !

قال : فَتَنَفَسَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَءَالِهِ يَقُولُ : عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ ، وَ هُوَ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدِي ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ فَارَ وَ نَجَا ، وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ضَلَّ وَ عَوَى ، يَلِي تَكْفِينِي وَغَسَلِي وَ يَقْضِي دِينِي وَ أَبُو سِبْطِي الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، وَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ تَخْرُجُ الْأُمَّةُ التَّسَعَةُ ، وَ مِنَّا مَهْدِي هَذِهِ الْأُمَّةُ .

فقال له عبدالله بن سلمة الحضرمي : يا ابن عمّ رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله ، فهل لا كنت تعرفنا قبلاً؟!

فقال : قد والله أديتُ ما سمعتُ وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ .
 ثم قال : انقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَةً مِنْ اعْتَبَرَ تَمْهِيدًا ، وَ أَبْقَى فِي وَجَلٍ ، وَ كَمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَ رَغَبَ فِي طَلَبٍ ، وَ هَرَبَ فِي هَرَبٍ ، فَاعْمَلُوا لِأَخْرَجِكُمْ قَبْلَ حُلُولِ آجَالِكُمْ ، وَ تَمَسَّكُوا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ ءَالِهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ تَمَسَّكَ بِعِزَّتِي مِنْ بَعْدِي كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ .

ثم بكى بكاءً شديداً ، فقال له القوم : أتبكي و مكانك من رسول الله صَلَّى الله عليه و ءاله مكانك؟!

فقال لي : يا عطا انما أبكي لخصلتين لهول المطلع و فراق الأحيّة .
 ثم تفرّق القوم فقال : يا عطا خذ بيدي واحملي الى صحن الدار ، فأخذنا بيده أنا و سعيد و حملناه

الى صحن الدار ، ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِوَلَايَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَقَمْنَاهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ (13) .

سبب مخالفة المعاندين لخلافة أمير المؤمنين :

و على كلِّ حال ، فلو سأل سائل : كيف حصل . مع وجود هذه النصوص الصريحة الواصلة عن رسول الله ، و التي نقل الكثير منها الخلفاء الثلاثة و عائشة بأنفسهم . أن صرف هؤلاء الخلافة عنه عليه السلام ، فارتقوا منبر النبي و تربّعوا في مقام الخلافة بدلاً من أمير المؤمنين ؟

فالجواب هو قول رسول الله الذي رواه أهل السنة أيضاً : حُبَّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي و يُصِمُّ (14) .

فمن أحبَّ شيئاً و كانت محبته هذه نابعة من الإحساسات ، و كان هوى النفس و القوى الدنيّة مؤثرة في نشأتها ، فإنَّ ذلك الشخص سيكون أعمى و أصمَّ بالنسبة الى غير ذلك المقصود و المحبوب ، اي أنّه لن يرى غير ذلك الهدف و لن يسمع غير ذلك الكلام . و ليس خفياً على أرباب الملل و النحل ، و لا مُبهماً على المطلّعين على السيرة و التاريخ ، أنّ غصب مقام الخلافة من آل بيت الرسول صلى الله عليه و آله لم يكن له من داعٍ إلّا حبُّ الحكومة و التروّس على المسلمين ، و الّا بروز النزعة الشخصية ، لذا فان جميع هذه الأحاديث و النصوص لن تجدي شيئاً مع وجود تلك الغريزة المهلكة ، فستدفع بها جميعاً . عندما تريد نيل هدفها . الى طوفان البلاء ليحرفها أشبه بقشّة و أعشاب يابسة ، و لا تتورّع عن مواجهتها لهدفها عن محاربة أهل البيت ، أو عن إحراق باب بيت بضعة رسول الله ، أو عن اقتياد مقام الولاية و جزه الى المسجد قسراً ، ثمّ السعي بحدّ السيف المُشرع للإدعاء بتسليمه و خضوعه مقابل هذه التعديّات .

و هذه مسألة يجب التأمل و التدقيق فيها ، لأنّ مقام العلم و إدراك الحقائق أمر ، و مرحلة خضوع النفس و انقيادها الى الحقّ أمر آخر منفصل عنه ، و هكذا فإنَّ الكثير من الذين تردّوا في بئر الطبيعة و هاويتها لم يحصل ذلك لهم بجهلهم بطريق الصلاح ، فما أكثر من امتلك منهم علماً كافياً فصار يميّز جيّداً بين القبيح و الحسن ؛ ولكنهم أوقعوا أنفسهم عملاً . بسيطرة القوى النفسية و عدم انقيادها لمملكة العقل و يغلبة الغرائز الشهويّة . في مثل تلك الاعمال القبيحة الذميمة .

لذا فإنّ دعوة الأنبياء و الأئمّة الأطهار مبنية على إصلاح النفس و الخضوع و الانقياد أمام الحق ، قال الله العليّ الأعلى :

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّبَهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّبَهَا (15) .

لقد كان عُمر يعلم جيداً بمقام و منزلة و شخصيّة المولى أمير المؤمنين ، فهناك روايات كثيرة وردت عن أهل السنّة يعترف فيها بنفسه بذلك ، و ينقل بشأنها الأحاديث عن رسول الله ، و لكن . و كما ذكر . فانّ اتّباع الحقّ يستلزم طهارة النفس و صفاء الباطن و الانقياد ، و أين هذا ؟

يقول العلامة الأميني : أخرج الحافظ الدار قطني و ابن عساكر : أنّ رجلين أتيا عمر بن الخطاب

و سألاه عن طلاق الأمة ، فقام معهما فمشى حتّى أتى حلقة في المسجد فيها رجلٌ أصلع فقال : أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة ؟! فرفع رأسه إليه ثم اوحى إليه بالسبابة و الوسطى ، فقال لهما عمر : تطليقتان .

فقال أحدهما : سبحان الله ، جنّناك و أنت أميرالمؤمنين فمشيت معنا حتّى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومى إليك .

فقال لهما : تدریان من هذا ؟ قالوا : لا .

قال : هذا عليّ بن أبي طالب ، أشهدُ على رسولِ الله صلّى الله عليه [و ءاله] و سلّم لسمعتُهُ و هو يقولُ : إنّ السّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَا فِي كَفَّةٍ ثُمَّ وُضِعَ إِيمَانُ عَلِيٍّ فِي كَفَّةٍ لَرَجَحَ إِيمَانُ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ (16) .

ثم يقول العلامة الأميني : و في لفظ الزمخشري : جنّناك و أنت الخليفة فجئت الى رجل فسألته ، فوالله ما كلمتُك . فقال له عمر : ويحك أتدري من هذا ؟ الحديث .

و نقله عن الحافظين : الدار قطني و ابن عساكر : الكبخي في (الكفاية) ص 129 و قال : هذا حسنٌ ثابت . و رواه من طريق الزمخشري خطيب الحرمين الخوارزمي في (المناقب) ، ص 78 ، و السيّد علي الهمداني في (مودّة القريب) ، و حديث الميزان (17) .

رواه عن عمر محبّ الدين الطبري في (الرياض) ، ص 244 ، والصفوري في (نزهة المجالس) ، ج 2 ، ص 240 .
تعليقات:

- (1) ذيل الآية 35 ، من السورة 10 : يونس .
- (2) صدر الآية 35 ، من السورة 10 : يونس .
- (3) الآية 50 ، من السورة 20 : طه .
- (4) الآية 2 و 3 ، من السورة 87 : الأعلى .
- (5) تفسير الميزان) ، ج 1 ، ص 282 .
- (6) غاية المرام) ، ص 539 و ص 540 .
- (7) يقول الزمخشري : استأذن أبو ثابت مولى عليّ ... الخ .
- (8) وينقل هذه الروايات الثلاثة في (بنابيع المودّة) ، ص 90 بأدنى اختلاف في اللفظ .
- (9) يروي (بنابيع المودّة) ص 90 عن جمع الفوائد معيّة عليّ للقرءان و عدم افتراقهما حتّى يرثي الحوض ثم يقول : للأوسط و الصغير .
- (10) و يذكر هذه الرواية أيضاً في (بنابيع المودّة) ، ص 91 .
- (11) الظاهر أنّه (أنس) .

(12) روى هذه الرواية في (بنابيع المودّة) ، ص 82 عن (الإصابة) بأدنى تغيير ، ويقول : و في كتاب (الإصابة) ، أبو ليلي الغفاري قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه [و ءاله] وسلّم يقول : تكون

من بعدي فتنة ، فاذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب ، فأنه أوّل من ءامن بي ، و أوّل من يصافحني يوم القيامة ، و هو الصديق الأكبر ، و هو فاروق هذه الأمة ، و هو يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب المنافقين .

13) غاية المرام) ، ص 541 ؛ و قد أورد في كتاب (عليّ و الوصيّة) من ص 61 الى 65

أحاديثاً باسناد مختلفة في معيّة أميرالمؤمنين للحقّ و القرآن .

14) روى المسعودي هذا الحديث في (مروج الذهب) ، ج 2 ، ص . 302

15) الآية 9 و 10 ، من السورة 91 : الشمس .

16) (الغدير) ، ج 2 ، ص . 299

17) يعني ذيل الحديث اعلاه ، اي جملة : لو انّ السموات السّبع ... الخ .

17) يعني ذيل الحديث اعلاه ، اي جملة : لو انّ السموات السّبع ... الخ .

الدرس الثالث عشر: معنى هداية الأئمة ، و شرائط الهادي إلى الحقّ

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

و صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ءَالِهِ الطَّاهِرِينَ

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوّة الا بالله العليّ العظيم

قال اللهُ الحكيم في كتابه الكريم :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (1) .

جرى البحث في الفصل السابق مفصلاً حول هذه الآية المباركة ، وكانت النتيجة أنّ الهادي الى الحقّ يجب حتماً أن تكون هدايته بنفسه لا بغيره ، و أنّ مَنْ كان من أهل الشرك و المعصية و من اهتدى بغيره لا يمكن ان يكون إماماً و لا يمكنه هداية الناس الى الحقّ ، و يلزم هنا ذكر نكات عدّة :

الاولى : أنّ المراد بالحقّ في الآية الشريفة المعنى الحقيقي و ليس معنى الحقّ المبني بنحو ما على التساهلات العرفيّة في السنة الناس ، كما يُشاهد أنّهم ينسبون الهداية للحقّ لكلّ من يتكلم بالحقّ ، حتى لو كان معتقداً بذلك أو غير معتقد ، و سواءً عمل بذلك الاّ أنّ نفسه لم تتحقّق به أو لم يعمل ، و سواءً اهتدى بنفسه أم لم يهتدِ . فهذه بأجمعها ليست هدايةً للحقّ ، بل أنّها تدعى هداية الى الحقّ من باب المسامحات العرفيّة ، فالهداية الى متن الحقّ هي الوصول الى متن الواقع ، و هي فقط لله وللواصلين اليه سبحانه دون واسطة الغير .

الثانية : أنّ المراد بالهداية الى الحقّ في هذه الآية ، هو الإيصال الى المطلوب ، لا بمعنى إراءة الطريق الى الله ، لأنّ من البديهي أنّ إراءة الطريق أمرٌ سهل ممكن لكلّ شخص ، سواءً كان إماماً أم لم يكن ، و سواءً اهتدى بنفسه أم بغيره ، و سواءً كان ضالاً غير مهتدٍ أصلاً ؛ فالهداية بمعنى إراءة الطريق ستكون على كلّ حال أمراً ممكناً لهم ، ولكنّ الإيصال الى متن الواقع و الحقّ و كمال كلّ موجود أمرٌ مختصّ بالمهتدين بأنفسهم و الهادين الى الحقّ .

الثالثة : أنّ المراد بجملة (لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى) هو الذي لم يهتدِ بنفسه ، و هو أعمّ من غير المهتدي أصلاً ، أو المهتدي بالغير ، و الدليل على عموميتها أنّ جملة (إِلَّا أَنْ يُهْدَى) و هي استثناء من جملة (لَا يَهْدَى) جاءت مع (أَنْ المصدريّة) . و هذه الجملة لا تدلّ على تحقّق الوقوع ، خلافاً للمصدر المضاف .

و هناك فرق بين أن نقول (أعجبني ضربك) أو أن نقول (أعجبني أن تضرب) ، فالإعجاب من نفس الضرب في الصورة الاولى متحقّق في الخارج ، بينما الإعجاب في الصورة الثانية من إمكان تحقّق الضرب ، و قد نصّ على هذا المطلب الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) .

و على ذلك فإنّ جملة (إِلَّا أَنْ يُهْدَى) لا تعني كونه الآن مهتدياً بالغير ، بل تعني أنّه (ولو أمكن أن تصل الهداية ا ليه من الغير) . و من الواضح أنّ الهداية من الغير ستكون في حال قبول الهداية ،

و اما اذا كان غير قابل للهداية فان الهداية من الغير لن تصل اليه ، و لذلك فان جملة (لا يهدى) باقية على عمومها و سيكون معناها : لم يهتد بنفسه ، سواء لم يجد الهداية أو كان قابلاً للهداية فاهتدى بغيره .

الإمام يجب ان يكون مهتدياً بالحقّ و في ذلك شروط ثلاثة:

و عموماً فانّ الإمام هو الذي يكون مهتدياً الى الحقّ ذاتياً ، و ليس من فئة من الفئتين اللتين مرّ ذكرهما ، و على هذا فانّ الإمام هو المصون من الضلالة و المعصية ، اي انه أولاً لا يخطأ في تلقّي المعارف الالهية و الإلهامات الرحمانية ، و انّ متن الواقع ينعكس في قلبه دون اضطراب أو تدخّل النفس التي تغيّره الى صورة أخرى و تفسّره على نحوٍ آخر .

و ثانياً : انّ الامام هو الذي يقوم . في ابلاغ الاحكام و هداية الناس من جانب الباطن والظاهر . بتحريكهم على طريق مستقيم لا عوج فيه .

و ثالثاً : أن لا يكون الإمام نفسه مبتلياً بالمعصية و ظلم النفس ، و قد استفدنا هذه المعاني من جملة (و جعلنهم أئمة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخير ت) (2) .

و يستفاد أيضاً من الآية الخاصة بابراهيم و التي سأل فيها الإمامة لذريته ، أنّ الإمامة لا ينالها الظالم ، لأنّ تعبير الظالم ورد في الآية بشكل مطلق : لا ينال عهدى الظالمين (3) ، أي انّ عهدي لا ينال ظالماً و لو كان ظلمه محدوداً ؛ و على العكس فانّ عهدي ينال اولئك الذين ليسوا ظالمين على نحوٍ مطلق ، و هذا هو عين العصمة .

انّ الإمام هو الذي لم يرتكب طوال عمره أي ذنب ، اما من ارتكب الذنب الصغير أحياناً ، أو من بدر منه ظلم أو شرك ثم تاب منه فامحى أثر ذلك الذنب ، فانه لا يكون إماماً .

يقول العلامة الطباطبائي (مدّ ظلّه العالی) (4) في تفسير هذه الآية الشريفة : و قد سئل بعض أساتيدنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على عصمة الإمام ، فأجاب : إنّ الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام : من كان ظالماً في جميع عمره ، و من لم يكن ظالماً في جميع عمره ، و من هو ظالم في أول عمره دون آخره ، و من هو بالعكس من هذا . و ابراهيم عليه السلام أجلّ شأناً من أن يسأل الإمامة للقسمة الأولى والرابع من ذريته ، فبقي قسمان و قد نفى الله أحدهما ، و هو الذي يكون ظالماً في أول عمره دون آخره ، فبقي الآخر ، و هو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره ، و هذا هو معنى العصمة . (5) و (6)

و إجمالاً فانّ كلّ ما استدللنا عليه من آيات القرآن هو سبع مسائل من أهم مسائل الإمامة التي تقول بها الشيعة و تصرّ عليها و التي تمثّل الحدّ الفاصل بينهم و بين أهل السنّة (الذين لا يعتبرون أيّاً منها شرطاً للإمامة) .

المسألة الاولى: الإمامة غير قابلة للانتخاب

المسألة الاولى : انّ الإمامة ليست قابلة للاختيار و الانتخاب ، بل هي مجعولة بجعلِ الهيّ يُعلن للناس من قبل النبيّ او الإمام السابق ، او بانّضاح الإمام نفسه للناس بواسطة النصوص و المعجزات ، لأنّه أولاً . و كما قلنا . فانّ الله سبحانه و تعالى يعرّف هذا المنصب في القرآن الكريم بعنوان (الجعل) و التنصيب الالهيّ) ، حيث ورد :

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (7) .

و يقول أيضاً : وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا (8) .

و يقول أيضاً : وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ (9) .

و في جميع هذه الآيات التي ذكرت منصب الإمامة ، فإنّها أوردت عنوان الجعل الالهيّ .

ثانياً : انّ الإمامة قوّة الهيّة فينفس الإمام يحصل بواسطتها على الاطلاع على ملكوت و نفوس الأشياء و يسيطر عليها ، كما هو مستفاد من جملة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ، فمن كانت فيه هذه القوّة كان هو الإمام ، و من خلا منها لم يكن إماماً .

و لا دخل للاختيار و الانتخاب في هذا الأمر ، ليس لجهة قولنا انّ الناس باعتبار جهلهم بالملكوت و بمقام العصمة لا يمكنهم معرفة الامام ، ولذا فانّ انتخابهم و اختيارهم ليس صحيحاً ، بل اننا لو فرضنا انّ جميع الناس صار لهم اطلاع على ملكوت الأشياء و روحها ، و انّ الله قد أعطاهم نوراً يمكنهم به تشخيص مقام العصمة ، فانّ الإمامة . مع ذلك . لن تكون قابلة للانتخاب ، لأنها . و كما قلنا سابقاً . ملكة الهيّة و قوّة قدسيّة موجودة في نفس الإمام ، و ليس هناك من معنى للقول بأنّ الانسان ينتخب موجوداً خارجياً ، فالموجود الخارجي موجود و لا يحتاج الى انتخاب الانسان ليوجد .

أمن الصحيح أن نقول للعالم الذي صارت لديه ملكة استنباط الأحكام : اننا ننتخب اجتهادك ؟ أو نقول للبطل الفائز في المسابقات والذي وصلت القدرة في بدنه الى الفعلية : اننا ننتخب قوتك ؟ أو نقول لحافظ القرآن الكريم : اننا ننتخب حفظك ؟! كلّ بالطبع ، فهذا الكلام ليس صحيحاً أبداً .

انّ الانتخاب يحصل في الأمور الاعتبارية التي دورانها بيد الاعتبار والانتخاب ، و التي توجد بواسطة الانتخاب و تقنى بعده . اما في الأمور التكوينية و الواقعية التي وجدت قبل مرحلة الانتخاب و امتلكت وجودها ، فانّ الانتخاب ليس له مجال فيها أبداً .

المسألة الثانية: انّ الامام يجب أن يكون معصوماً حتماً

المسألة الثانية : انّ الإمام يجب حتماً ان يكون معصوماً بعصمة الباري جلّ و عزّ ، و قد استنتجنا بعض الاستنتاجات في هذا الباب من آيات : لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ . و جملة : يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا و جملة : وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ؛ و أصبح معلوماً أنّ الإمام حينما عبر جميع مراحل النفس و تحقّق بوجود حضرة الحقّ ، و تحكّمت في وجوده إرادة و مشيئة الحقّ دون تدخّل النفس الأمّارة ، و صار فعله نفس وحي الله ، لذا فانّ ذلك الإمام معصوم و منزّه عن كلّ دنس نفسي ، و هذا هو معنى العصمة .

كما اننا استفدنا المصونية و العصمة من آية : فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (10) .
بحيث أوضحت الآيات القرآنية هذه الحقيقة بشكل كامل .

المسألة الثالثة: انّ الإمام يجب ان يكون مؤيداً من قبل الله تعالى

المسألة الثالثة : ان الامام يجب ان يكون مؤيداً من عند الله ، أي انّ علومه و إدراكاته تحصل في نفسه بواسطة اليقين و الإلهامات الغيبية ، ويكون الله هو المتكفل بأمره ، و قد أستفيد هذا الأمر من جملة : وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ (11) ، و جملة : لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَآئِتِنَا يُوقِنُونَ (12) ، و جملة : يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا (13) ، لأنّ الإمامة تستلزم امتلاك مقام اليقين ، و مقام اليقين كما ذكر ليس ميسوراً دون انكشاف الملكوت و حقيقة الأشياء و بناءً على هذا فانّ الله سبحانه و تعالى يؤيده كلّ لحظة بانكشاف الملكوت و الهداية بأمر الله .

المسألة الرابعة: انّ الأرض لاتخلو من حجة أبداً

المسألة الرابعة : انّ الأرض و جميع الأفراد الذين يعيشون عليها لهم إمام في كلّ زمان ، و لا يمكن أن تخلو الأرض عن حجة الله أبداً ، و قد استفيد هذا الأمر أيضاً من آية : يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ (14) ، لأنّ الله سبحانه و تعالى يدعو جميع أفراد بني آدم الى الحشر يوم القيامة بإمامهم ، فلا يوجد فردٌ من البشر إلّا و له إمام ، و لا يوجد فردٌ على الأرض بدون إمام ، كما انه ورد في روايات كثيرة انه لو لم يبقَ على الأرض إلّا نفرين ، لكان أحدهما إماماً للأخر ، و لو لم يوجد إلّا شخص واحد لوجب أن يكون الإمام نفسه .

المسألة الخامسة: علم الإمام المحيط بأعمال الأمة

المسألة الخامسة : انّ الامام يعلم بجميع أعمال و أقوال و سيرة و ملكات عباد الله ، و ليس هناك علمٌ غائب أو مخفٍ عن نظر الإمام ، و قد بيّنت الأبحاث السابقة هذا المعنى في هذا الأمر استناداً الى الآيات القرآنية ، لأنّ الامام له سيطرة على نفوس و ملكوت الموجودات ، و مع هذه الملكة فانّ جميع الأرواح و النفوس و روح الأعمال ستكون في مشهد الإمام و في حضور الولاية ، كما انّ موجودات عالم الطبيعة مشهودة عند الشخص البصير و غائبة عند الأعمى .

و بالرغم من أنّ ملكوت كثير من الأعمال و الأقوال و النفوس سينكشف لدى الأفراد الذين لم يصلوا بعدُ الى مرحلة الإمامة ، و بالرغم من أنّ هذا المعنى سيّضح لديهم اثر التقوى و العبادة و مخالفة النفس الأمّارة و مجاهدتها ، إلّا أنّهم لن يمتلكوا السيطرة الكلية على جميع الأرواح و النفوس أو هداية كلّ منهما الى كماله ، كلاً حسب دوره و بقدر ظرفيته ، لكنّ هذه الدرجة من البصيرة هي بصيرة القلب التي لا توجد لدى الآخرين ، إلّا ان هذه البصيرة و الرؤية قوية و نافذة لدى الإمام بحيث لا يخفى عنه شيء

من الملكوت في كلّ آن و في أيّ مكان .

المسألة السادسة: علم الإمام بحاجات العباد

المسألة السادسة : إنّ الإمام يعلم جميع الأمور التي يحتاجها العباد في معاشهم أو معادهم ، لأنّه .
و حسب الفرض . فإنّ الإمام يهدي النفوس الى الحقّ من ملكوتها ، و يوصلها الى كمالها ، فكيف
يمكن أن يكون نفسه جاهلاً بما يحتاجه العباد في أمور تكاملهم ؟ و هذه الخاصية تتّضح أيضاً من
الآية القرآنية : يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ، و من أفضليّة مقام الإمامة على النبوة حسب مفاد خطاب حضرة الحقّ
لإبراهيم الخليل .

و علاوةً على ذلك ، فلأنّ فعل الإمام و قوله منطبق على الحقّ بتمام معنى الكلمة ، و لأنّ الإمام
قد خطا في مقام العبوديّة و التقرب الى مرحلة بعيدة بحيث إنّ الله نفسه سيكون هو الأمر و الناهي في
وجوده ، و سيكون فعل الإمام هو عين وحي الله ، فكما أنّ ما يحتاجه العباد ليس خافياً على الله ، فإنّه
لن يكون خافياً على الإمام الذي هو المجلى الأتمّ و المجرى الكامل لإفاضات الحضرة الأحديّة الى
الموجودات ، و هذا الأمر ليس خافياً على الامام ، بل إنّ علم الامام هو عين علم الله تعالى ، و ليس
هناك أي تفاوت في أصل المعنى .

المسألة السابعة: أفضليّة الإمام على أفراد البشر في الكمالات النفسانيّة

المسألة السابعة : إنّ الامام هو أعلى من جميع أفراد البشر من حيث الفضائل النفسانيّة و الملكات
الالهية ، و من المستحيل أن يكون هناك شخص أفضل من الإمام في محاسن الاخلاق و الملكات
الانسانية ، لأنّه . و كما فرضنا . فإنّ الطريق الى الله عن طريق ملكات و صفات النفس . ولأنّ الامام
أعلى و أرفع من سائر الأفراد في هذه المرحلة ، لذا فإنّه يهديهم عن طريق الملكوت الى الحقّ ، و اذا
ما وجد في هذه الحالة شخصان أحدهما يفوق الآخر في هذا المعنى ، فإنّ الشخص المتفوق سيكون
حتماً إماماً للآخر ، لأنّ الذي أفق ملكوته و نفسه أنور و أكثر مضاءً و بصيرة سيستطيع أن يدعو الى
منزله و محلّه الشخص الآخر الذي ليس في مستوى أفقه ، و في هذه الحالة فإنّه سيكون هو الإمام ،
خلافاً للشخص الضعيف الذي لن يستطع تحريك القوي أو تحمّل ثقله .
و هذه المسائل السبع هي من أصول مسائل الإمامة ، و سائر المسائل الأخرى متفرّعة عنها .

أفضليّة أميرالمؤمنين في جميع الفضائل النفسية:

امّا في أفضليّة عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه الصلاة و السلام على جميع أفراد البشر عدا
خاتم الأنبياء ، فليس فيه مجال للشبهة و الشكّ ، و هذه الحقيقة يعترف بها العدوّ و الصديق . و
بغضّ النظر عن الظهورات التي صدرت عنه عليه السلام خلال ثلاث و عشرين سنة في حياة رسول

الله ، و خلال ثلاثين سنة بعد رحلته في فنون العلوم المختلفة ، و في حلّ المسائل الرياضية الغامضة ، و القضاء بالحقّ ، و في علوّ النفس و الهمة والإيثار ، و الاتّصال بحرم الله و الإنجذاب بالجزبات الالهية ، و في إدراك الحقائق و المعارف الكلية المعنوية الإلهية و عبور جميع مراحل النفس وءاثارها ، و في السبق الى الاسلام و الهجرة و الجهاد .

و بغضّ النظر عن الأحاديث التي رويت عن رسول الله و التي تُثبت أفضليّته عليه السلام بالمعنى الضمني او الاتزامي ، مثل حديث : أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، و حديث : إِنَّ عَلِيًّا وَزِيرِي ، وَ وَصِيِّي ، وَوَارِثِي ، وَأَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي ، وَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي ، وَ إِنَّ عَلِيًّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، وَ هُوَ الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ ، وَالْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ ، وَ عَالِمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَ ذُو قَرْبِنَاهَا .

و بغضّ النظر عن حديث : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا ، و الأحاديث الأخرى في علمه عليه السلام .

وبغضّ النظر عن الأحاديث التي وردت مستفيضة في الدلالة على أنّه عليه السلام له حكم نفس رسول الله ، و عن الأحاديث التي تُشير الى أنّه عليه السلام كان يمتلك فضائل خاصة به ، مع ان كلاً منها يدلّ بمفرده على على أفضليّته عليه السلام على سائر الأمة .

لو غضضنا الطرف عن هذا كلّه ، فإنّ هناك روايات كثيرة وردت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَهُ اللهُ مِنْ بَنِي آدَمَ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَ شِيعَتِهِمْ وَ عَنْ طَرِيقِ الْعَامَّةِ أَيْضاً تَدَلُّ عَلَى أَوْضَلِيَّتِهِ عَلَى الْأُمَّةِ ، بَلْ عَلَى جَمِيعِ أَفْرَادِ الْبَشَرِ ، بَلْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ ، وَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تَدَلُّ بِالْمَعْنَى الْمَطَابِقِي عَلَى أَوْضَلِيَّةِ ذَلِكَ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ .

يروى الشيخ حافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي عن كتاب (مودّة القريبى) تأليف السيد علي الشافعي عن عطاء قال : سُئِلْتُ عَائِشَةَ عَنْ عَلِيٍّ ، قَالَتْ : ذَلِكَ خَيْرُ الْبَشَرِ لَا يَشُكُّ إِلَّا كَافِرٌ (15) . و يروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله : يَا عَلِيٌّ أَنْتَ خَيْرُ الْبَشَرِ ، مَا شَكَ فِيهِ إِلَّا كَافِرٌ (16) .

و يروي عن حذيفة أنّه قال : عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ وَ مَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ (17) . و يروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ رسول الله قَالَ : عَلِيٌّ خَيْرُ الْبَشَرِ ، مَنْ شَكَ فِيهِ فَقَدْ كَفَرَ (18) .

كما يروي عن أمّ هاني بنت أبي طالب و أخت أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله قَالَ : أَفْضَلُ الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ نَامَ فِي قَبْرِهِ ، وَ لَمْ يَشُكَّ فِي عَلِيٍّ وَ ذُرِّيَّتِهِ أَنْهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (19) .

و روى عن الإمام محمّد بن علي الباقر ، عن ءابائه عليهم السلام قال : سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَهُ اللهُ

عليه و ءاله عن خير الناس ؛ فقال : خَيْرُهَا ، وَأَتْقَاهَا ، وَ أَفْضَلُهَا ، وَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْجَنَّةِ أَقْرَبُهَا مِنِّي ، وَ لَا أَتَقَى وَ لَا أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (20) .

الروايات المعراجية الدالة على ولاية أميرالمؤمنين:

و يروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم :
إِنِّي رَأَيْتُ اسْمَكَ مَقْرُونًا بِاسْمِي فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ ،
فَلَمَّا بَلَغْتُ النَّبِيَّتَ الْمُقَدَّسَ فِي مِعْرَاجِي إِلَى السَّمَاءِ ، وَجَدْتُ عَلَى صَخْرَةٍ بِهَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ ، أَيَّدْتُهُ بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَ لَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَجَدْتُ عَلَيْهَا : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا وَحْدِي ، مُحَمَّدٌ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي ، أَيَّدْتُهُ بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَ نَصَرْتُهُ بِهِ ،
وَ لَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَوَجَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى قَوَائِمِهِ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ،
مُحَمَّدٌ حَبِيبِي مِنْ خَلْقِي ، أَيَّدْتُهُ بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَ نَصَرْتُهُ بِهِ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ الْجَنَّةَ وَجَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ
الْجَنَّةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَ مُحَمَّدٌ حَبِيبِي مِنْ خَلْقِي ، أَيَّدْتُهُ بِعَلِيِّ وَزِيرِهِ ، وَ نَصَرْتُهُ بِهِ (21) .

بيانات جبرئيل في هيئة دحية في الولاية:

يروي الخوارزمي أبو المؤيد الموفق بن أحمد باسناده المتصل عن الأعمش عن سيعدبن جبير ، عن
ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه [و ءاله] و سلم في بيته ، فغدا عليه علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه بالغداة أن لا يسبقه اليه أحد ، فدخل فإذا النبي صلى الله عليه [و ءاله] و سلم في
صحن الدار ، فاذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي ، فقال : السلام عليك كيف أصبح رسول الله
؟

قال : بخير يا أبا رسول الله .

فقال علي : جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا أَهْلَ النَّبِيِّ .

فقال له دحية : إِنِّي لِأَحْبَبُكَ ، وَ إِنْ لَكَ عِنْدِي مَدْحَةٌ ارْفَهَا لَكَ ، أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ قَائِدُ الْغُرِّ
الْمُحَجَّلِينَ ، أَنْتَ سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا خَلَا النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ ، لِوَاءِ الْحَمْدِ بِبَيْدِكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ،
تُرْفَ أَنْتَ وَ شِيعَتَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَى الْجَنَّةِ مَعَ مُحَمَّدٍ وَ جَزْبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ رَفَأً ، وَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَوَلَّاكَ وَ حَسِرَ
مَنْ تَخَلَّاكَ ، فَحُبِّ مُحَمَّدٍ حَبُوكَ ، وَ مُبْغِضُوكَ لَنْ تَنَالَهُمْ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [و ءاله] و سلم
؛ ادْنُ مِنِّي صَفْوَةَ اللَّهِ !

فأخذ رأس النبي صلى الله عليه [و ءاله] و سلم فوضعه في حجره ، فقال النبي صلى الله عليه [و

ءاله] و سلم : ما هذه الهمهمة ؟ فقال علي بما جرى .

فقال : يا علي ، لم يكن دحية ، ولكن كان جبرائيل ، و سمّاك بإسم سمّاك الله به ، فهو الذي ألقى

محبّتك في صدور المؤمنين ، و رهبتك في صدور الكافرين (22) .

المسائل السبع للإمامة كانت متحققة في أمير المؤمنين

إن الأحاديث المروية عن رسول الله و الدالة على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام بعنوان خير الوصيين و سيّد ولد آدم و أمثال ذلك كثيرة ، و قد اكتفينا بهذه الروايات العدة عن طريق العامة كمثل ، لذا وفقاً للمسائل السبع السابقة فإنّ مقام الإمامة مختصّ به عليه السلام ، و هو الذي كان يدعو الناس بقاطعية تامّة ، لم يُشاهد في فعله او قوله ندم أو شكّ أو حيرة أو جهل . و لأنّ الإمام له إحاطة بالملكوت ، فأنه لا يخطئ أبداً ، و لأنّ فعله فعل الحقّ ، فأنه لا يتردّد و لا يتحيّر و لا يندم في عمله ، لأنّ الله سبحانه لا يتحيّر و لا يندم في فعله .

إنّ الأفراد الذين يندمون ، إنّما يندمون عند العمل لجهلهم ، اذ تبدو لديهم جهة من الجهات بصورة مقبولة فيبادرون الى فعلها ، و حين تتّضح لهم نقاط الضعف و النقاط المبهمة التي خفيت عليه لدى العمل فإنّهم يندمون .

أمّا رجل الحقّ فلا يندم ، و لم يشاهد أبداً إنّ الإمام أظهر ندمه من فعل فعله ، و هذه هي علامة صحّة العمل و إتقانه ، إضافة الى أنّ الإمام يعيّن وظيفة الناس في كلّ موضوع بشكل قطعيّ ، و لا يؤجّل ذلك الى اليوم التالي و لا تتكشف له الحقيقة بالمشاورة و المطالعة و التأمّني و الترويّ ، بل إنّ الحقائق تظهر أمامه و تتجلى كالمرءة ، فيجيب بلا تريث و لا تأخير .

لقد كان عُمر يعيى و يعجز في كثير من الأمور عن الإجابة على مسائل الأحكام العادية ، بينما كانوا يسألون أمير المؤمنين عن بعض المسائل التي لا يستطيع علماء الرياضيات حلّها إلاّ باستخدام القوانين الرياضيّة ، فيجيبهم عليها مباشرة . فهل كان له عقل الكتروني يا ترى ؟ إنّ الأجهزة الالكترونيّة هي الأخرى لا تستطيع ان تتجاوز حلّ المسائل البسيطة ، لكن الامام كان يجيب عن تلك المسائل بدهاءة ، لكأنّ الجواب كان واضحاً لديه كالشمس ، كما أنّه كان يُجيب فوراً على الكثير من مسائل القضاء التي يحتاج حلّها الى جهد رياضيّ .

ندم أبي بكر على الخلافة:

ولقد أظهر أبو بكر ندمه على تولّيه الخلافة مرّات عديدة ، وقال مراراً :

أَقِيلُونِي أَقِيلُونِي وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ (23) .

لكنه يجب ان يُقال له : اذا كانت الخلافة التي سلبتها بأمر الله فكيف تريد تركها و التخلّي عنها ؟ و

إن لم تكن بأمر الله فكيف سلبتها ؟

فهو يعيى هنا و يتحيّر فلا يميّز يمنة عن يسرة ، لأنّه من جهة لا يمتلك القدرة على تحمّل هذا العبء و المسؤولية ، و من جهة اخرى فإنّ قلبه لا يطاوعه في أن يُعيد الأمر الى صاحبه . كَظَلُمَتِ

فِي بَحْرِ لَجَى يَغْشَهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرِيهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ (24) .

لقد ارتقى أبو بكر منبر رسول الله في مسجد الرسول يوماً بعد بيعة السقيفة و قال في خطبته : أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ ، وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِن أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي ، وَ إِن أَسَأْتُ فَفَقِّمُونِي (25) ... أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ ، وَ إِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ، فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ (26) .

يقول الطبري : و خطب أبو بكر الناس فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَ إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] يُطِيقُ ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَ عَصَمَهُ مِنَ الْأَفَاتِ ، وَ إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَ لَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنِ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي ، وَ إِن رُغْتُ فَفَقِّمُونِي .

الى أن يقول : وَ إِن لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي ، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي . (27)

الإشكالات الخمسة على خطبة أبي بكر :

الإشكال الأول : قوله : (وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ) ؛ حيث يجب أن يُقال له : فلماذا تصدّيت للخلافة و لم تتخلّ عنها لخير الناس و مولى الموالى مع كلّ تلك النصوص الصريحة من صاحب الشريعة على أفضليّته ؟ و لماذا أردت أن تكون إماماً لمن هو أفضل منك و أعلم ؟ و كيف رضيت ان تدعو أميرالمؤمنين الناموس الاكبر الالهى و كنز الاسرار و معارف الحقّ و نفس الرسول لاتباعك ؟ و كيف أردت أن تأخذ بيعته لك و أن تجعله يسلم لأمرك و نهيك دون قيد أو شرط ؟ و بأيّ معارف و فضائل أخلاقيّة أردت إيصال المؤمنين الى المطلوب ؟ و على أيّ ملكوت كنت مسيطراً ومهيماً ؟

الإشكال الثاني : قولك (فَإِن أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي ! وَ إِن أَسَأْتُ فَفَقِّمُونِي !)

و بناءً على هذا فانك حين جعلت بأيدينا ميزان صحّة أو بُطلان عملك ، و خيرتتنا في الجرح و التعديل ، فقد كنّا نحن إمامك لا أنت إمامنا !

و بغضّ النظر عن ذلك ، فمن أين لنا أن نميّز الصحيح من السقيم ؟ لو ميّزناه من عندنا لكنا إذن لا نحتاج الى خليفة ، و إن توجّب ان يُفهمنا آياه إمام الحقّ لوجب علينا اتباع ذلك الامام ، و لوجب عليك أن تسلم أنت الآخر لأمره .

الإشكال الثالث :

قولك : (لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُطِيقُ) .

بلى ، انّ مثل هذه التكاليف ستأتي حتماً ، ولكن من أجلسك مكان رسول الله لتحتار في النهوض بأعباء عمل و مهمة رسول الله ؟ أو لم تسمع طوال المدّة المديدة رسول الله يقول كراراً . لا مرّة أو مرّتين . عَلَيَّ يَقْضِي دِينِي ؟ أو لم تسلم يوم غدِير خم على أميرالمؤمنين بتحّيّة الولاية ؟! فبأيّ مجوز جلست مكان رسول الله أنت العاجز عن تحمّل أعباء مسؤوليّته وعمله ، و سلبت الحقّ المسلم لمقام الخلافة و الوصاية ؟!

الإشكال الرابع :

قولك : (أَطِيعُونِي مَا أَمَرْتُ اللَّهَ ، وَ إِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ) .

فبناءً على ذلك فقد صرت أنت أيضاً رديفاً لنا لا رئيساً علينا ، فلماذا نطيعك إذن ؟ تعال أنت فأطعنا ! و بأي قاعدة و سنة الهية صارت طاعتك واجبة علينا ؟ و إضافة الى ما تقدّم ، فاننا نحتاج في معالم ديننا الى معلّم ومربّ نتعلّم منه ما هي طاعة الله و رسوله ، و ما هي مخالفة الله و رسوله ، فمن أين لنا أن نعلم أنّ عملك هذا طاعة ، و عملك ذاك معصية ؟ إلا أن يدلّنا معلم القرءان و العارف برسول الله ، و المحيط بنواميس الأحكام والشرايع ، فيفصل الطاعة عن المعصية ! و لو فرضنا أنّنا شئنا تقويمك عند معصيتك ، فهو ستتقوم يا ترى ؟

فأنت الذي تأبى التخلّي عن الخلافة ، ستقف عند مخالفتك لأمر الله و الرسول و تصرّ على موقفك ، و مهما شاءت الأمة تقويمك فإتّك ستقاوم أكثر ، إذ ان نفس هذا التصدي لمقام الخلافة يمثل زيغك و انحرافك .

ألم يؤاخذك أميرالمؤمنين لتقويمك و يوبخك على مبادرتك الخفية السريعة و جثمان رسول الله بعد لم يُدفن ؟ ألم يتحدّث أميرالمؤمنين في المسجد عن فضائله و مقامه ؟ ألم تبيّن الصديقة الطاهرة في خطبتها المبيّنة تلك موارد انحرافك ؟ ألم تقل (سلام الله عليها) : يَا أَبَاكَرٍ مَا أَسْرَعُ مَا أَعَزُّمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ؟

ألم يبيّن لك بنو هاشم و أصحاب رسول الله الكرام الذين تخلفوا عن بيعتك مواضع خطأك ؟ فلماذا لم ترتدع و لم تستقم ؟ و لو أرادوا الإصرار على هذا الأمر لسفكت الدماء و نُهبت الأموال و استئبحت الاعراض والنواميس .

ألم يخالف عثمانُ علناً أمر رسول الله ؟ فلم لم يرعو حين اعترض عليه المسلمون و نبهوه على ذلك ؟ و لماذا أصرّ على أفعاله ؟

لقد قال له المسلمون : إمّا أن تتحقّى عن الخلافة أو تسير على سنة رسول الله ! لكنّه لم يرضَ بأحد الأمرين ، ثم قاومهم و استنصر بمعاوية وجيش الشام للوقوف في وجه المسلمين .

و أتى له أن يستقيم و يرعوي من أمسك بزمام الأمور بيده و أبى عن التنازل عن مقامه و شخصيته ؟ أو هل استقام معاوية ؟ أو هل استقام خلفاء بني أمية و بني العباس ؟

لقد سفكوا دم كلّ من أراد أن يذكرهم أو حتّى أن ينصحهم ، و لقد قتل مخالفو سنة رسول الله هؤلاء فيوضح النهار ابن بنت رسول الله و أهل بيته بشفاهٍ ظمأى عند شاطيء النهر ؟

الإشكال الخامس :

فاحذر يا أبا بكر ! ماذا تقول في خطبتك التي ألقيتها ؟ لقد فتحت بكلماتك باباً لخلفاء الجور لجميع هذه الاعتداءات .

فأنت تقول خامساً : (وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي ، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي) .

ليتك لم تتفوه بهذا الكلام ! إنّ الإمام الذي يعترف بنفسه بوجود شيطان يتسلط عليه هو إمام

الشياطين لا إمام المؤمنين !

انّ امام المؤمنين هو الذي أفنى الشيطان و أهلكه : اعزبي عني يا دنيا ، قد طلقك ثلاثاً ! و هو الذي يقدّم نفسه في قاطعية كالجبل الراسخ فيقول : يا أفراد البشر ، تعالوا اليّ فأنا وليّ الله ، أنا من عبادة الله المخلصين ، أنا الذي نزلت آية التطهير فينا ، أنا صاحب مقام العصمة ، أنا صاحب مقام (سلوني قبل أن تفقدوني) ، أنا باب مدينة العلم ، و أنا حامل عبء الرسالة وقاضي دين رسول الله ، أنا صاحب السيطرة على ملكوت وحقائق الأشياء .

ثم يعطي آلاف النماذج الواضحة البيّنة : أنا نفس رسول الله ، أنا وليّ كلّ مؤمن و مؤمنة ، أنا الوصيّ و الوزير و الوارث لأسرار النبوة .

هذا هو مقام الإمام ، ذلك الذي لا يتحسّر عند الموت فيقول : الويل لي ! وددت أنّي لم أفعل الثلاث التي فعلتها !

تأسّف أبي بكر عند موته على تسعة أمور:

يقول المسعودي : و لما احتضَرَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ : مَا عَاسَى عَلَيَّ شَيْءٌ إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ فَعَلْتُهَا ، وَ دَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهَا ، وَ ثَلَاثٌ تَرَكْتُهَا وَ دَدْتُ أَنِّي فَعَلْتُهَا ، وَ ثَلَاثٌ أَنِّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَ سَلَّمَ عَنْهَا ، فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي فَعَلْتُهَا وَ وَدَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهَا ، فَوَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فَتَشْتُ بَيْتَ فَاطِمَةَ ، وَ نَكَرْتُ فِي ذَلِكَ كَلَامًا كَثِيرًا (28) .

و قد أورد هذه الرواية علاوة على المسعودي ، الطبري في تأريخه ، وابن قتيبة في (الإمامة و السياسة) ، و ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) (29) .

و قد أرودها العلامة الأميني في (الغدِير) إضافة الى هذه المصادر ، عن أبي عبيد في كتاب (الأموال) ، ص 13 ، و يقول : الاسناد صحيح ، رجاله كلّهم ثقات ، أربعة منهم من رجال الصحاح الست (30) .

و من الأمور التي كان أبو بكر يتأسّف منها ، قتله الفجأة السلمي حرقاً بالنار ، و بيان ذلك كما ورد في (الكامل في التاريخ) لابن الأثير الجزري أنّ الفجأة السلمي ، و اسمه إياس بن عبد ياليل جاء الى أبي بكر فقال له : أعني بالسلاح أقاتلُ به أهل الردّة .

فأعطاه سلاحاً و أمره إمرةً ، فخالف الى المسلمين و خرج حتى نزل بالجواء ... فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل الى طرّيفة بن حازم فأمره أن يجمع له و يسير إليه ، فأسر و بُعث به الى أبي بكر ، فلما قدم أمر أبو بكر أن توقد له نار في مصلى المدينة ، ثم رُمي فيها مقموطاً . و كان أبو بكر يقول عند موته : و وددت أنّي لم أكن حرقت الفجأة السلمي ، و أنّي كنتُ قتلته سريحاً ، أو خليّته نجيحاً

و قد أورد خطبة أبي بكر بعض المعاصرين من العامّة ، مثل فريد وجدي في (دائرة المعارف) ، و أحمد أمين المصري في كتبه ، و عدّوها أساساً لحريّته ، و حاولوا اظهار حكومة أبي بكر على أنّها حكومة ديمقراطية تدعو الى الحرية .

و لقد أثبتنا في بحوثٍ ماضية ، و سنثبت في بحوث مفصلة قادمة إن شاء الله تعالى ، أنّ اسلوب

الحكومة الاسلاميّة قائم على أساس الحقّ لا على آراء واحاد الناس أو مجموعهم ، و لا على أساس الأكثرية و الأقلية ، فالنصوص القرآنيّة الصريحة و السنّة الصحيحة لرسول الله ، و السيرة المتّبعة للأئمة الطاهرين عليهم السلام ، و نهج الصحابة ذوي البصيرة والتابعين ذوي الدراية ، تؤكّد كلها أنّ مناط التبعيّة يجب أن يكون للواقعيّة و الحقّ ، سواءً كان موافقاً لأراء الأكثرية أم لا ، و على تجنّب اتّباع الأراء التي تخالف الحقيقة و الواقع ، سواءً كان العالم كله يتبناها أم لا . و هذا أكبر موضع للإختلاف بين الشيعة و السنّة ، و جميع مسائل الاختلاف تدور على هذا المحور و ترجع الى هذا الأساس .

فالشيعة ينادون منذ صدر الاسلام الى الآن و يحتجّون و يأتون بالأدلة على وجوب اتّباع الحقّ لا آراء الناس ، و أنّ الإمامة بالتعيين والنصّ لا بالانتخاب ، و على الناس ان يتبعوا الحقّ ، و ان الإمام بالحقّ يجب أن يُعين من قبل الله تعالى ، تماماً كما أنّ رسول الله يجب أن يأتي من قبل الله ، وكما أنّ الناس لا يمتلكون الحقّ في انتخاب النبيّ .

و الشيعة يُثبتون أنّ الرسالة و الإمامة ليس بينهما تفاوت من جهة الحكومة و الولاية على الناس ، أشبه بشجرتين تتمان من أصل واحد ، أو بطفلين يرضعان من ثدي واحد .

أما العامّة فيقولون أنّ الإمامة حكومة ظاهرية ، و أنّ اتّباع الشخص الجاهل المخطيء أمرٌ لا إشكال فيه . وبالطبع فإنّ أبابكر . وفقاً لهذا المنطق . يجب أن يُعدّ رمزاً للحرية ، كما أنّ المتظاهرين بالتجديد من أهل السنّة يميلون الى هذا الرأي .

و بالطبع فإنّ هناك اليوم مفهوماً واسعاً و رائجاً عن الحرية لا يتنافى أبداً مع المؤامرات الليلية و عدم إطلاع بنى هاشم و الكثير من المهاجرين والأنصار للبيعة ، و مع كسر ضلع الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ، ومع صرف النظر عن إقامة الحدّ على خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة ذلك المؤمن الملتزم لا فتّانه بجمال زوجته ، ثم بنى بها في نفس الليلة !! وكثير من المخالفات الواضحة الاخرى التي لا يعتبرها مناصرو المدرسة الغربية مخالفةً للحرية ، فيعدّون الغاية تبرّر الوسيلة .

غير أنّ الشيعة تقطع أساس هذا المنطق و ذيله ، و تهدم هذا البنيان ، و تُثبت ضعف هذا التفكير و وهنه بالبراهين العقلية و الفلسفية ، ناهيك عن الأدلة النقلية .

و كما رأينا أخيراً في رواية أبي أيوب الأنصاري أنّ رسول الله صلّى الله عليه و ءاله قال لعمّار :
فَإِنْ سَلَكَ النَّاسُ كُلَّهُمْ وَاذِيًا وَ سَلَكَ عَلِيَّ وَاذِيًا ، فَاسْأَلْكَ وَاذِيَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ حَلَّ عَنِ النَّاسِ .

وما أروع ما يُبرهن رسول الله على هذه العبارات بهذه الجملة فيقول :

إِنَّ عَلِيًّا لَا يَزِدُّكَ عَنْ هُدًى وَ لَا يَذُلُّكَ إِلَى رَدًى .

اي انه يجب اتّباع عليّ لأنّه متحقّق بالحقّ ، و لو خالفه العالم أجمع (31) . هذا هو منطق الشيعة

، الذي هو منطق الإسلام !

تعليقات:

(1) ذيل الآية 35 ، من السورة 10 : يونس .

(2) صدر الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .

(3) ذيل الآية 124 ، من السورة 2 : البقرة .

(4) الكتاب مؤلف في حياة العلامة الطباطبائي فُدِّس سرّه ، و ءاثرنا الابقاء على تعبير المؤلف (م)

(5) (الميزان) ، ج 1 ، ص . 277

(6) و يورد القاضي نور الله نظير هذا الاستدلال بتقريب ءاخر في (إحقاق الحق) ، ج 2 ، ص .

396

(7) بعض الآية 124 ، من السورة 2 : البقرة .

(8) صدر الآية 24 ، من السورة 32 : السجدة .

(9) صدر الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .

(10) صدر الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .

(11) صدر الآية 73 ، من السورة 21 : الأنبياء .

(12) ذيل الآية 24 ، من السورة 32 : السجدة .

(13) مقطع من الآية 24 ، من السورة 32 : السجدة .

(14) صدر الآية 71 ، من السورة 17 : الإسراء .

(17.16.15) (ينابيع المودّة) ، ص . 246

(20.19.18) (ينابيع المودّة) ، ص . 247

(21) ينابيعالمودّة) ، ص 256 ، و (الغدِير) ، ج 2 ، ص 51 نقلاً عن (مودّة القريبى) .

(22) غاية المرام) ، ص . 16

(23) سيأتي الكلام عن هذا الحديث في المجلّد الثاني لهذا الكتاب الدرس 17 ، كما ينقل في

(الغدِير) ج 5 ، ص 386 ، عين العبارة الواردة أعلاه عن (الصواعق المحرقة) .

(24) الآية 40 ، من السورة 24 : النور .

(25) تاريخ اليعقوبي) ، ج 2 ، ص 127 ؛ و (شرح النهج) ، ج 2 ، ص 8 ، و زاد أيضاً : انّ لي

شيطاناً يعتريني فإياكم و إياي اذا غضبتُ لا أوثر في اشعاركم و أبشاركم ؛ و اورده في (دائرة

المعارف) فريد وجدي ، ج 2 ، ص . 300

(26) سيرة ابن هشام) ، ج 4 ، ص . 1075

(27) تاريخ الأمم و الملوك الطبري) ، ج 2 ، ص 460 ؛ و أورد أيضاً عن (الإمامة والسياسة)

نظير هذه الخطبة بتفصيل أكثر ، و قد أوردناها في المجلّد الثاني من هذا الكتاب وكذلك أوردناها في

الدرس 18 من هذا الكتاب ، و أورها كذلك القاضي عبد الجبار في (المغني) و ابن تيمية في (منهاج

السنة) ، و محبّ الدين الطبري في (الرياض النظرة) والسيوطي في (تاريخ الخلفاء) و ابن حجر في

(الصواعق المحرقة) و ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة) .

(28) مروج الذهب) ، ج 2 ، ص 308 ؛ و أورده (تاريخ الطبري) ، ج 2 ، ص 219 بهذا اللفظ :

فوددتُ أنّي لم أكتشف بيتَ فاطمة عن شيءٍ و إن كانوا قد غلّقوا على الحرب ... الخ .

29) الإمامة و السياسة) ، ج 1 ، ص 18 ، و (العقد الفريد) ، ج 2 ، ص . 254

30) الغدير) ، ج 7 ، ص 170 و . 171

31) و قد نُقلت هذه الرواية في هذا الكتاب في المجلس الثاني عشر ضمن الروايات الدالة على

أفضليته أميرالمؤمنين ، عن (غاية المرام) ، عن الموفق بن أحمد الخوارزمي .

الدرس الرابع عشر: لزوم اتباع الأعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَ جَعَلَهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (1) .

بقاء منصب الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام الى يوم القيامة :

يمكن الاستفادة من هذه الآية المباركة أنّ منصب الإمامة و هداية الناس هو في ذرية ابراهيم عليه

السلام نسلاً بعد نسل الى يوم القيامة .

وبيان ذلك انّ لفظ (براء) مصدر من الفعل برىء يبرء وصفته برىء ، و (إنتى براء) إمّا على تقدير

محذوف تقديره (إنتى ذو براء) أو على سبيل التأكيد والمبالغة مثل (زيد عدل) ؛ وضمير الفاعل في

(جعلها) يعود الى الله سبحانه ، وضمير المفعول إمّا أن يعود الى البراءة التي تكلم عنها ابراهيم عليه

السلام، أو يعود الى الهداية التي تستنتج وتتخذ من كلمة (سيهدين) .

أمّا اذا قلنا انه يرجع الى لفظ البراءة ، فإنّ مفاده هو كلمة التوحيد ، أي كلمة : لا إله إلا الله ؛ و

ذلك لأنّ (إنتى براءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) هو نفس مفاد كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، و لها

معنى واحد هو مرجع ضمير المفعول في (وَ جَعَلَهَا) .

معنى كلمة لا إله إلا الله:

فبناءً على قواعد العربية ، فإنّ إعراب المستثنى في الكلام المنفي في الاستثناء المتصل سيكون

إعراب المستثنى منه و بدله ، و في كلمة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فإنّ لفظ الجلالة مرفوع بعنوان بدل من (إله)

المرفوعة محلاً ، بملاحظة أنّ الإبدال لن يكون في أكثر من جملة واحدة ، فيكون المعنى هكذا (لَا إِلَهَ

غیر الله مَوْجُودٌ) .

و لو كانت هذه الجملة تتضمّن النفي و الإثبات ، فالواجب ان يكون لفظ الجلالة منصوباً ، و في

هذه الحال فإنّ هناك جملتين كلاهما يتضمّن معنى مستقلاً .

الأول الجملة المنفية : (لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ) ، و الثاني الجملة المثبتة : (أَسْتَثْنِي الله أو الله مَوْجُودٌ) ، و

الأمر ليس كذلك بالطبع .

و عليه فإنّ ما ورد على لسان أهل الدعاء و الأوراد من أن كلمة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ورد نفي و اثبات

المركّب ، هو أمرٌ خالٍ من التحقيق ، فهو فقط ذكر النفي دون سواه .

و اما اذا كان مرجعه الى لفظ الهداية ، فمن المعلوم انّ الهداية الالهية أولاً و بالذات مختصة بالذات المقدسة لرب العالمين ، ثم تسري من الذات المقدسة الى غيرها . فالهداية الالهية التامة إذن مختصة بالله تعالى ، ومادونها للموجودات و المخلوقات .

و لأنّ ابراهيم يُشير بكلمة (سَيَهْدِينِ) الى الهداية المطلقة ، فاتّها قابلة للإلتحاق على أتمّ مراتب الهداية ، و هي حظّ هداية الإمام و من لوازم الولاية الكلية .

و ذلك لأنّه قد ذكر في تفسير قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) (2) حيث الخطاب موجه لابراهيم عليه السلام : انّ وظيفة الإمام هداية أفراد البشر من باطن و ملكوت أعمالهم الى الله عزّوجل الذي أرشدهم و جعلهم في درجات القرب و في دركات البُعد كلّاً حسب منزلته ، و سوف يجعلهم يُقيمون هناك و يُسكنهم في ما تقتضي أعمالهم و أفعالهم ، و سيجذبهم الى ذلك المنزل . فتكون هداية الله الباري تعالى شأنه ذاتية ، و هداية الإمام بالتبّع و بالعرض .

اما اذا كان مرجع الضمير الى (البراءة) ، فإنّ معناه اننا قد جعلنا حقيقة التوحيد ، اي الولاية ثابتة و باقية الى الأبد في ذرية ابراهيم لعلهم يرجعون الى الحقّ و التوحيد . فيستفاد أولاً انّ هذه الحقيقة ستبقى ثابتة الى الأبد في ذرية ابراهيم ، و أنّ ذريته . إجمالاً . يمتلكون مثل هذا المنصب والمقام ، وانّ الإمامة لن تزال أبداً و في أي زمن عن ذرية ابراهيم .

و ثانياً : انّ كلمة التوحيد و الولاية هذه في خصوص ذرية تدعو الى الحقّ ، و بقية الذرية تُدعى الى الحقّ ، فيكون المراد من (في عقبه) الذرية باعتبار الإمامة و القيادة ، و الضمير في (يَرْجِعُونَ) عائداً الى الذرية باعتبار الإهتداء و الإنقياد .

و مع ذلك فإنّ لكلّ فئة سيرٌ خاصّ و حركة خاصة بها ، فالفئة الاولى لها الإمامة و الثانية الائتتمام

و يظهر من هذا البيان : أولاً : استجابة دعاء ابراهيم في دعائه الى الله :

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ (3) .

و ثانياً : يتّضح سرّ قول الله عزّوجل : لَا يَبَالُ عَهْدِي الظّلمين (4) ، بعد سؤال ابراهيم : وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي ، في أنّ الفئة التي تصل الى الإمامة هي التي لم تظلم نفسها و لا غيرها .

و ثالثاً : أنّها تبرهن معنى سلسلة من الروايات الواردة في تفسير هذه الآية المباركة ، و التي فسّرت الكلمة الباقية بالإمامة ، و التي صرّح بعضها بانطباقها على ذرية الحسين بن عليّ سيد الشهداء عليه السلام .

و قد روي في (مجمع البيان) عن الإمام الصادق عليه السلام انّ المقصود بالكلمة الباقية بالإمامة الى يوم القيامة .

و اذا ما كان مرجع الضمير عائداً الى (الهداية) ، فمن المعلوم أنّ الهداية الالهية هي مقام الولاية و الإمامة التي يرجع الناس بوسيلتها من الشرك الى التوحيد ، و من غير الله الى الله . و عموماً ، و على كلّ حال ، و سواء أكان الضمير عائداً الى كلمة البراءة و التوحيد ، أو عائداً الى الإمامة والهداية ، فإنّ الآية المباركة سيكون لها دلالة على بقاء منصب الإمامة في ذرية ابراهيم .

و هذا المقام بالطبع معلول لمقام التوحيد و الولاية ، و مقام التوحيد والولاية يستلزم اندكاك الصفات البشرية في الصفات الالهية ، و من جملتها صفة القدرة و العلم .

الإمام يجب أن يكون أعلم من جميع الأمة:

و على ذلك فإن الإمام يجب ان يكون صاحب مقام العلم الجامع الشامل في درجة لم تصلها أمته و لا أتباعه ، و تلك الدرجة من العلم المنزه الخالص من الشوائب و الأكدار ، و تلك المرتبة من المعرفة الواسعة المطلقة ستستتبع وجوب انقياد الآخرين و تبعيتهم . و عى هذا الأساس فإن ابراهيم يخاطب وليه ءاذر فيقول :

يَأْتِيَنِي إِتَى قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (5) .

لقد جاءني يا أبي من قبل الله من العلم ما لم يأتك ، لذا فقد وجب عليك أن تتبعتني لأهديك ، و قد عدّ في هذه الآية . كما هو ملاحظ . وجوب تبعية ءاذر لأفكاره و ءاراءه منوطاً و منحصرأ فقط بعلمه هو و بفقدان ذلك العلم من قبل ءاذر .

لذا فإن لزوم تبعية الجاهل للعالم من القضايا التي لا تحتاج الى برهان ، بل من القضايا التي قياساتها معها .

لزوم تبعية الجاهل للعالم في المراحل الثلاث : الفطرية و العقلية والشرعية :

و على أساس هذا الأصل المسلم و هذه القاعدة الكلية ، فإن ابراهيم قد نفذ حكمه و أوصل مقام الإبلاغ الى ءاذر دون ذكر لهذه القاعدة ، و لذا فقد أثبت العلماء الأعلام في أصول الفقه ان لزوم تبعية الجاهل للعالم هو حكم عقلي قبل ان يكون حكماً شرعياً ، و هو حكم فطري و وجداني قبل أن يكون حكماً عقلياً ، و ان هذا الحكم يتجلى و يظهر في ثلاث مراحل هي الوجدان و العقل و الشرع ، و استناداً لهذه القاعدة الكلية فقد استفادوا لزوم اتباع ءاراء الأعلم ، و اعتبروا ان سعادة المجتمع منوطة بحكومة ءاراء الأعلم في ذلك المجتمع .

و ذلك لأن العلم بمنزلة النور و الحياة ، و بمثابة الروح و النفس ، وكلما زاد النور و الحياة في المجتمع ، و قويت الروح و النفس فيه ، فإنه سيصبح أكثر حياةً و تأثيراً و رقياً ، كما انه كلما كانت الحياة و الروح والنفس أقوى في بدن الإنسان كلما كان ذلك الإنسان أقرب الى العافية و طول العمر و التمتع بالموهب الالهية ، و كلما كانت الحياة أضعف والروح أشدّ ذبولاً فإن الأدمي سيقترب من المرض و الهلاك و فقدان المواهب الالهية و سيكون له نصيب أقل من المواهب الإنسانية .

و يُستفاد من هذه الآية المباركة في باب الإجتهد و التقليد و استنتاج لزوم اتباع أفراد الأمة للعالم بالشرعية الالهية ، بل لزوم اتباع أفراد الأمة لأعلم زمانه ، و لو انّ هذا الحقير لم يُشاهد حتى الآن أحداً من العلماء الأعلام و كتبهم المدونة قد تمسك بهذه الآية الكريمة .

روى في كتاب (غاية المرام) عن الشيخ الطوسي في (الأمالي) ، بسلسلة سنده المتصل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن الحسين عليهم السلام قال : لما

أجمع الحسن بن علي عليه السلام على صلح معاوية ، خرج حتى لقيه ، فلمّا اجتمعا قام معاوية خطيباً ... الى أن يقول : فقام الحسن عليه السلام فخطب فقال : أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُسْتَحْمَدِ بِالْأَلَاءِ وَ تَتَابِعِ النَّعْمَاءِ ... الى آخر خطبته الجامعة الطويلة التي تحوي الكثير من المطالب الدقيقة و العميقة ، و تظهر شرف أهل بيت رسول الله ، و من جملة ذلك الاستشهاد بآية التطهير و آيات و مطالب تاريخية أخرى .

عاقبة أمر كلّ أمة تولي أمرها رجلاً و فيهم أعلم منه سيؤول الى السفال والفساد:

و من جملتها قوله في خطبته : قال رسول الله [صلى الله عليه و ءاله] : مَا وَلَّتْ أُمَّةٌ أَمْرَهَا رَجُلًا قَطُّ وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ يَذْهَبُ سَفَالًا حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى مَا تَرَكُوا (6) .

كما ذكر في (غاية المرام) أيضاً مختصر هذه الخطبة بسند آخر عن الشيخ في (الأمالي) ؛ و روى عين هذه الجملة عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله حول لزوم قيادة أعلم الأمة (7) .

كما روى المرحوم ابن إدريس في باب (مستطرفات السرائر) عن رواية أبي القاسم بن قولويه ، عن الصادق عليه السلام مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله قال :

قال رسول الله صلى الله عليه و ءاله : مَنْ أَمَّ قَوْمًا وَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ أَوْ أَفْقَهُ مِنْهُ ، لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ فِي سَفَالٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَ مَنْ دَعَى إِلَى إِضْلَالٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْهُ ، وَ مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً (8) .

و الخلاصة فإنّ للعلماء استدلالات في لزوم إمامة أعلم الأمة ، لأنّه . و كما أشير سابقاً . فإنّ مسألة الإمامة و القيادة مسألة حياتية ، فالإمام و القائد روح المجتمع و إرادته ، و كلما كانت إرادة الإمام و القائد أنزه و أصحّ و أنفع لرشد الأمة و رقيّ المجتمع ، كلما كان المجتمع أنزه و أقوم و أرقى بنفس ذلك القدر .

إنّ جميع أفراد المجتمع بمنزلة أعضاء الجسد الواحد ، و كما إنّ النفس الواحدة تُدير جسداً واحداً و تحرّكه باتجاه الصلاح أو الفساد ، فكذلك الامام القائد ، فإنّه يُدير المجتمع و يسوقهم باتجاه الكمال والسعادة أو في مسير الشقاء و النقصان .

أميرالمؤمنين عليه السلام كان أعلم الأمة:

إنّ الروايات التي وردت عن رسول الله في علم و أعلمية أميرالمؤمنين عليه السلام تفوق الحصر و العدد ، و قد ألّف علماء الخاصّة والعامّة كتباً في هذا الأمر و ملأوا أسفارهم عن أعلميته و أفقيته عليه السلام و تفوقه في القضاء ، بحيث يمكن اعتبار هذه المسألة من مسلّمات الإسلام .

و تبين هذه الروايات هذا الأمر بمضامين مختلفة ، و نذكر هنا رواية أو روايتين كنموذج من كلّ سلسلة منها حفظاً للاختصار .

أمّا عن الروايات التي تشير إجمالاً الى غزارة و سعة علمه ، فيروي ابن بابويه بسنده المتّصل عن

الامام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَ كُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) قَامَ أَبُو بَكْرٍ وَ عَمْرٌ مِنْ مَجْلِسِهِمَا فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ التَّوْرَةُ ؟
قال : لا .

قالا : هو الإنجيل ؟ قال : لا .

قالا : فهو القرآن ؟ قال : لا ، فأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال رسول الله : هُوَ هَذَا إِنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي أَحْصَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فِيهِ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ (9) .

و أما الروايات التي تدلّ على أنّ رسول الله قد فتح لعلّي ألف باب من العلم يفتح له من كلّ باب ألف باب ، فيقول السيد هاشم البحراني : لأبي حامد الغزالي . و هو من أعيان علماء العامّة . عبارات في كتاب (بيان العلم اللدني في وصف مولانا عليّ بن أبي طالب) نصّها :

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ سَلَّمَ أَدْخَلَ لِسَانَهُ فِي فَمِي ، فَانْفَتَحَ فِي قَلْبِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ مَعَ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ ؛ وَ قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَوْ تُثَبِّتَ لِي وَسَادَةٌ وَ جَلَسْتُ عَلَيْهَا ، لَحَكَمْتُ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ ، وَ لِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ ، وَ لِأَهْلِ الْقُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ) وَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ لَا تُنْأَلُ بِمَجَرَّدِ التَّعَلُّمِ ، بَلْ يَتِمَّ كُنْ فِي هَذِهِ الرِّتَبَةِ بِقُوَّةِ الْعِلْمِ (10) .

و أما الروايات الدالّة على أنّ رسول الله قال : أنا مدينة العلم و عليّ بابها ، فقد روى في (غاية المرام) ، عن كتاب (مناقب ابن المغازلي) بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَالَ : هَذَا أَمِيرُ الْبِرَّةِ ، وَ قَاتِلُ الْكُفْرِ ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ ، وَ مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ ، ثُمَّ مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ ، فَقَالَ : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ (11) .

و أما الروايات التي تدلّ على قوله (سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي) فقد قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : أجمع الناس كلّهم على أنّه لم يقل أحدٌ من الصحابة و لا أحدٌ من العلماء سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام (12) .

و أما الروايات التي تدلّ على أنّ أمير المؤمنين كان أفضى أفراد الأُمَّة و أحسنهم حُكْمًا ، فقد روى في (غاية المرام) عن الموقّق بن أحمد ، و هو من أعيان علماء العامّة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَ سَلَّمَ إِنَّ أَفْضَى أُمَّتِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (13) .

و أما الروايات الدالّة على أنّ أبابكر و عمر كانا يرجعان في الحكم و العلم الى أمير المؤمنين عليه السلام ، فيروي في (غاية المرام) عن مسند أحمد بن حنبل بسلسلة اسناده عن يحيى بن سعيد بن المسيب قال : كَانَ عُمَرُ يَتَعَوَّدُ بِاللَّهِ مِنْ مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (14) .

كما يروي عن الموقّق بن أحمد ، بسلسلة الاسناد المتّصلة عن زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : لَمَّا كَانَ فِي وَلايَةِ عُمَرَ ، أُتِيَ بِامْرَأَةٍ حَامِلٍ ، فَسَأَلَهَا عَمْرٌ فَاعْتَرَفَتْ بِالْفَجْرِ ، فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ ، فَلَقِيهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : مَا بَالَ هَذِهِ

؟ فقالوا : أمر بها أميرالمؤمنين أن تُرجم ، فردّها عليّ عليه السلام فقال لعمر : أمرت بها أن تُرجم ؟

قال : نعم ، اعترفت عندي بالفجور .

فقال [عليّ] : هَذَا سُلْطَانُكَ عَلَيْهَا فَمَا سُلْطَانُكَ عَلَيَّ الَّذِي فِي بَطْنِهَا ؛ وَلَعَلَّكَ انْتَهَرْتَهَا وَ أَخْفَتَهَا !؟
فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ .

قال : أَوْ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول : لَا حَدَّ عَلَيَّ مُعْتَرِفٍ بَعْدَ بَلَاءٍ
إِنَّهُ مَنْ قُبِدَتْ أَوْ حُبِسَتْ أَوْ تُهَدِّدَتْ فَلَا إِقْرَارَ لَهُ ، فَخَلَا سَبِيلَهَا .

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ تَلِدَ مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَوْلَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ
(15) .

كما يروي عن طريق الخاصة عن محمد بن يعقوب باسناده المتصل عن الإمام الصادق قال :
شرب رجل الخمر على عهد أبي بكر ، فرفع الي أبي بكر فقال له : أشربت خمرأ ؟
قال : نعم .

قال له : و هي محرمة ؟!

قال : فقال له الرجل : إِنِّي أَسْلَمْتُ وَ حَسُنَ إِسْلَامِي وَ مَنْزِلِي بَيْنَ ظَهْرَانِي يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَ
يَسْتَحْلُونَ ، وَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهَا حَرَامٌ اجْتَنَبْتُهَا .

فالتفت أبو بكر الي عمر فقال : ما تقول في أمر هذا الرجل ؟
فقال عمر : معضلةٌ و ليس لها إلا أبو الحسن . ادعُ لنا علياً . (ثم) قال عمر : يُؤْتَى الْحُكْمَ فِي بَيْتِهِ .

قال : فقاما و الرجل معهما و من حضرهما من الناس حتّى أتى أميرالمؤمنين عليه السلام فأخبره
بقصة الرجل ، فقصّ الرجل قصّته .

قال : فقال [عليه السلام] : ابعثوا معه من يدور به على مجالس المهاجرين و الأنصار مَنْ كَانَ تَلَا
عَلَيْهِ آيَةَ التَّحْرِيمِ فَلْيَشْهَدْ عَلَيْهِ .

ففعّلوا ذلك به فلم يشهد عليه أحد بأنّه قرأ عليه آية التحريم ، فخلّى عنه و قال له : إن شربت
بعدها أقمنا عليك الحدّ (16) .

و أمّا الروايات التي تدلّ على أنّ الحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار ، فقد روى في الجزء الثالث
من كتاب (الجمع بين الصحاح السنّة) تأليف رزين إمام الحرمين ، في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام
عن صحيح البخاري قال : عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] و سلم يقول : رَحِمَ اللَّهُ عَلِيًّا ، اللَّهُمَّ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ (17) .

و من العجيب أنّ كثيراً من هذه الروايات رواها أبو بكر و عمر و عثمان و عائشة و عمرو بن
العاص و غيرهم من الصحابة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ .

و روى في كتاب (مقام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عند الخلفاء وأولادهم و الصحابة) (18) في
فضائل أميرالمؤمنين خمسين حديثاً عن رسول الله برواية الخلفاء و أولادهم و الصحابة ، نقلاً عن
علماء أهل السنّة ومحدثيهم ، و ذكر شواهداً في ذيل كلّ حديث ، و من جملتها رواية يقول عمر فيها

لأعرابي : وَيَحْك مَا تَدْرِي مَن هَذَا ؟ هَذَا مَوْلَايَ وَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ
(19) .

تأسف ابن عباس من منعهم المجيء بالصحيفة لرسول الله:

و على كل حال ، فقد اهتم رسول الله صلى الله عليه و آله على هذا الأساس اهتماماً كبيراً في تقديم و نصب علي بن أبي طالب مكانه ، حتى أنه كان في مرضه الذي قبض فيه يوصي الناس باتباعه عليه السلام ، ووصل به الأمر الى أن طلب في تلك الساعات الأخيرة من حياته صحيفةً وقلماً ليكتب ما يجب كتابته في إمامته عليه السلام ، ولكن و مع الأسف و ألف أسف ، فقد منع عمر من تحقق قصد رسول الله و قال : غلب عليه المرض وانه ليهجر ، حسبنا كتاب الله ، فأغض رسول الله عينيه عن هذه الدنيا ولا حدّ لحزنه و غمّه .

يروى ابن سعد في (الطبقات) بإسناده عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : اشتكى النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم يوم الخميس ، فجعل . يعني ابن عباس . يبكي و يقول : يوم الخميس و ما يوم الخميس !

إشدد بالنبي صلى الله عليه [و آله] وجعه فقال : إئتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً .

قال : فقال بعض من كان عنده ، إن نبي الله ليهجرك !

قال : فقيل له : ألا تأتيناك بما طلبت ؟

قال : أو بعد ماذا ؟ قال : فلم يدع به (20) .

و يروي بسند آخر عن سعيد بن جبيرة أن ابن عباس قال : يوم الخميس و ما يوم الخميس ! قال : إشدد برسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم وجعه في ذلك اليوم فقال : إئتوني بدواة و صحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، فتتارعوا و لا ينبغي عند نبي تتارع .

فقالوا : ما شأنه أهجرك ؟ استفهموه ! فذهبوا يعيدون عليه فقال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما

تدعونني إليه ... الحديث (21) .

منع عمر من الإتيان بصحيفة و دواة لرسول الله:

و يروي بسند آخر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما كان في مرض رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم الذي توفي فيه ، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمتيه كتاباً لا يضلون و لا يضلون .

قال : فكان في البيت لغط و كلام و تكلم عمر بن الخطاب . قال فرفضه النبي .

و يروي بسند آخر عن عمر بن الخطاب قال : كنا عند النبي و بيننا وبين النساء حجاب ، فقال

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ : إِغْسِلُونِي بِسَبْعِ قَرِيبٍ ، وَ أَتُونِي بِصَحِيفَةٍ وَ دَوَاةٍ ، أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا .

فَقَالَ النَّسَوِيُّ : إِنَّتُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] بِحَاجَتِهِ .

قَالَ عُمَرُ : فَقُلْتُ : أَسْكُنْتَنَ فَإِنَّكَ صَوَّاجِبُهُ ، إِذَا مَرِضَ عَصْرْتَنَ أَعْيَكُنَّ وَإِذَا صَحَّ أَخَذْتَنَ بِعُنُقِهِ !

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ : هُنَّ خَيْرٌ مِنْكُمْ (22) .

و يروي بسند آخر عن العباس قال : لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ الْوَفَاةُ ، وَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ : هَلُمَّ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ !

فَقَالَ عُمَرُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ ، وَ عِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ؛ فَأَخْتَلَفُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ اخْتَصَمُوا ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ .

فَلَمَّا كَثُرَ اللَّعْطُ وَ الْإِخْتِلَافُ وَ غَمَّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ فَقَالَ : فُؤُومُوا عَنِّي !

فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (بَنُ عَبَّاسٍ) : فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : الرَّزِيَّةُ كُلُّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ إِخْتِلَافِهِمْ وَ لَعُطِهِمْ (23) .

تعليقات:

(1) الآية 26 . 28 ، من السورة 43 : الزخرف .

(2) الآية 124 ، من السورة 2 : البقرة .

(3) الآية 128 ، من السورة 2 : البقرة .

(4) الآية 124 ، من السورة 2 : البقرة .

(5) الآية 43 ، من السورة 19 : مريم .

(6) غاية المرام ، الطبعة الحجرية ، ص 298 ، تحت عنوان : الحديث . 36

(7) غاية المرام ، ص 299 ، تحت عنوان : الحديث . 27

(8) مستطرفات السرائر ، ص 21 .

(9) غاية المرام ، ص 516 ، الحديث . 18

(10) غاية المرام ، ص 517 و 518 ، الحديث . 3

(11) غاية المرام ، ص 520 ، الحديث . 1

(12) غاية المرام ، ص 524 ، الحديث . 7

(13) غاية المرام ، 528 ، الحديث الأول من الباب . 39

(14) غاية المرام ، ص 530 ، الحديث الأول من الباب . 41

(15) غاية المرام ، ص 513 ، الحديث 7 ، من الباب 41 ، و يقول المرحوم الشريف العسكري

في ص 27 من كتاب (مقام الإمام أمير المؤمنين عند الخلفاء) : و على ما جاء في كتاب (خواص

الأئمة) ، ص 87 ، طبع ايران ، في قضية المرأة التي ولدت لسنة أشهر فأمر عمر برجمها ، فمنعه

أميرالمؤمنين من إقامة الحدّ عليها و بيّن له السبب فقال عمر : اللهم لا تُبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب .

و يروي المولى عليّ المتقي في (كنز العمال) الجزء الثالث ، ص 53 نظير تلك الرواية بلفظ (اللهم لا تنزل بي شدة الآ و أبوالحسن إلى جنبي) و يقول في (ذخائر العقبى) ص 82 : (اللهم لا تنزلن بي شديدة الآ و أبوالحسن الى جنبي) كما روى عن يحيى بن عقيل أن عمر كان يرجع في القضايا الصعبة الى عليّ بن أبي طالب فيحطّها له ، و كان يقول : (لا أبقاني الله بعدك يا عليّ) .
و روي عن أبي سعيد الخدري قال : سمعتُ عمر يقول لعليّ و قد سأله فأجابه : (أعوذُ بالله أن أعيش في يومٍ لست فيه يا أبا الحسن) .

16) غاية المرام) ، ص 535 ، الحديث الخامس من الباب . 42

17) غاية المرام) ، ص 539 ، الحديث الرابع من الباب . 45

18) مؤلّفة الميرزا نجم الدين الشريف العسكري من علماء سامراء البارزين و ابن خال أب الحقير مؤلّف هذا الكتاب ، و أبوه المرحوم ءاية الله الميرزا محمّد الطهراني صاحب كتاب (مستدرك البحار) خال أب الحقير ، من علماء سامراء الأعلام و من التلامذة المبرزين لأية الله الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي و ربيبه ، و كان مثالاّ للسلف الصالح .

19) مقام الامام أميرالمؤمنين عند الخلفاء) ، ص . 29

20) طبقات ابن سعد) ، ج 2 ، ص 242 ، طبعة بيروت ، 1376 هـ .

21) طبقات ابن سعد) ، ج 2 ، ص . 242

22) طبقات ابن سعد) ، ج 1 ، ص 243 و . 244

23) طبقات ابن سعد) ، ج 1 ، ص . 244

23) طبقات ابن سعد) ، ج 1 ، ص . 244